عرفه عبده علي

# وصف مصر بالصورة

## صور فوتوغرافية نادرة

## ١٨٥٠-١٨٩٠

دار الشروق

# وصف مصر بالصورة

صور فوتوغرافية نادرة

١٨٥٠-١٨٩٠

التصميم والإشراف الفني:
حلمي التوني

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ — ١٩٩٣م

جميع الحقوق محفوظة

دار الشروق

بيروت: ماراليأس - شارع سيدة صيدنايا - بناية صفا
ص.ب: ٨٠٦٤ - برقيًا: داشروق - تلكس SHOROK 20175 LE
هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - ٨١٧٧٦٥
٨٦٧٥٥٥ - ٣٠٧٩٨٤

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني ت: ٣٩٢٩٣٣٣ / ٣٩٣٤٥٧٨
فاكس ٣٩٣٤٨١٤ - تلكس SHROK UN 93091
٨ شارع سيبويه المصري - مدينة نصر. ت: ٢٦٣٣٩٨
٢٦٣٣٥٤٨ - فاكس ٦١٧٥٦٧

الإهداء

"باقة حب إلى عالم المصريات الكبير
أ.د. رمضان عبده"

# مصــر.. مُلتــقى الشــرق والغــرب

□ سحر الشرق.. المكان والتاريخ.. وعالم متوهج بروعة الابداع والخلود.. اجتذب باقة من أعلام الغرب، أدباء وفلاسفة وشعراء ورحالة وفنانين فأقبلوا بأقلامهم وريشاتهم، مشوقين إلى روائع آيات الماضي، ووقفوا على منابع السحر في شرقنا الجميل، ما بين إبداعات الطبيعة وجاذبيتها، ومعاقد التاريخ المقدس.. من ضفاف النيل الخالد وطور سيناء إلى بيت لحم والناصرة وبيت المقدس الى مشارف مكة والمدينة، الى ما يحف بهذه الأصقاع من آثار قدسها الله، وأضفى عليها سحراً من الجلال، ما يدل على أن الشرق هو «ربعة المختار».. وما نهض في أحضان هذا التاريخ المقدس، من ابداعات فكرية وحضارية للعقل الانساني..

ومع بدايات القرن التاسع عشر، ارتحل إلى الشرق، طائفة من الكُتّاب الرحالة والفنانين الأوروبيين، من أصحاب «النزعة الرومانسية» فنزحوا إلى الشرق القديم، مزودين بقراءاتهم عنه في المراجع الكلاسيكية والآداب المعاصرة والاستشراق الأكاديمي، إلا أن الناحية الجمالية البحتة هي التي طغت على رحلاتهم واستأثرت باهتمامهم.. فعايشوا الشرق واندمجوا فيه فلم يحفلوا بالنصوص المأثورة عن المستشرقين، وبلغة الاستشراق المعهودة التي تفصح دائماً عن سيطرة الغرب على الشرق.. بل كانوا حريصين على الزام أنفسهم بما توحي إليه مشاعرهم وأحلامهم بالتنقيب عن «وطن جديد» في أرض الأديان والرؤى والماضي العريق.. حتى اذا ما رووا ظمأ نفوسهم وخلوا الى أقلامهم وريشاتهم، جرت انطباعاتهم السحرية خبباً على أفراس الرواية والوصف والملاحظة والابداعات الفنية.

وفي مقدمة بلاد الشرق، كانت مصر ـ أرض الفراعنة الجميلة ـ الناعمة بخصب تربتها وثراء ماضيها.. تمثل نمطاً فريداً من الدلالات الجغرافية والتاريخية، مفعماً بالفنون والعلوم والسياسة والحكم.. ومحوراً للعلاقات القائمة بين أفريقيا وآسيا.. بين أوروبا والشرق.. بين ذاكرة الماضي والواقع الفعلي.. ومسرحاً لأهم الأحداث التاريخية العالمية

وفي واقع الأمر، فإن «الصيغة الأساسية للعلاقة بين الشرق والغرب» كانت قد تشكلت، لحظة أن أهاب نابليون بأربعين قرناً كانت تتأمل مجيئه من أعلى الأهرام، وهو ما عبر عنه «جوزيف فورييه» في المقدمة التاريخية لموسوعة «وصف مصر» قائلاً:

«تحتل مصر في موقعها بين أفريقيا وآسيا، وفي سهولة اتصالها بأوروبا، مركز القارة القديمة، ولا يقدم هذا البلد سوى الذكريات العظيمة، فهي أرض الفنون، وتحفظ مآثر لا تحصى، وما تزال قائمة معابدها الرئيسية والقصور التي شيدها ملوكها، رغم أن أقل صروحها عراقة، كانت قد شيدت حين حدثت حروب طروادة، وقد رحل كل من هوميروس وليكرجس، وسولون وفيثاغورث وأفلاطون الى مصر لدراسة علومها وديانتها وقوانينها، وأسس الاسكندر مدينة عامرة بالرفاة والثراء، مدينة تمتعت ولزمن طويل، بالسيادة التجارية، وشهدت بومبي، ويوليوس قيصر، ومارك أنتوني، وأوغسطس، يقررون فيما بينهم مصير روما ومصير كل العالم، ومن هنا فهذا البلد جدير أن يجتذب اهتمام الأمراء العظام الذين يتحكمون بمصائر الأمم، ولم يحدث مرة أن أمة من الأمم حشدت لنفسها قوة ذات شأو، سواء في الغرب

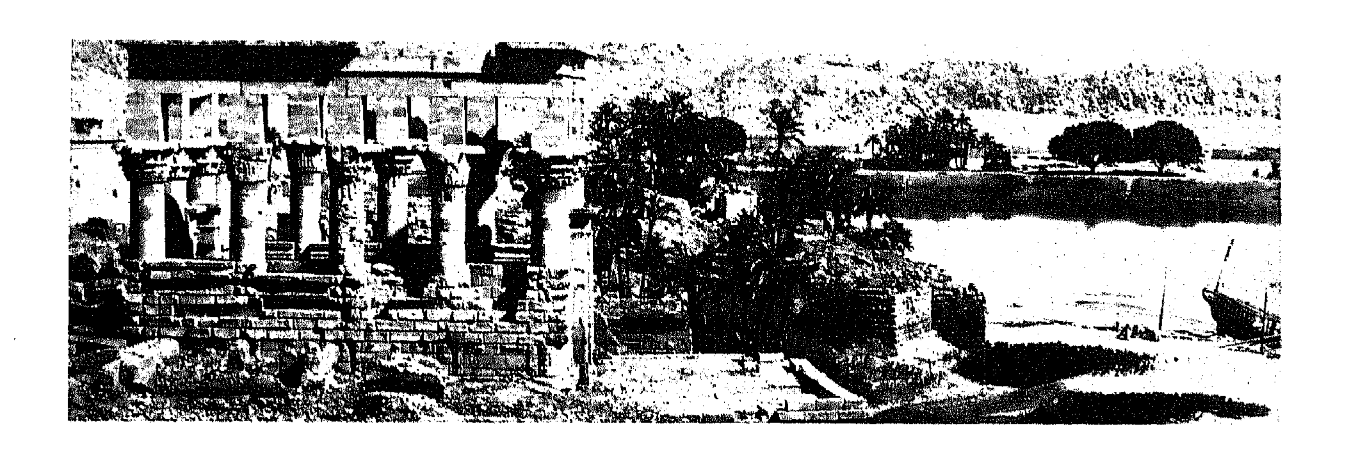
أو في آسيا، دون أن تقودها هذه القوة بإتجاه مصر..».

وقد إختتم فورييه مقدمته، معلناً أن التاريخ سيذكر «كيف كانت مصر مسرحاً لمجد نابليون، وسيحفظ من النسيان، جميع ظروف هذا الحدث الخارق»!

وأود أن أشير إلى أن الغزو الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨، كان «النموذج الأكمل للمصادرة العلمية التي تمارسها ثقافة أقوى ضد ثقافة ما».. في إطار الاحتواء الاستشراقي الفرنسي لمصر، باستخدام أدوات المعرفة والقوة الغربيتين، فحملة نابليون قد خلقت بكل دلالاتها ونتائجها ـ تجربة الشرق الحديثة بأكملها، وإعادة صياغة الشرق شكلاً، وهوية، باستنفاذ مصر من «بربريتها» وإعادتها الى «عظمة ماضيها الكلاسيكي» من أجل مصالح الغرب وتأثير ذلك على العلاقات بين أوروبا والشرق.. كما أن ـ حملة نابليون ـ أدت إلى تحريك عمليات بين الشرق والغرب، ما زالت تسيطر على منظوراتنا الثقافية والسياسية المعاصرة، بالإضافة إلى تقديمها بمأثرتها العلمية العظيمة «وصف مصر»: وضعية خاصة للاستشراق، لأن مصر ثم البلاد الإسلامية الأخرى، اعتبرت المجال الحي والمختبر للمعرفة الغربية الفعالة بالشرق.

ومما لا شك فيه، أن كتب الرحالة ومشاهدات الحجاج وتقارير الباحثين والإرساليات والقناصل والخبراء، وضغوط المصالح السياسية ـ وخاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ـ قد أسهمت في ازدياد كثافة الوعي العام للشرق.

ولقد كان القرن التاسع عشر، قرناً فريداً بذاته في كثير من الظواهر والملامح الأساسية المميزة، فمع ازدهار حركات الكشف الجغرافي ـ خاصة في أفريقيا ـ وتبلور الكثير من التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنظريات والمذاهب الفلسفية والسياسية، فقد شهد في الوقت ذاته عدة ظواهر: المد الاستعماري الأوروبي والتنافس الغربي في الشرق، والتبشير الديني، والاحتكاك الحضاري بين الشرق والغرب، والحركات الشعبية والمطالبة بالحكم الذاتي والاستقلال، وتحدياً شرقياً للغرب وسيادته الامبراطورية واهتماماً مكثفاً بالدراسات العلمية التاريخية والطبوغرافية والاجتماعية والاقتصادية للشعوب والجماعات القبلية في البلاد المحتلة.. كل هذه الظواهر فرضت ـ دون شك ـ إعادة النظر في المعرفة الغربية للشرق.



# وصف مصر .. بالصورة

□ كثير من الرحالة والأدباء والفنانين الأوروبيين، الذين ارتحلوا الى الشرق ـ خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ـ أرادوا أن يعبروا عن تجربتهم من زاوية «مشكلة تكوين صورة».. وكان ذلك أيضاً شأن المصور الفوتوغرافي الذي أراد التقاط صورة للأشياء على نحو ما هي عليه بالضبط «للشرق نفسه في واقعه الفعلي الحيوي»..!

فقد كان لقوة الوصف الفريدة والدقة التفصيلية لكتاب «إدوارد لين» الشهير: «إفادة عن أنماط سلوك المصريين المحدثين وعاداتهم» والذي نشر عام ١٨٣٥، ما جعل منه «أتم صورة ترسم حتى الآن لحياة شعب من الشعوب» كما أشار المستشرق «ستانلي بول».. وكان ذلك ـ ليس بسبب استخدام اللغة التصويرية المجازية ـ وإنما بفضل الوصف البسيط الواضح الذي يجعل الأشياء تتمثل حية أمامنا!

كان هؤلاء الكتاب والفنانون الأوروبيون يريدون الإنغماس في الشرق وأن «يلمسوا بأصابعهم حضارة غريبة».. وكان من شأن هذا النوع من الانغماس، أن يسمح بوفرة من التفاصيل الأثنوغرافية في مؤلفاتهم ولوحاتهم وصورهم، كنتائج تجربة مباشرة وقريبة مع الشرق، تطورت الى رغبة في إتصال مباشر وفيزيقي مع الغريب والعجيب والمثير جداً..!

وقد كانت زيارة الشرق بالنسبة لبعض المستشرقين والسائحين أيضاً مجرد إعادة إكتشاف لصورة شيء ما، وحتى يتسنى استيعابه على نحو تمثيلي، فقد كان يتحتم عليهم استيعابه بوصفة استرجاعاً لصورة سبق أن رأوها.. وقد عبر «الكسندر كينجليك» عن هذا المعنى قائلاً:

«لقد كنت أعرف أشكال الأهرامات المصرية منذ عهد الطفولة المبكرة والآن بينما كنت أقترب من ضفاف النيل، لم يكن معي رسم أو صورة، ومع ذلك فقد كانت الأشكال القديمة منتصبة، ولم يكن هناك تباين، لقد كانت مثلما عرفتها دائماً».. أما «جوتييه» فقد كتب: «لو كان الزائر لمصر قد سكن في أحلامه لمدة طويلة ـ مدينة معينة ـ فإنه سوف يحمل في رأسه، خريطة متخيلة، يصعب بالفعل محوها حتى حين يجد نفسه وجهاً لوجه مع الواقع».. موضحاً أن خريطته الخاصة عن القاهرة «المشيدة بمواد ألف ليلة وليلة» تنتظم حول لوحة «ميدان الأزبكية» الرائعة.. العنيفة للفنان ماريلا.

وقد نالت مصر اهتماماً خاصاً من المصورين الأوائل، ومعظمهم كانوا من البريطانيين والفرنسيين والأرمن، المدفوعين بالاهتمام المتجدد بالتاريخ والفن وتقاليد هذا البلد الذي تكمن فيه جذور الحضارة الإنسانية، وقد عزز هذا الاهتمام، حملة نابليون والاكتشافات الأثرية الهائلة التي أعقبتها، والولع الرومانسي بالشرق، وزاد من الاهتمام أيضاً عمليات التوثيق التي تمت على يدي الرسامين مثل: «فيفان دينون» و «داڤيد روبرت» اللذين اشتهرت أعمالهما ونالت حظاً من التقدير، كما أسهم «فلوبير» و «دي لوروا» في تنمية هذا الاهتمام وخلق ما يعرف بـ «حلم الشرق»..

وكثير من الصور النادرة التي يحفل بها هذا السفر، تعكس بوضوح إحساس الدهشة التي لا بد وأن المصورين الأوائل قد عايشوه، وهم يرون لأول مرة الاهرامات: تلك الصروح الهائلة المعبرة عن فكرة

الخلود في عالم سماوي، والنهر الخالد تنساب على صفحاته، من المعاني والأسرار ما يعجز العقل عن ادراك مكنونها، وصحراء شاسعة تفتح ذراعيها كأنما تريد أن تحتضن السماء، ورمالها الناعمة تغمرها الشمس فتتماوج بشعاعها الذهبي الجميل، والطبيعة المصرية إبان لحظات سكونها، فتثير في القلب جواً من الغموض الأسطوري... فانطلقوا يصفون مشاهداتهم لأول مرة بكاميراتهم الرائعة، مؤكدين أن أفضل وسيلة لوصف مصر هي / الصورة.. وأول صورة التقطت في مصر ـ بأسلوب داجير ـ كان بتاريخ السابع من نوفمبر عام ١٨٣٩، للمصور الشهير «هوراس فيرنيه» وكانت تمثل مشهداً من جناح الحريم، خلال استقبال محمد علي باشا والي مصر له في قصره بالاسكندرية، والذي علق على تلك الصورة، في دهشة ملحوظة، بقوله «هذا من عمل الشيطان..!».

وفي منتصف القرن التاسع عشر، عندما توافد الى مصر، المصورون المحترفون مثقلون بمعداتهم، كانوا ـ تقريبا ـ يدخلون منطقة مجهولة المعالم، ولطالما جذب النيل الرحالة، بما يزيد عن ألفي عام مضت.. وقد وصف «هيرودوت» في كتابه «التاريخ» انطباعاته عن رحلته، واهتمامه البارز بالحديث عن الآثار والعادات والسحر والديانة المصرية، كما كتب «أفلاطون» ايضا عن مصر، وزيارته لرجل الدولة المشرع الاثيني، ومحاوراته مع الكهنة المصريين وقد رسمت صور كروكية من واقع الحياة والخيال مرات عديدة، إلا أن الصورة الفوتوغرافية ـ حتى في بداية عهدها ـ جعلت من رحلة النيل واقعا حيا! وقد فتح نابليون ـ كما اشرت ـ الطريق أمام كتائب خبراء الآثار وقوافل السائحين والمغامرين والمصورين، والذي عمل على «توثيق» إتساع امبراطوريته جهة الشرق، بالمأثورة العلمية الجماعية لعلماء الحملة «وصف مصر» وهي اشهر وأضخم وأشمل موسوعة وثائقية صدرت عن بلد ما.. إلا أن بقاء نابليون في مصر لم يدم طويلاً ١٨٠١ خشى البريطانيون من ضياع نفوذهم في الهند، فأطاحوا بالفرنسيين من مصر، إلا أن «المبادرة الهائلة» لنابليون، قد فتحت مصر أمام الغرب، واجتذبت اهتمام العالم وداعبت احلام الرحالة الأوروبيين، وذلك الوصف الذي كشف عن «عجائب» فزادهم شغفاً الى رؤيتها وتقييمها بأنفسهم، وأتى المغامرون الأوائل مثل «بلزوني».

تحت دعوى الاستكشاف ثم البحث عن الكنوز بين الحطام والأطلال، وبدأت الكنوز المجلوبة من مقابر الفراعنة في الوصول الى الأسواق الأوروبية، غير أن بعض عمليات النهب والتهريب، قد تعثرت نتيجة لثقل وضخامة هذه الكنوز، ولكن اكتشافات علماء الحملة الفرنسية، وعلماء المصريات الأوائل، كان لها التأثير البالغ في تشجيع ودفع كثيرين ممن استبدلوا النظرة الرومانسية بالفضول العلمي..

وفي الثلاثينات من القرن التاسع عشر، أسهمت السفن التجارية في نقل الكثير من الكنوز المصرية إلى أوروبا، وبدأ المصورون الرومانسيون في تتبع مصادر هذه الآثار وأصولها، مدفوعين بالولع الأوروبي بالشرق، وارتحلوا في ربوع مصر لتصوير أطلال الفراعنة، وبدأت عملية «التوثيق المرئي» للشرق في المطبعة الحجرية «وليام بارتليت» وغيره وخلال زيارته الأولى للقاهرة. علق جيمس مولر على صديقه بارتليت قائلاً: «.. انه يتوق الى عملية تصويرية ما، لتثبيت المشهد الذي يقف أمامه»! وتحقق هذا المطلب في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر مع تطوير أسلوب داجير على يدي الفرنسي «نيسفور نيبسي» وأصبح في الإمكان أخيرا، الحصول على صورة دقيقة. باستخدام جهاز آلي.

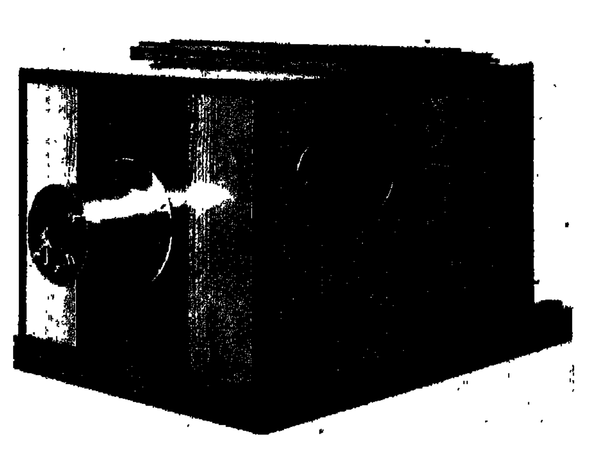
ومع نهايات القرن التاسع عشر، كان كثير من المصورين المحترفين والهواة قد انتجوا عشرات الآلاف من الصور عن مصر، وبالرغم من ذلك، فالذي بقي منها قليل نسبيا، ولعل أبرز خسارة نتجت عن هذا الإهمال هي: تقويض ميزة التعدد في الصور

للمشهد الواحد..!

ومن الملاحظ أن المناطق والمعالم والآثار، التي خضعت لعدسات الكاميرا، قد تناولها عدد من المصورين ينتمون لثقافات مختلفة، ولا تستند إيحاءاتهم المرئية الى المعرفة المباشرة، ولكنها تعتبر نتاجا للإتجاهات الأدبية والفنية لهم، والصور التي وردت في هذا الكتاب، ترجع جميعها الى تواريخ فيما بين عام ١٨٥٠ وعام ١٨٩٠ وقد التقطها مصورون من جنسيات مختلفة، ولأغراض مهنية وتقنية متنوعة، منهم:

فرانسيس فريث. فيوريللو، جرين، جون سميث، ايفرار، دي كليرك، روبرتسون، لوفيفر، بيتو، فرانك جود، سيبا، بونفيلس، لوكيجيان، ماكدونالد.... واعتقد أن مجموعة الصور الواردة على هذه الصفحات من أفضل وأشهر الصور التي تبقت لنا حتى الآن - وتقدم مجتمعة: صورة رائعة عن مصر في عيون الفنانين الأوائل الذين التقطوها.... وبجانب ما تقدمه لنا هذه الصور من المتعة والبهجة والإثارة، فإننا نلمس فيها بوضوح طبيعة العصر وملامح مرحلة تاريخية بذاتها.

كاميرا داجير



# مـُـلاحظـَـات فـوتـوغـرَافيَّـة

□ نمضي في رحلتنا التسجيلية الفوتوغرافية لمصر، إبان القرن التاسع عشر، نتنسم عبق التاريخ.. ونتنفس عشقاً لبلادنا، التي عاشت ـ وستظل ـ في وجدان الخلود، هنا حيث صادف الفكر والإبداع الإنساني نشأته.. وازدهر بشعب مصر ـ الذي استبق شعوب الأرض ـ وابتدع فكرة الألوهية واللانهائية والخلود.. ومن يرى آثار هذا التاريخ الشامخ المذهل، يستطيع أن يتخيل أي شعب هذا، الذي تحدت صروحه نوائب الدهر، فهو لم يكن يعمل إلا للخلود، وهو الذي أمد هوميروس وهيرودوث وأفلاطون، بكنوز معارفهم التي ارتقت ببلادهم.. وهو أيضاً، الذي عرف للحياة قدرها، فانتهج لنفسه منهاجا يتفق مع حكمتها..!

ومن خلال تلك المحاولة ـ لإكتشاف الماضي بأشكاله ومعانيه سنجد أن مصر الموثقة في هذه الصور الشائقة.. النادرة.. ليست هي التي نعيشها اليوم، فذاك عصر كانت أبرز سماته: هدوء إيقاع الحياة وإتساع الزمان والمكان..!

فمصر القرن التاسع عشر، التي أبدع الرحالة والفنانون الأوروبيون في وصفها، بعيون دقيقة الملاحظة. تغوص الى الأعماق، يلونها خيال مولع بالتأمل.. أصبحت ذكرى أطلال في قبر الأبدية!

سوف نقارن بين تلك الأيام، وأيامنا هذه، وربما نتنسم في تلك الأيام عطر الحياة ونشوة الذكرى لماض جميل، نتأمله في بهاء وحنين، بين زحمة مشكلات الحياة المعاصرة وقسوة أيامنا..! نستطيع أن نستشف ـ من خلال مجموعة الصور الرائعة هذه ـ جوانب الجمال والكمال في إبداعات التراث المصري الخالد الذي لا يتمثل في تلك الآثار وأطلال المعابد فحسب ـ والتي شيدت على مدار خمسة آلاف عام ـ ولكنه يتمثل أيضاً في الشواهد الدالة على حضارات عريقة متعاقبة متباينة، شكل كل منها بأسلوبه وطابعه، وجه الحياة في مصر..

وتخفق المشاعر أمام مشاهد «قاهرة الشرق» وإبداعات العمارة الإسلامية، ولقد كانت القاهرة القديمة تموج بهؤلاء المصورين الذين يتبارون في تسجيل مشاهدها، حتى كتب «وليام ثاكري» في كتابه: «رحلة من كورن هيل الى القاهرة الكبرى» قائلاً: «أنى لي أن أصف روعة شوارع القاهرة، وإختلاف مواقع الجمال المثيرة للخيال، والتنوع الباهر في أساليب العمارة وطرز البيوت والمساجد والبواكي والشرفات والأبواب، وذلك التبادل الرهيف بين الأضواء والظلال وضجيج الأصوات وصخب الزحام، والوان الأزياء الصارخة، وامتداد الأسواق في رونق بلا قيود.. فالقاهرة هي فردوس المصور، تنتظره فيها ثروة هائلة يجنيها، لو أنه صور كل شيء تقع عليه عيناه إذ تنبسط أمام ناظريه موضوعات يمكن أن تشغل أكاديمية فنون بأسرها، وقلما أن صادفت عيني مثل هذا التنوع في الفن المعماري وفي تألق الألوان ففي كل ركن من الشارع صورة، وفي كل واجهة حانوت بالسوق صورة..».

ومع نهايات القرن التاسع عشر، كانت هناك قاهرتان: قاهرة إسلامية وقاهرة أوروبية والتي جسدت رغبة الخديو اسماعيل في أن يشهد الغرب «قاهرة حديثة» على طراز اوروبي تحكم دولة عصرية تمتد على ضفاف النيل ما بين الاسكندرية والخرطوم!

وكم أسف بعض الرحالة والكتاب، حين رأوا ملامح الحضارة الأوروبية تطغى على قاهرة الماضي العريق، فالقاهرة التي نعيشها اليوم، ليست بتلك القاهرة التي أسسها الفاطميون، ذلك أن عصوراً متتالية أضافت إليها الكثير من الأبنية والآثار، فاكتملت عبر فترات متباعدة، لكنها ظلت على امتداد تاريخها منارة للفكر والإيمان والإبداع.

ونمضي بخواطرنا وانطباعاتنا.. عن مشاهد القاهرة ـ القديمة والحديثة الى مجموعة الصور التي تمثل أهرامات

الجيزة.. تلك الصروح الهائلة المعبرة عن فكرة الخلود في عالم سماوي، تنبض الصور بجو أسطوري معبر عن «عجائب العالم القديم»..

ولست أجد خيراً من تعبير «سافاري» الكاتب الرحالة الفرنسي في وقفته التأملية الصافية المهيبة أمام الأهرام «.. ليس ثمة منظر في العالم كله، يفوق هذا المنظر سحراً وجمالاً وتنوعاً وتأثيراً، إنه يسمو بالروح ويحضها بقوة على التأمل»!

ثم ذلك المشهد الذي يصور ضيّ مياه الفيضان، التي تغطي المزارع المتصلة بهرم خوفو.. أشجار النخيل الباسقة الخشنة.. وإمرأتان تحملان جرتان على رأسيهما.. «صورة زيتية» لم تعد مألوفة!

وأمام الأهرامات، يرقد أبو الهول مغموراً بالرمال حتى صدرة شاخصاً بوجهة في جلال ورهبة.. مشهد سحري يكتنفه الغموض يرمز الى عالم لم يعد من عالمنا!

وفيما بعد، أظهرت البعثات الأثرية، الجسم الكامل ابو الهول وبقايا معبد يتقدمه.. والشكل الهندسي الحالي للمجموعة الهرمية، أدق وأوضح، والصور التي التقطها فريث وبيتو، تظهر أبو الهول يحيط به سكون وغموض أبدي، لا يقلقه سوى العواصف الرمليه! طبقا لوصف رحالة القرن الماضي.

هرم «زوسر» المدرج، في منطقة سقارة، يقف شامخاً يحيط به امتداد من الكثبان الرملية، يصعب تصور ما تحتويه بداخلها من مقابر وأطلال، يراها سائح اليوم بعد الكشف عنها وترميمها.

ومن بقايا معبد عين شمس الشهير، تقف مسله «سنوسرت الأول» شامخة بين حقول قصب السكر، بينما قاعدة المسلة لا زالت مدفونة بالأرض والنقوش الهيروغيلفية ليست غائرة، وقد أعيد ترميمها وتهذيبها.

ثم نمضي الى مجموعة الاسكندرية «البيت الأفروديتي».. سيدة مدائن عصرها، حاضرة البطالمة الكبرى ومدينة العلم والإبداع والمركز التجاري العالمي، وبالرغم من أنها فقدت الكثير من عظمة ماضيها، إلا أن هذه الصور تعبر عن عودة تألقها في عهد الخديو إسماعيل، بالإضافة الى صور لبعض شواهد مجدها في عصرها الذهبي!

تتألق صور مصر العليا، في تلك الأطلال للمعابد العظيمة بينما لم تسمح الإمكانات التكنولوجية في ذلك العصر، بالتصوير داخل المعابد والمقابر.. «أبيدوس» حيث مقبرة أوزيريس ـ إله العالم الآخر ـ الذي تسابق الناس في ذلك الدهر، ليدفنوا موتاهم بالقرب منه، غير أن هذه المدينة العظيمة، تحولت إلى أطلال لم يبق قائماً وسطها غير معبدي سيتي ورمسيس الثاني المهدين الى أوزيريس، تحف بهما أطلال مقابر الدولتين القديمة والوسطى.

واجهة معبد «حتحور» بدندرة.. حيث تظهر المنطقة أمام المعبد، تشغلها مجموعة من الأبنية القديمة المتواضعة، شيدت من الطوب اللبن، بين أكوام من الاحجار الضخمة، وقد اختفى كل ذلك اليوم.. والصورة تسجل موقفاً أثرياً، حيث تبدو تيجان الأعمدة في تكوين على هيئة «شخشيخة» تمثل الآلة الموسيقية المقدسة للألهة حتحور.

واجهة معبد «حورس» بأدفو، وتبدو الفتحات الجانبية مسدودة بأكوام من الأطلال.. أما صورة معبد «كوم أمبو» فتظهره مدفون نصفياً في الرمال تماما كما ظهر في لوحات فناني أوروبا، في مطلع القرن التاسع عشر.

ثم تتابع مشاهد مدينة «طيبه» منبع النور الذي غمر الأرض كلها وتألقت بالمجد منذ أربعة آلاف عام، وألهمت العالم الفن والدين والجمال..

يتراءى لنا النهر الخالد، الذي شهد عبر آلاف السنين، مواكب الآلهة والملوك، تجثم عليه مجموعة من الدهبيات وبواخر شركة كوك!

بينما ضباب ثقيل يخيم على المنظر.. وتبرز أعمدة معبد الأقصر مع تلال من ترسيبات الطمى تراكمت على مر العصور، صورة أحد أعمدة معبد الأقصر تظهر مدخلاً ـ متهدم في الوقت الحالي ـ لإحدى المسلات التي نقلت الى باريس عام ١٨٣٢ وتظهر مشهداً غير مألوف للمنطقة خلف المعبد يشغلها مساكن حديثة من الطوب اللبن. أحدهما الى اليمين مكون من طابقين على شكل برج ومن خلفه يمكن رؤية الفناء الداخلي للمعبد تشغله مباني

مماثلة.. في أحد هذه المنازل المتواضعة بداخل المعبد، عاشت «لوسي دف جوردن» من عام ١٨٦٣ الى عام ١٨٦٩. وقد كتبت مذكرات عن اتصالها بالبيئة المحيطة وعلاقاتها بالناس وذلك في مجموعة من الخطابات لأفراد عائلتها، وقد نشرت هذه الخطابات فيما بعد لجمال اسلوبها ورقة انطباعاتها.

مناظر معبد أمون بالكرنك متعددة، إذ أن هذا المعبد من اكثر المعابد تأثيرا.. بسبب امتداده في الزمان والمكان، نتيجة لمجموعة من الإضافات في العصور المختلفة، وما بدا كمعبد واحد أصبح مجمعا من المباني المقدسة تمتد في جهات متعددة، في فترة زمنية تصل الى ألفي عام تقريبا.

وللزائر أن يتخيل في بداية زيارته.. موكبا لا ينتهي من المداخل الضخمة والأفنية وجدران كاملة مغطاة بالمناظر والنقوش وغابات من الأعمدة العملاقة والمسلات وبعض المعابد الجانبية الثانوية، بوابات، مقاصير وفي كل اتجاه تطالعنا مختلف العناصر المعمارية.

عندما صورت هذه المناظر، كان المعبد بالرغم من الكم الهائل من المباني القائمة، في حالة سيئة جداً ورمم فيما بعد. وتظهر الأعمدة الضخمة التي تحدد الممر بداخل المعبد، في شكل كومة من الحجارة المحطمة وتعلو المسلتان في وسط خليط غير مفهوم لغير المتخصص!

في منظر آخر يظهر الرواق الأوسط لنفس قاعة الأعمدة، ويبرز ارتفاع هذه الأعمدة وضخامتها، وجود اثنين من المواطنين يقفان في المقدمة.

المنظر الكامل للمعبد عن بعد والبحيرة المقدسة المستخدمة للتطهير في المقدمة يبرز الامتداد الطولي للمعبد، وبالمثل منظر فناء المدخل على جانبي تماثيل أبي الهول عند المدخل الغربي وفي مؤخرة المنظر عمود كامل لمعبد الاله «خنسو» يبدو أكثر تنظيما..

وتظهر صورة لنقش يمثل تحتمس الثالث يقضي على مجموعة من الأسرى وعلامات واضحة من التخريب الذي رسم في الوقت الحالي..

البر الغربي في طيبه تظهره مناظر أصبحت كلاسيكية..

تمثالا ممنون وهما في الأصل تمثالين للملك أمنحتب الثالث كانا يتقدمان مدخل معبدة الجنائري. ويقف شخصان فوقهما لتحديد ضخامة التمثالين، وبقايا معبد رمسيس الثاني الجنائزي التي صورت في إنعكاس ضوئي شديد بحيث يتباين الجزء المضيء والجزء المظلم.

وكانت أسوان أبعد المناطق التي كان يمكن لزائر القرن التاسع عشر أن يزورها. وكان يتصور أنه يطل على الحدود الشمالية لأفريقيا السوداء أما الحدود الطبيعية للجنادل ممثلة في الصخور والجزر الجرانيتية التي كان يخترقها النيل، فقد أصبحت في الوقت الحالي مجرد ذكرى تاريخية!

الصور تنقلنا الى فترة تسبق بناء خزان أسوان، تبدو فيها مدينة أسوان رائعة وهادئة، وتظهر ضفافها آثار مستويات مختلفة لمياه الفيضان - والأحجار الجرانيتية الضخمة التي تحيط بها المياه، والمراكب السياحية في مرساها وتظهر في المؤخرة جزيرة فيله وصور هذه الجزيرة «لؤلؤة مصر» كما وصفها «بيير لوتي».. حددت في الزمن لحظة لن تتكرر!!

هذه المناظر التي صورها «ليونز» أثناء حملة (٩٥ - ١٨٩٦) أجريت نتيجة لبعض التلف الذي أصاب المباني بعد بناء خزان أسوان.

أما «فيلة» فتظهر في منظر عام يتوسطه المعبد ومقصورة تراجان على الجانب الويمن، نخيل، وفي المؤخرة صخور «جزيرة «بيجا».. هكذا رأى زائر القرن التاسع عشر الجزيرة أثناء اقترابه البطيء بالقارب.. الى الجنوب من الجزيرة في منطقة الجندل يظهر منظر آخاذ. لبعض الجزر المنخفضة المكونة من الصخور الجرانيتية التي هذبتها سنوات متتابعة من الفيضان والجفاف..!

معابد فيلة تمثل تحد وإجلال للطبيعة الساحرة المتقلبة، التي كانت تطلق تارة العنان لمياه الفيضان العاصفة ثم تهدأ تارة أخرى.

وقد كانت فيلة نقطة إلتقاء الحضارة المصرية التي

اصبحت فيما بعد هيللينستيه بالحضارة الأفريقية المروية البعيدة.

وتشتمل المجموعة على بعض صور للمعبد الرئيس المخصص للالهة إيزيس، وبعضها كامل بينما البعض الآخر يصور بعض التفاصيل فقط.

وبالإضافة الى الشعور بالعظمة الذي يبرزه مجموعة الأعمدة المتتالية والبوابات والبواكي وقاعات الأعمدة والأشكال المعقدة للتيجان فيجدر بنا أن نلاحظ من الناحية الأثرية، أن المعبد كان محاطا بشبكة كثيفة من المباني القديمة التي ازيلت فيما بعد.

في منظر جزيرة بيجة المخصصة للإله أوزير، تبرز طبقات متتالية من الطين والأحجار البيضاء حتى المباني المهدمة، وتتراءى أشجار النخيل باسقات حتى أحجار الجرانيب في القمة... لا زالت تثير الشعور بالرهبة الذي كانت تعكسه هذه المباني للزائرين في الماضي!

من المناظر الهامة تلك التي تصور معابد النوبة بين الجندل الأول والثاني، لأنها تمثل لنا المشهد كما كان في الماضي يغمرها الكآبة والإهمال والوحدة وأشعة الشمس، بينما تبدو واجهة معبد «كلابشه» يسدها جزئيا إنهيار الأحجار.

وقد صور مدخل وبوابات معبد دندرة الصغير في نفس الحالة ولكن يعكس هذا المنظر عنصر انساني محلي، إذ تراصت مجموعة من سيدات «البشارى» وأطفالهن للظهور في الصورة، بينما يتقوقع رجلان في الظل. صورة لمعبد «جرف حسين» المهدم تعكس جيداً النوعية الفظة الثقيلة التي يتميز بها هذا البناء.

مشهد معبد «دكا» يبرز التنظيم القدسي لعناصره: البيلون ـ بهو الأعمدة ـ قدس الأقداس.

وتنتهي المجموعة بمنظرين خارجيين لمعابد ابي سنبل التي احتاج إنقاذها عملاً ضخما عظيما، تناسب مع عظمة البناء الضخم.

وتظهر واجهة المعبد الكبير، كثبان رملية تجمعت على الجانب الأيمن وعند القاعدة. وقد كونت هذه الرمال منذ اكتشاف المعبد عائقا اساسيا لتصوير المعبد صورة كاملة خالية من العقبات أما واجهة المعبد الصغير المخصص للملكة «نفرتاري» تبدو من زاوية غربية ولكن تتميز بأن الجزء الأسفل يؤكد على التباين بين الصخر الطبيعي والصخر المنحوت.

مجموعة الصور الذي التقطها «ماكدونالد» تستحق تقديراً مستقلاً، إذ تعد تسجيلاً مرئيا لرحلة في ربوع سيناء، والتي تمثل اهمية خاصة لزوار مصر منذ زمن الرحالة الأوائل.

وكان هدفهم الوصول الى دير «سانت كاترين» الذي يقع في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة سيناء، ومنه يمكن الصعود الى قمتين مقدستين: أولهما تلك التي يذكر بأن النبي موسى قد حصل فيها على لوحة الوصايا العشر (جبل موسى) والثانية تلك التي يزعم أن الملائكة قد وارت بها جسد الشهيدة كاترين (جبل كاترين)..!

تبدأ الرحلة على حافة الصحراء بالقرب من البحر الأحمر عند عيون موسى.. حيث تقطع بعض أشجار النخيل ملل المنظر.

ونرى بعد ذلك مشهداً يصور وادي «مغارة» الشهير الذي يوجد به منذ عصر المصريين القدماء ـ مناجم الفيروز والنحاس التي اكتشفت في عهد الأسرة الأولى.

ثم يلي ذلك مجموعة من مناظر تصور حوض سيناء الممتد: وادي «فيران» الذي يحيط به قمم جبلية مدببة تنتشر بها أشجار «الأكاسيا» وواحة محاطة بأشجار النخيل.

على حافة الوادي صورت مقبرة الناسك «صالح» ويليها منظر لوادي «الراحة» الذي يزعم المؤرخين اليهود بأنه المكان الذي عسكر فيه الاسرائيليون عند خروجهم من مصر!!

واخيرا «دير سانت كاترين» الذي يمثل هدفا اساسيا في الرحلة ويظهر من زوايا مختلفة باستحكماته الحجرية الجافة والأفنية التي تطل عليها مباني مختلفة ـ الحديقة ـ الكنيسة ومنظر لبعض الرهبان..

ونمضي فنصعد القمتين شديدتا الانحدار المزودتين بدرج منحوت في الصخر - ثم وقفه عند ينابيع موسى - لاحظ السيدة التي ترتدي معطفا وتمسك بمظلة - وأخيرا منظر من أعلى يصور سلسلة الجبال الجرانيتية التي تكاد تجاوز الأفق!

وفي نهاية هذا الاستعراض المتنوع المفصل يتملكنا شعور حتمي بأن «كل شيء يمضي - Tout passe».

ولو استرجعنا هذه الرحلة المرأية - بحس تاريخي - يمكننا التوصل الى تفهم أعمق وأدق للأحوال الإنسانية الدائمة التقلب والتغير..!!

وإن كان من ملاحظة أخيرة، فإن صور مصر التي وصلت إلينا تعتبر - وثائق من نوع خاص جداً - لهذا العصر والمكان؛ وباعتبار آثار حضارة مصر والتوثيق التصويري، من السجلات الهامة والثمينة للتاريخ الاجتماعي، فقد دعمت هذه الصور أحلام شعوب الغرب عن «الشرق».. وقد وثق المصورون والسائحون وخبراء الآثار والمغامرون - مصراً أخرى - لم يعد لها وجود الآن، ولم يبق منها إلا هذه الصور..!!

# ببليوغرافيا


1 - M. Du Camp: Le Nil, Egypte et nubie, Paris; 1854

2 - F. Zevi: Photographers and Egypt in Xixth Century, is published by Fratelli Alinari Editrice «Monte dei paschi» Banking Group, 1984.

3 - F. Beaucour, Y, Laissus: la Découverte De l'Egypte, paris, 1989.

4 - A. Grimm: Ägypten, Die photographische Entdeckung im 19 Jahr hundert, München, 1980.

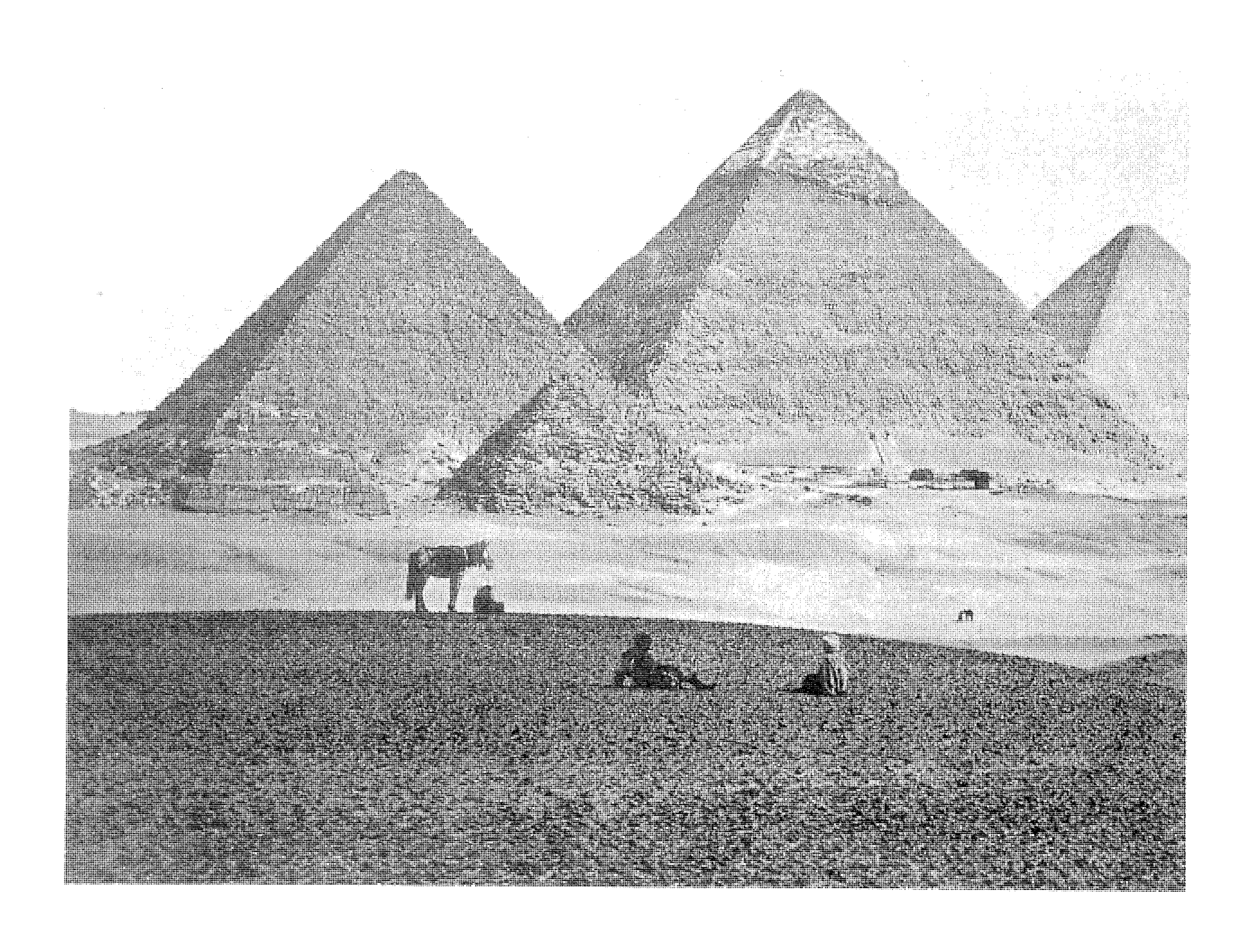
5 - Eva E. Ägypten Fazeination und Abenteuer; PHVZ; 1989.

٦ - د. ادوارد سعيد: «الاستشراق» ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.

القاهِرَة



فندق مينا هاوس القديم واهرامات الجيزة .



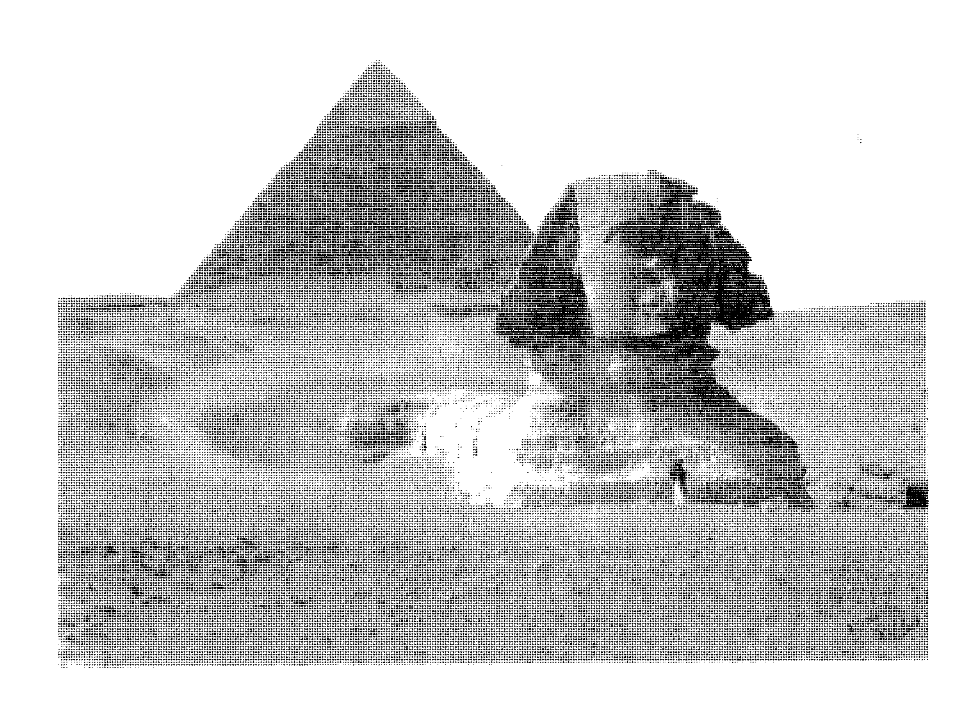
الاهرامات.



الهرم الثاني وأبو الهول وواحة النخيل وفيضان النيل.

أبو الهول قبل ازاحة الرمال عن باقي جسده



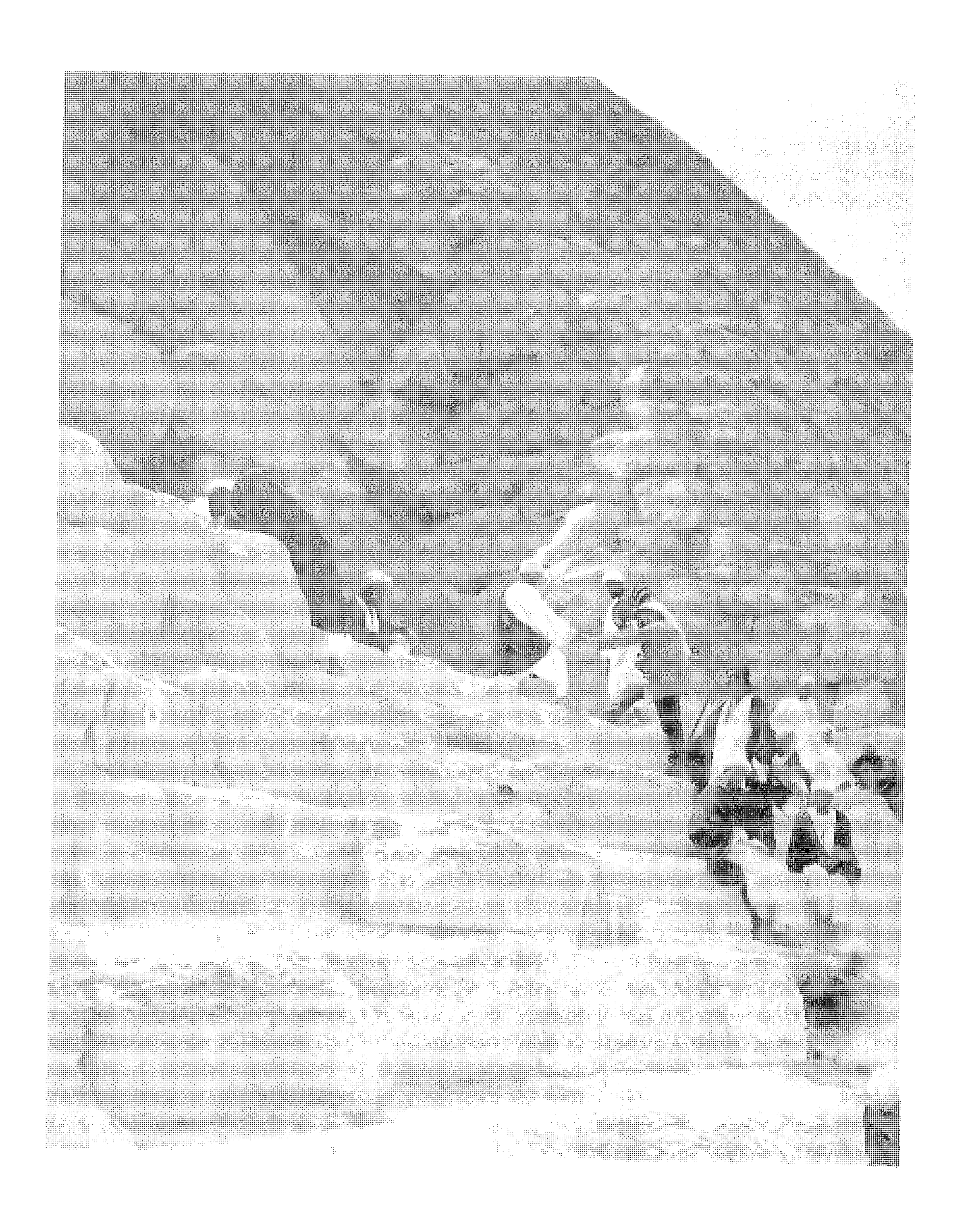


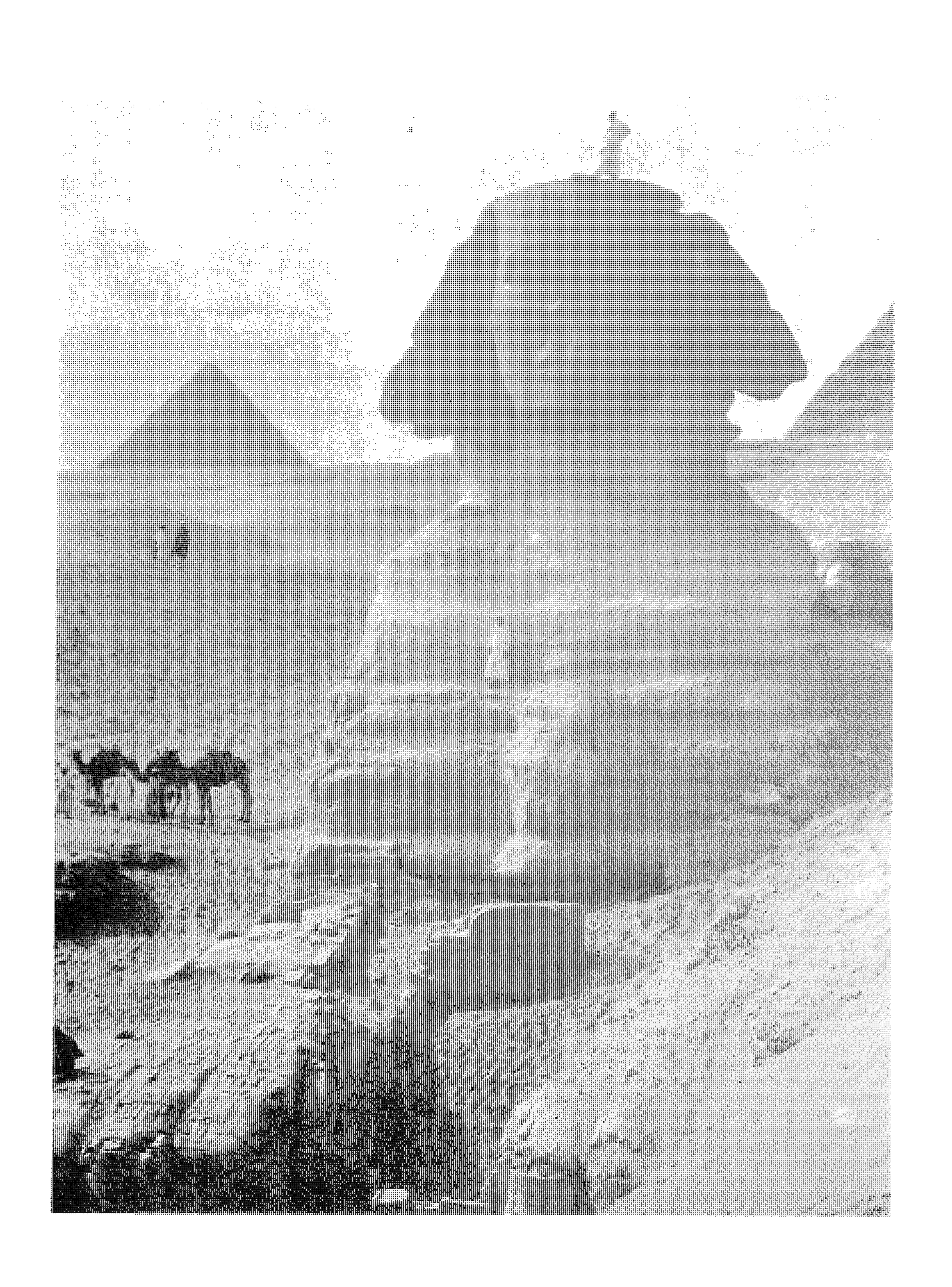
أبو الهول



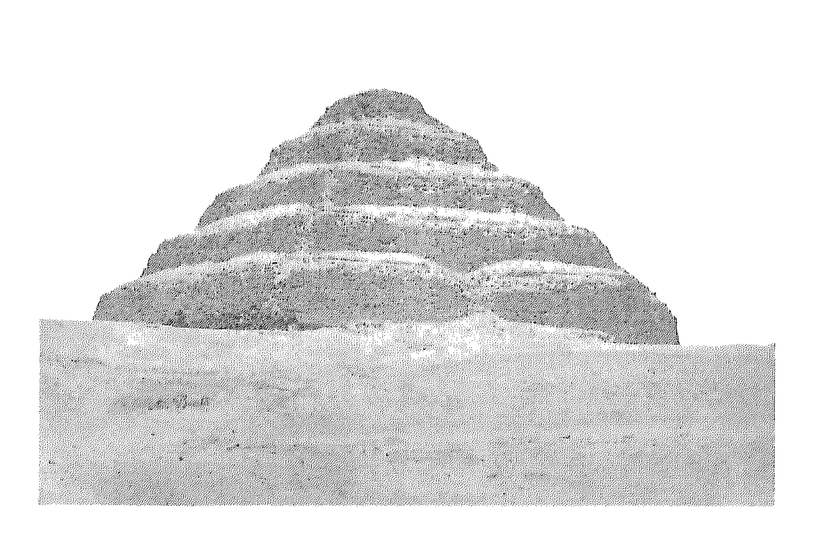
معبد خفرع وأبو الهول والهرم الأكبر.

مدخل الهرم الأكبر.



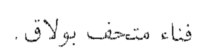


مشهد آخر لأبي الهول.

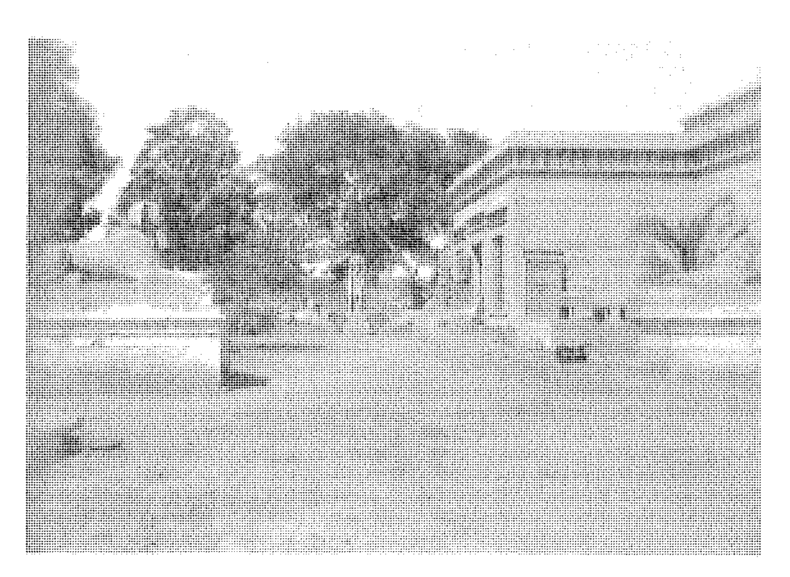


هرم سقارة المدرج.

سلة هليوبوليس



فناء متحف بولاق.



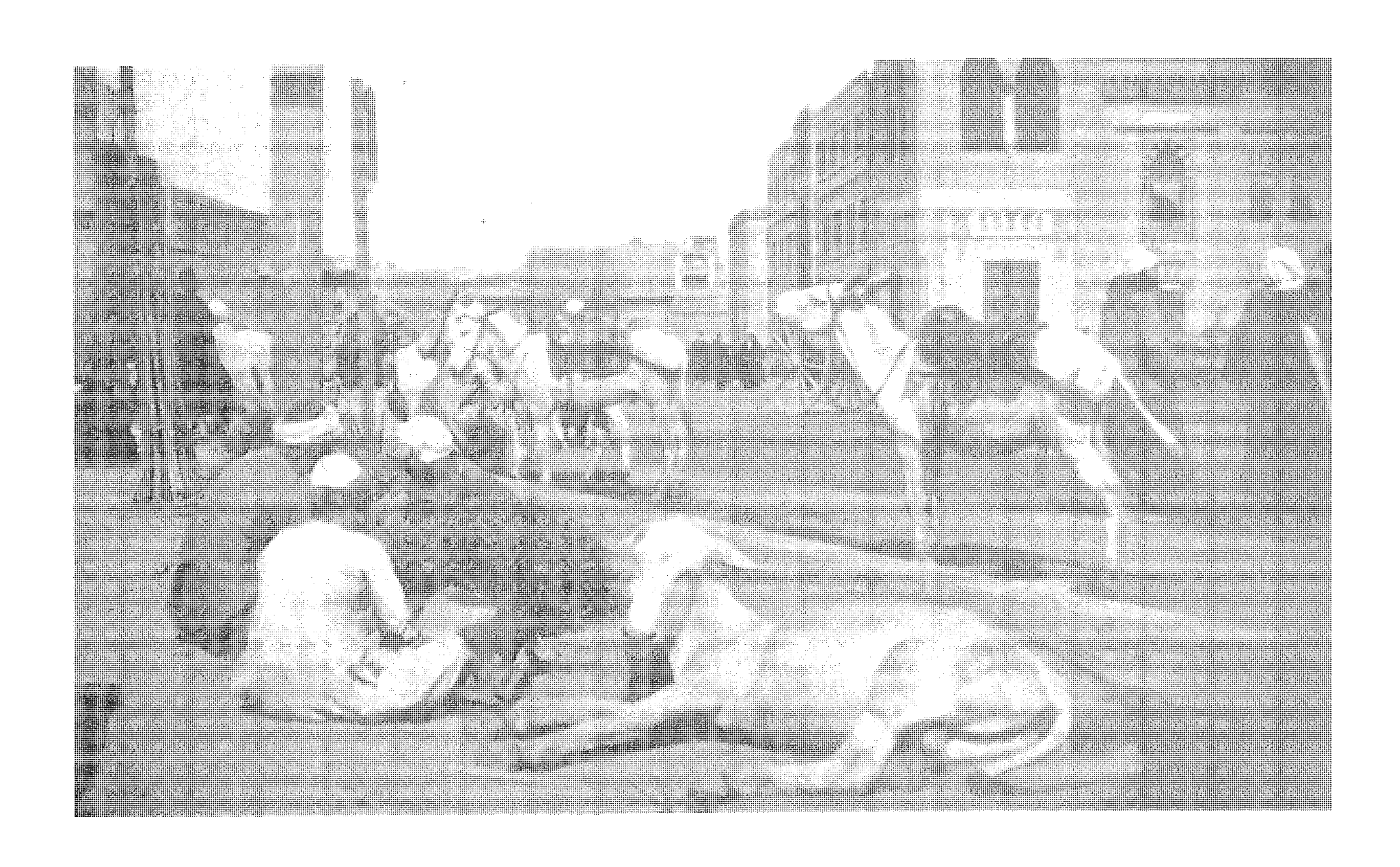




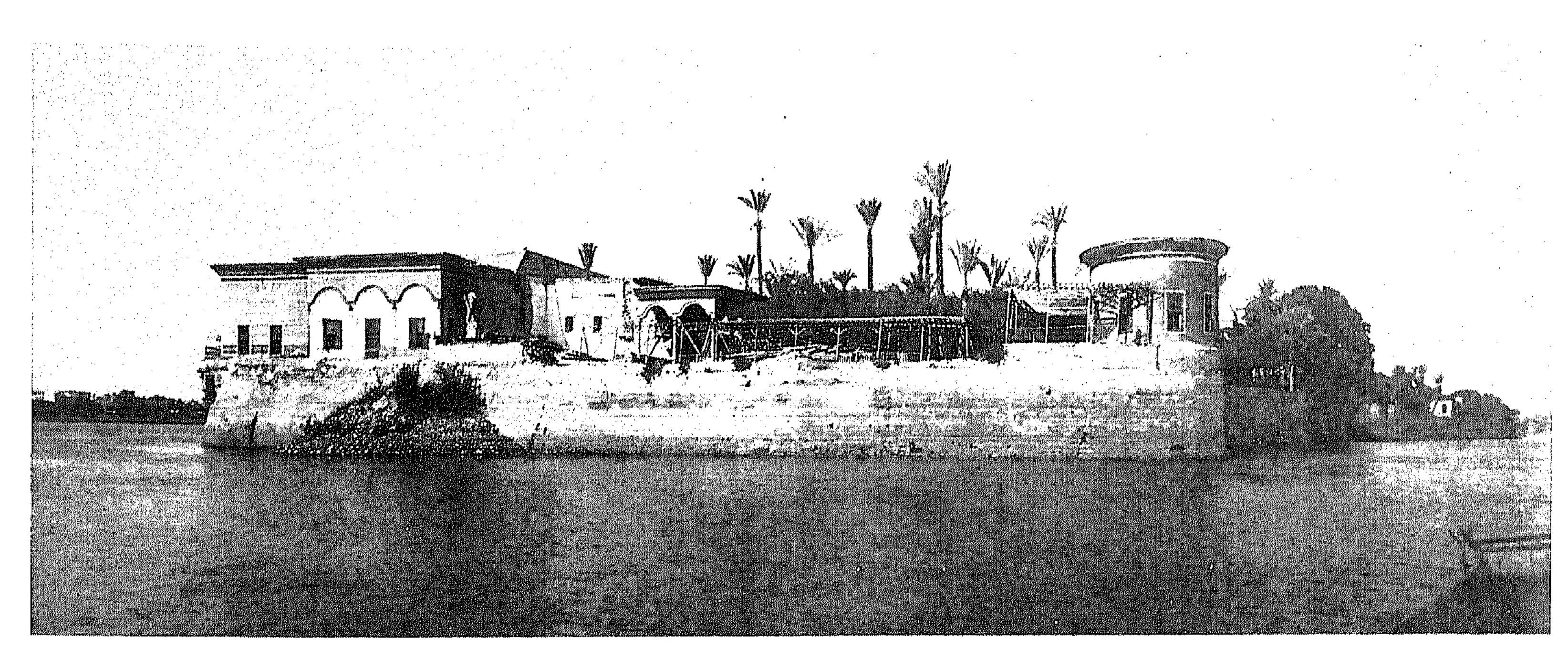
عرض لكنوز مصر داخل متحف بولاق.



شارع الاهرام

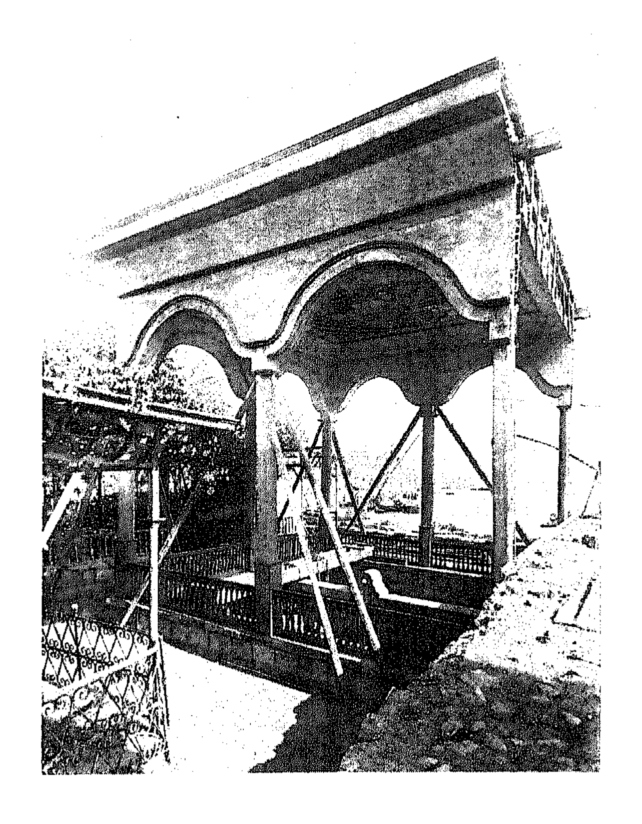


موقف الحمير الشهير بجوار المحطة الرئيسية للسكك الحديدية (باب الحديد).

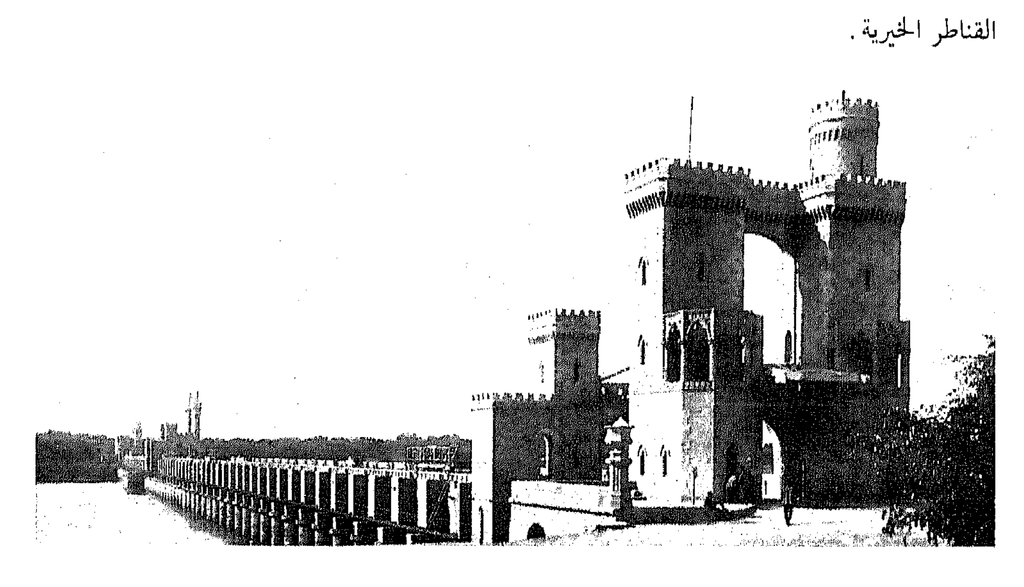


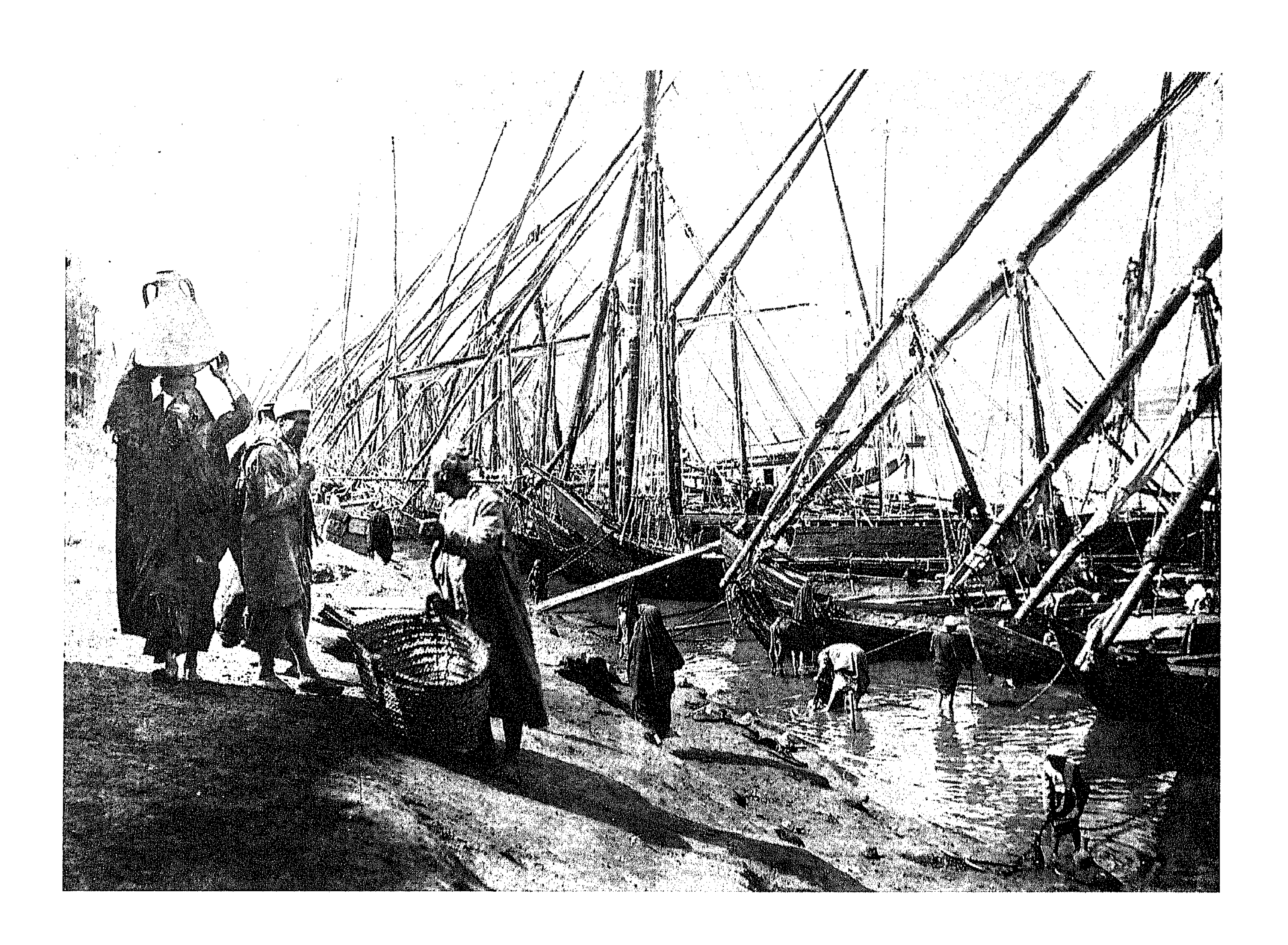
منظر عام لمقياس النيل بجزيرة الروضة .

مقياس النيل بالروضة .



القناطر الخيرية .





مرسى روض الفرج.



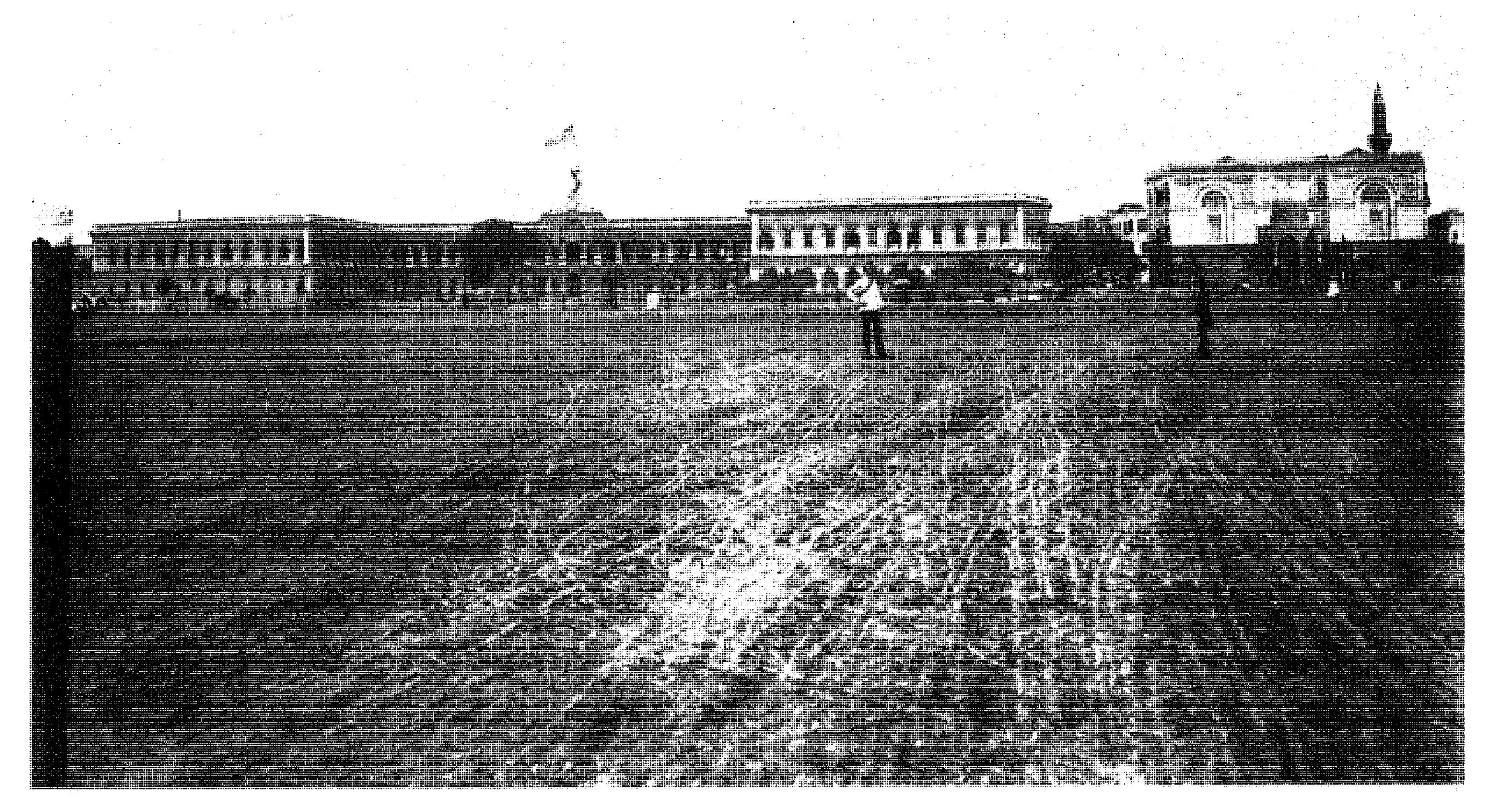
ميدان العتبة الخضراء.



المبنى الرئيسي لهيئة البريد بالعتبة.



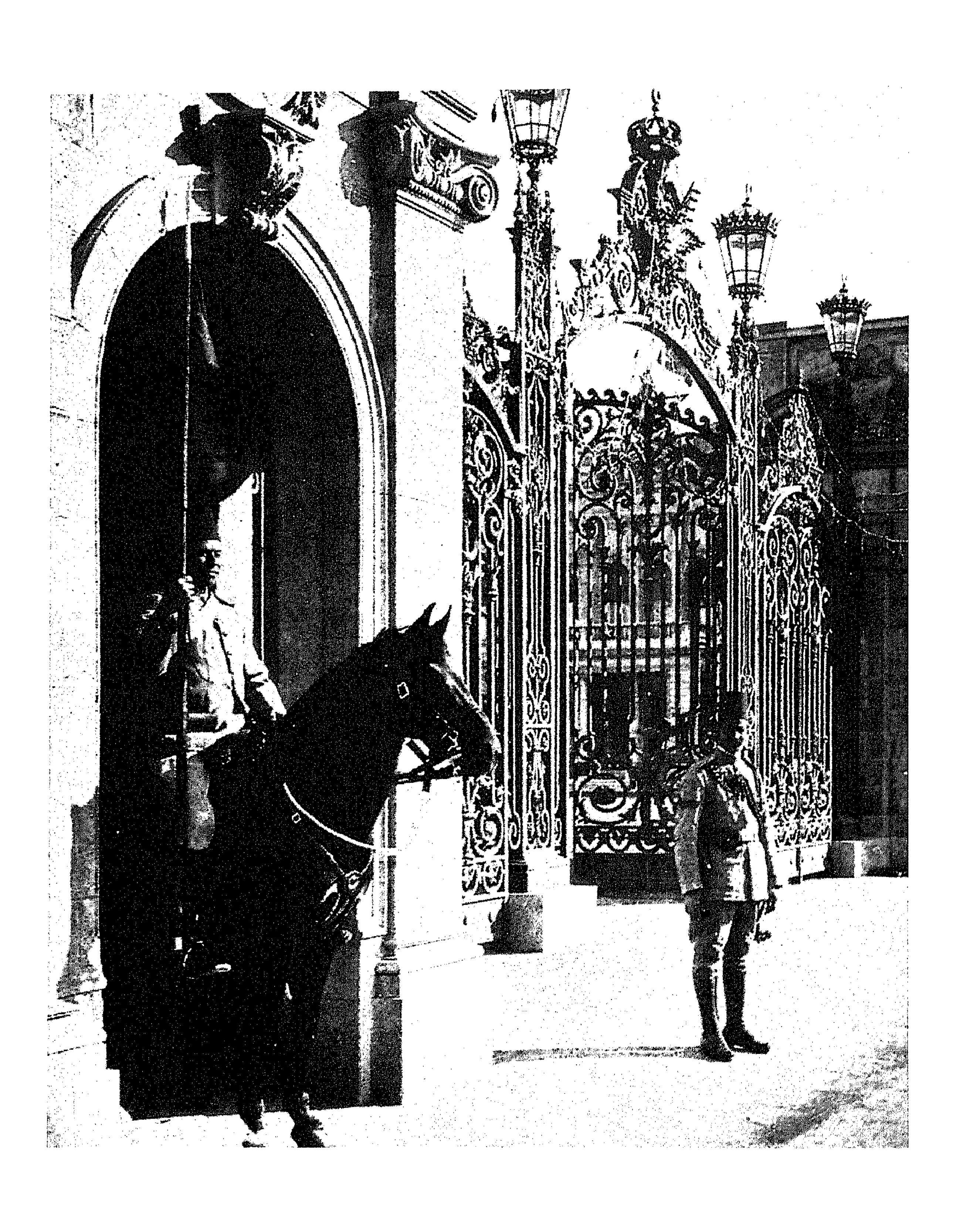
شارع كامل (الجمهورية حالياً).



قصر عابدين.



قسم الشرطة عابدين القديم.

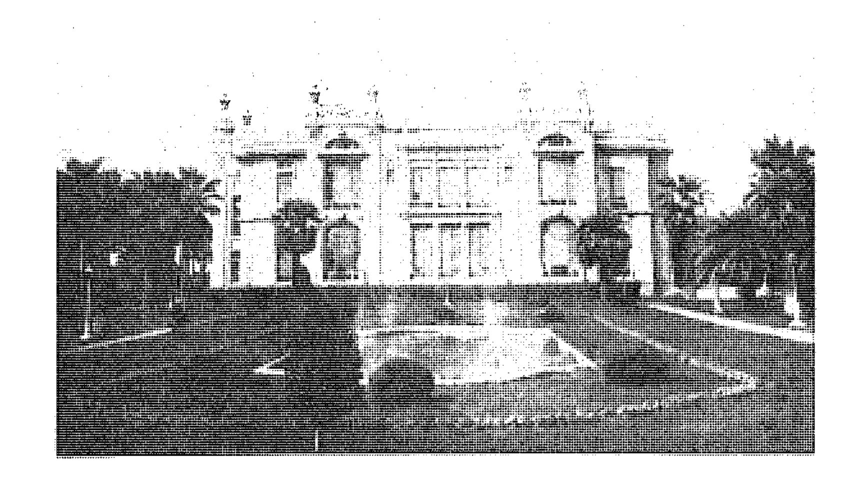


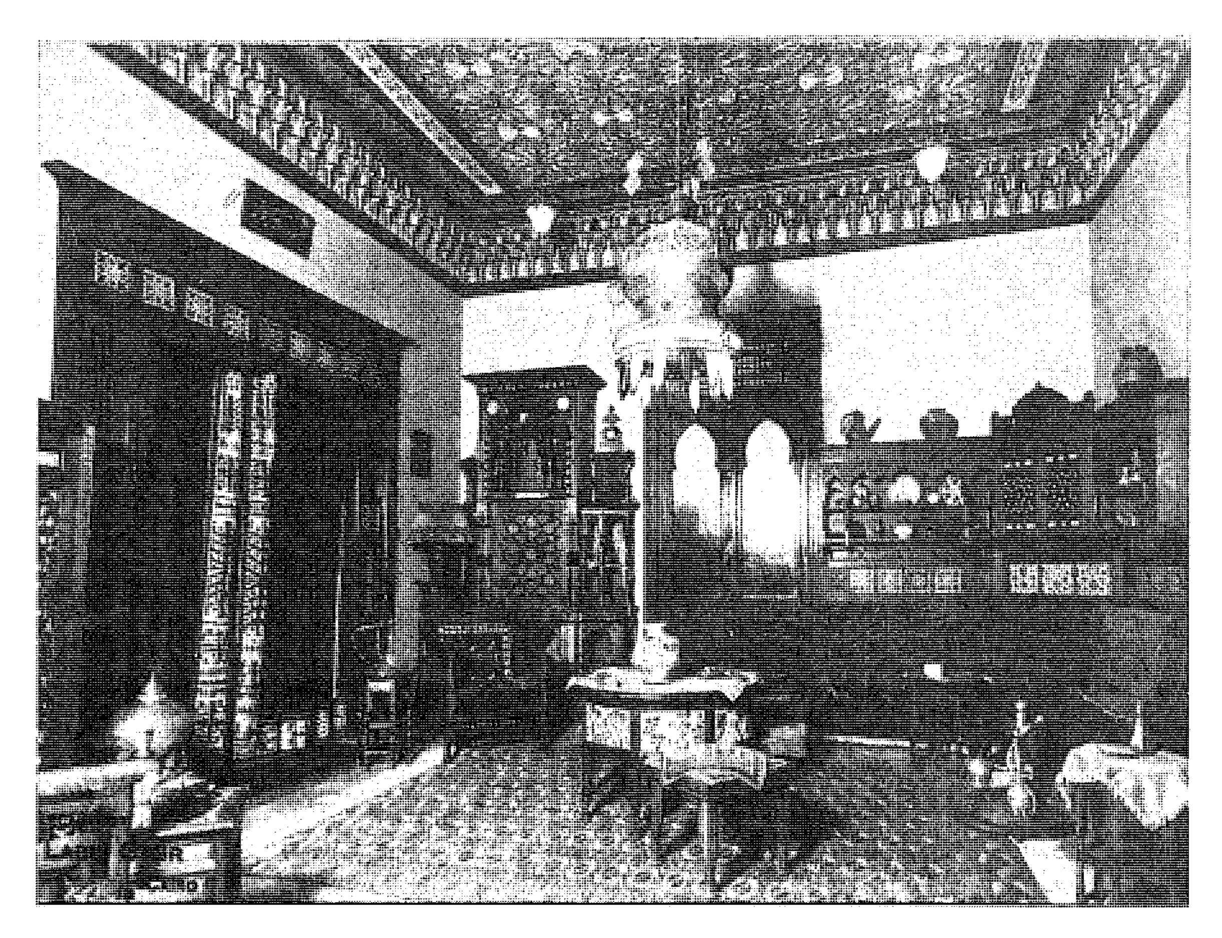
واجهة قصر عابدين في عهد الخديوي توفيق.



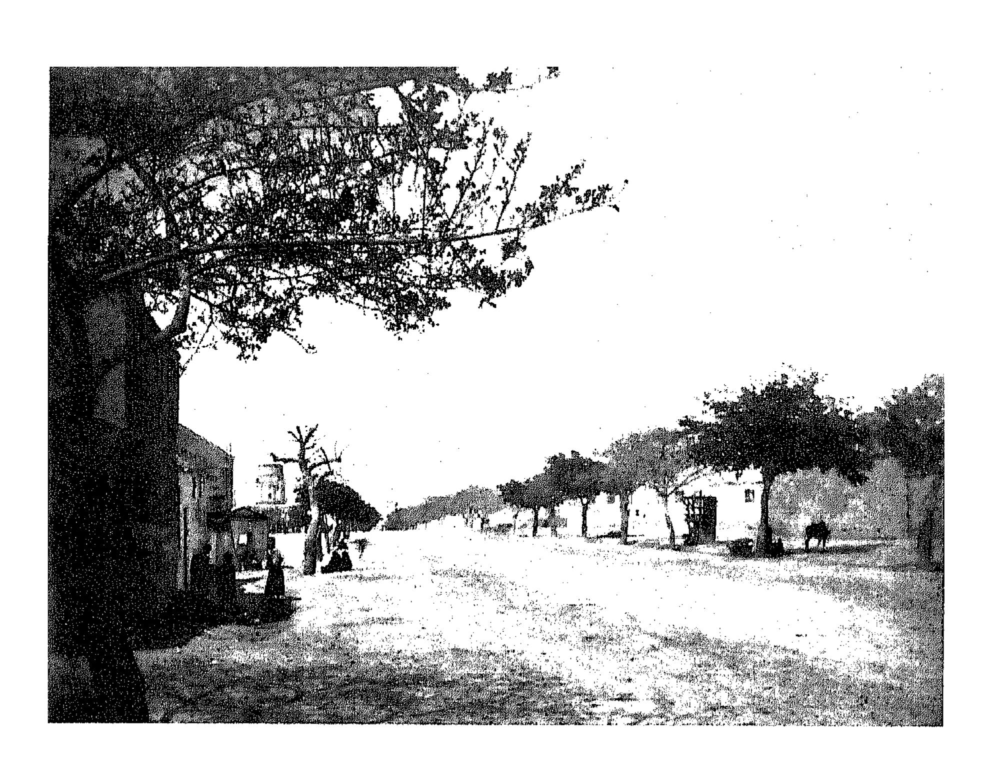
ميدان ابراهيم باشا والأوبرا الخديوية.

فيللا دكتور محمد رضا بالزمالك.





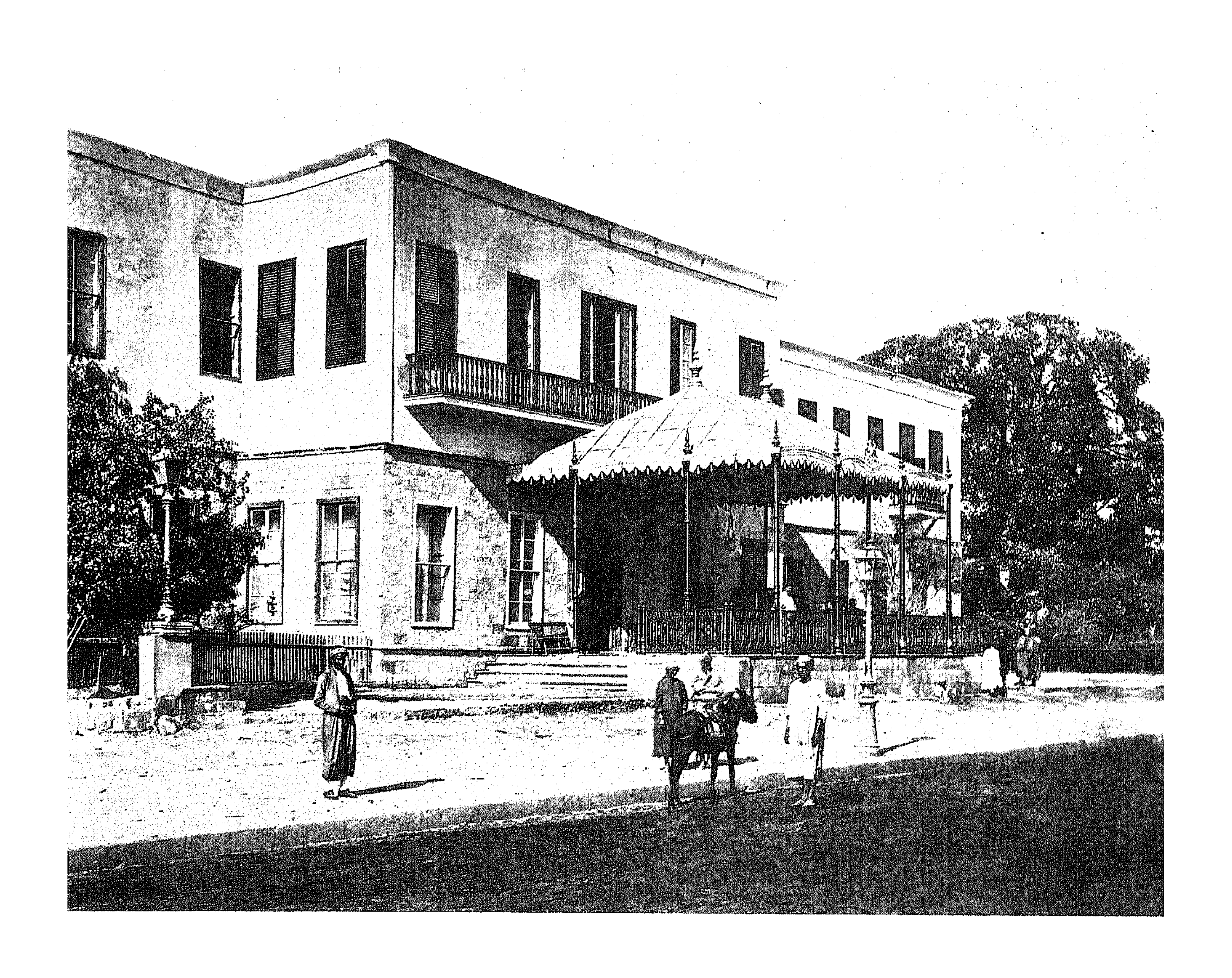
فيللا فتحي بك (صالون عربي).


منظر عام للعباسية.

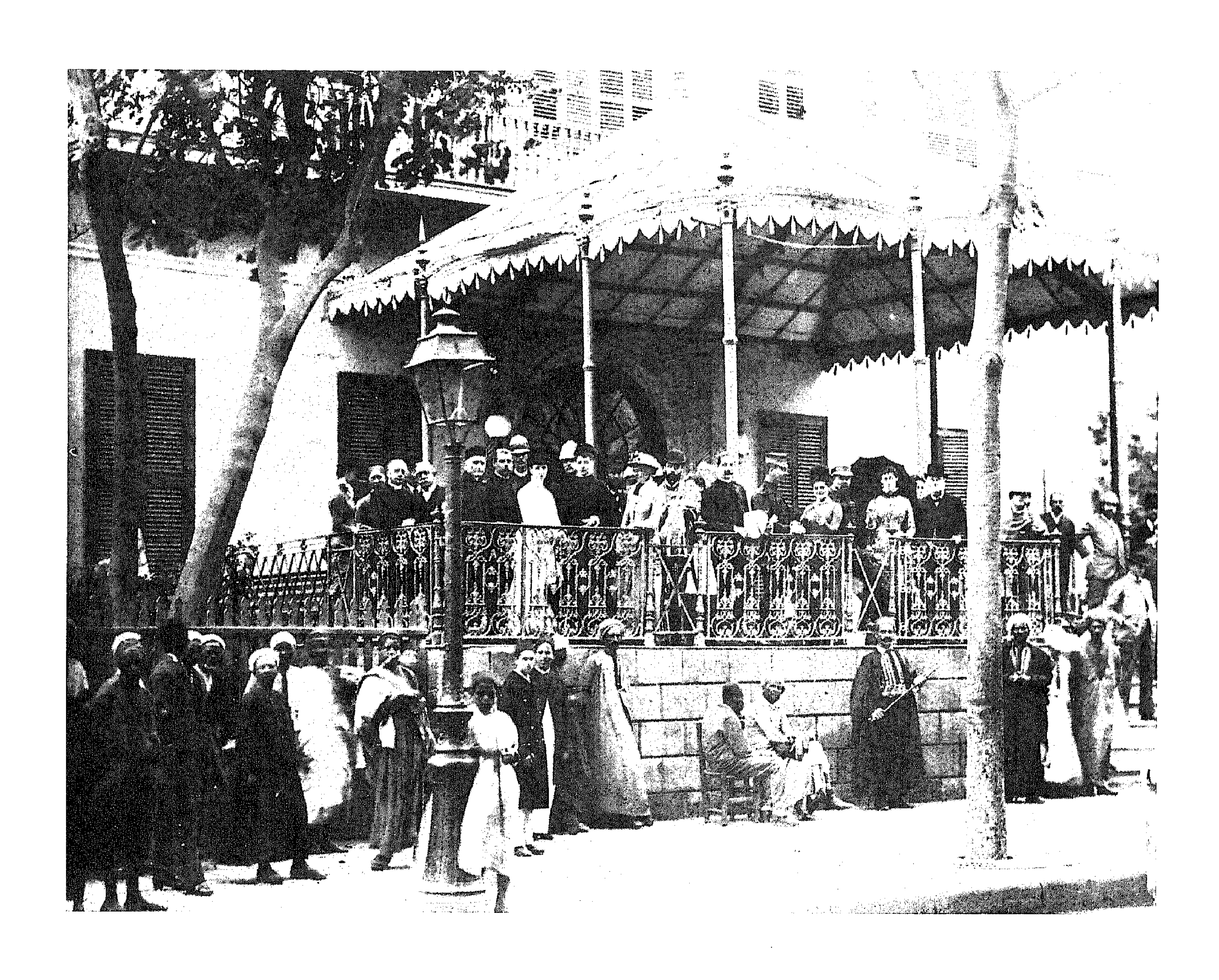

شجرة العذراء بالمطرية.



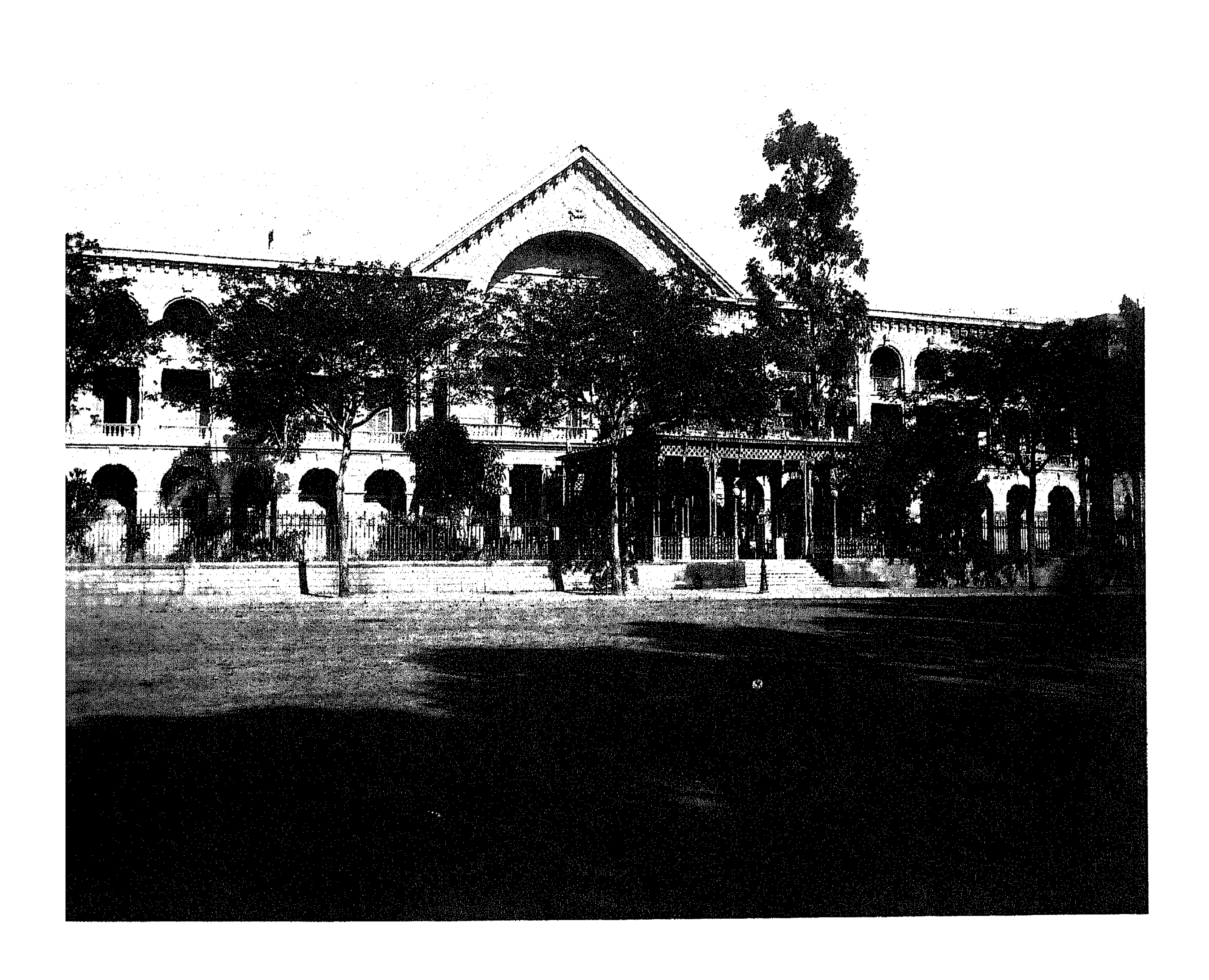
لوكندة سميراميس على النيل ـ القاهرة .



فندق شبرد القديم .



الشرفة الخارجية لفندق شبرد.



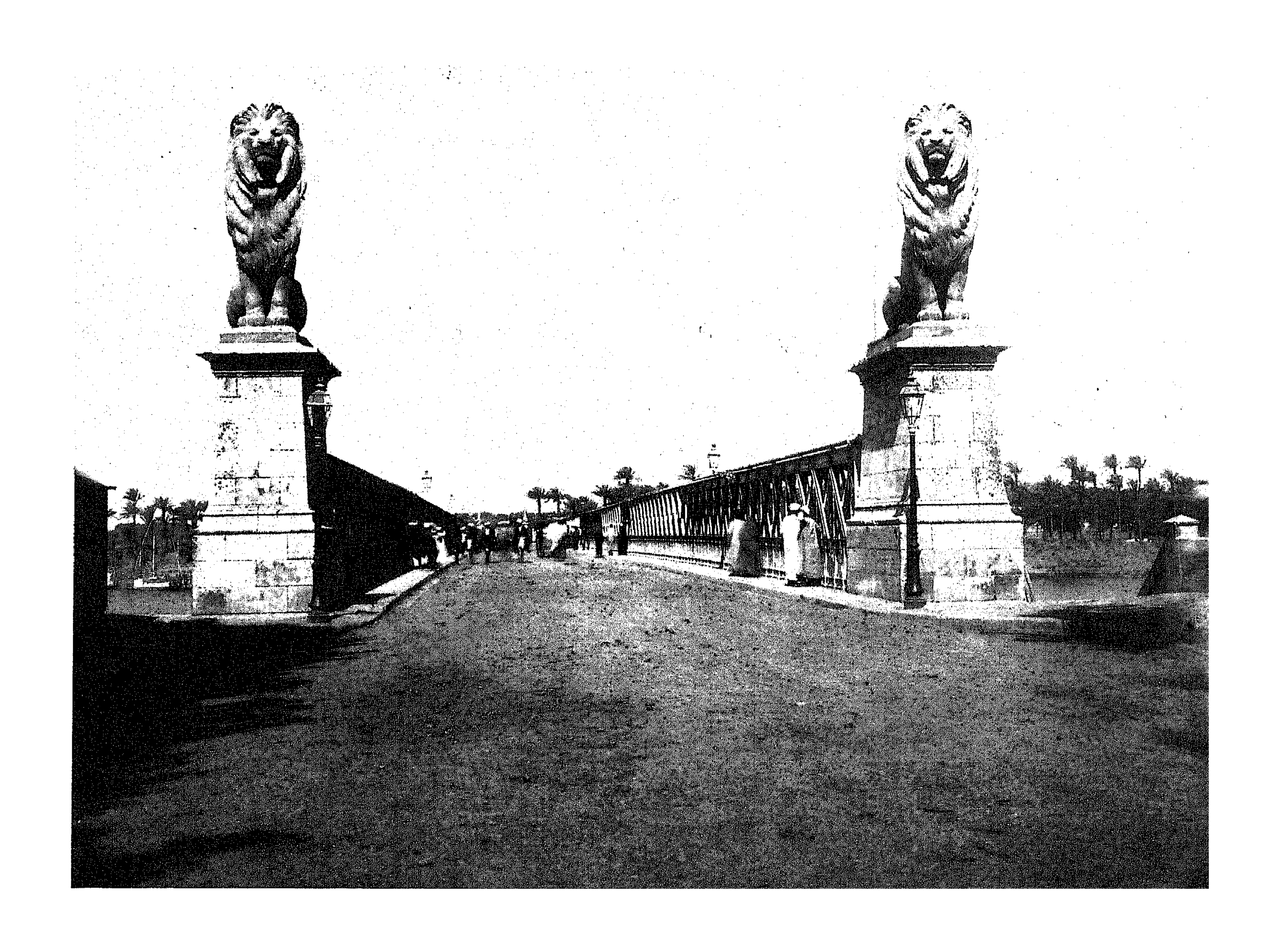
واجهة فندق (جراند أوتيل).



فندق النيل الذي نزل به جوستاف فلوبير ومكسيم دي كامب خلال اقامتهما في القاهرة ٤٩ ـ ١٨٥٠ .



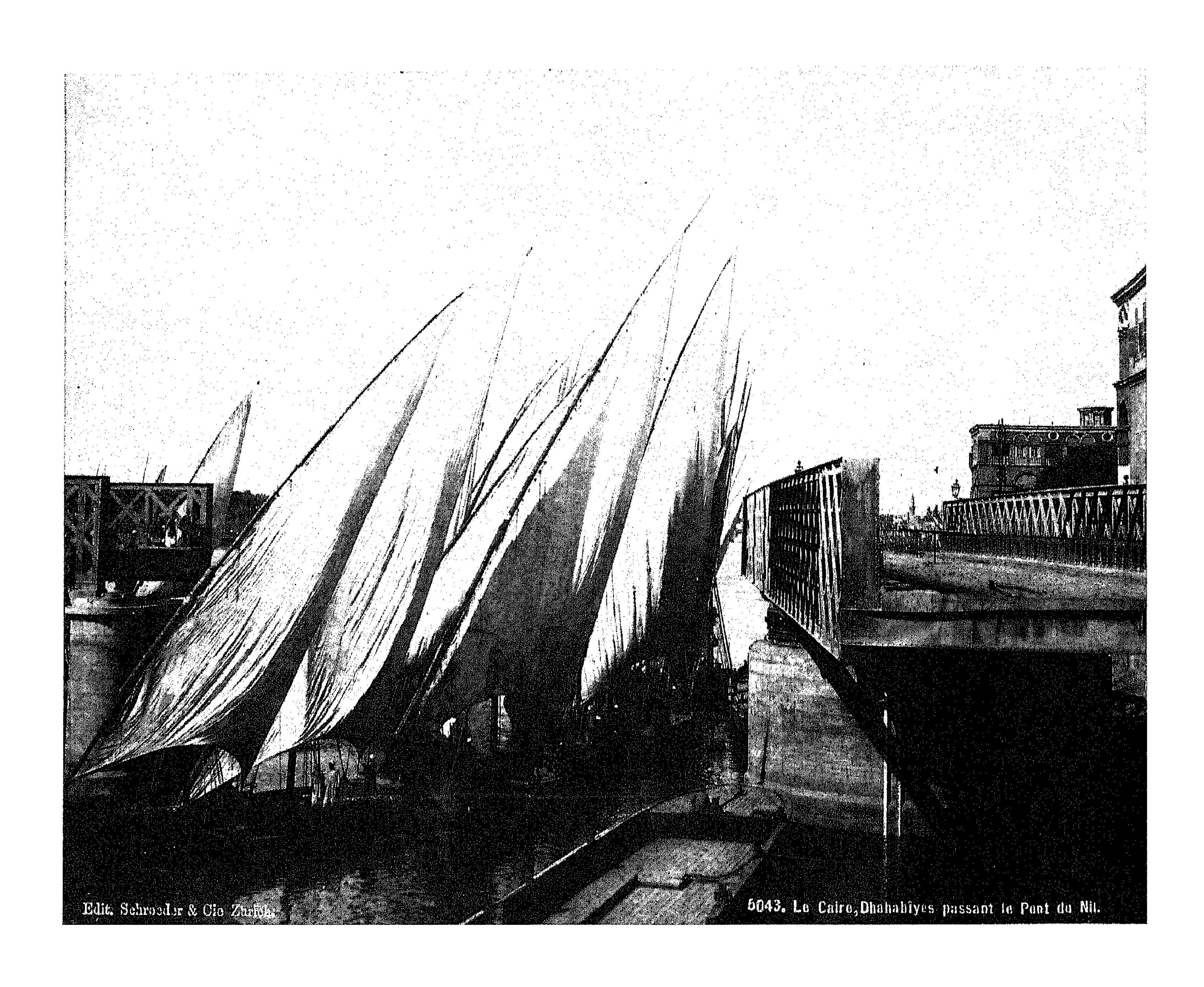

كوبري قصر النيل القديم.



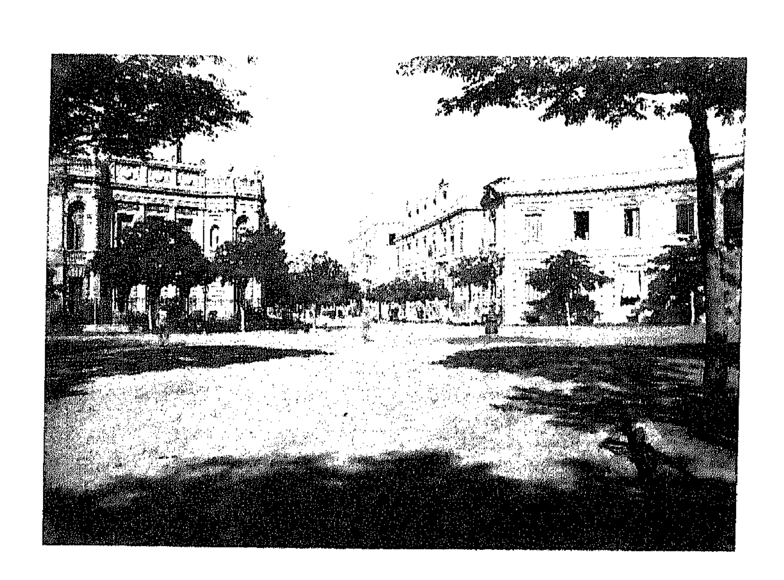
كوبري الخديوي اسماعيل (قصر النيل) القديم.



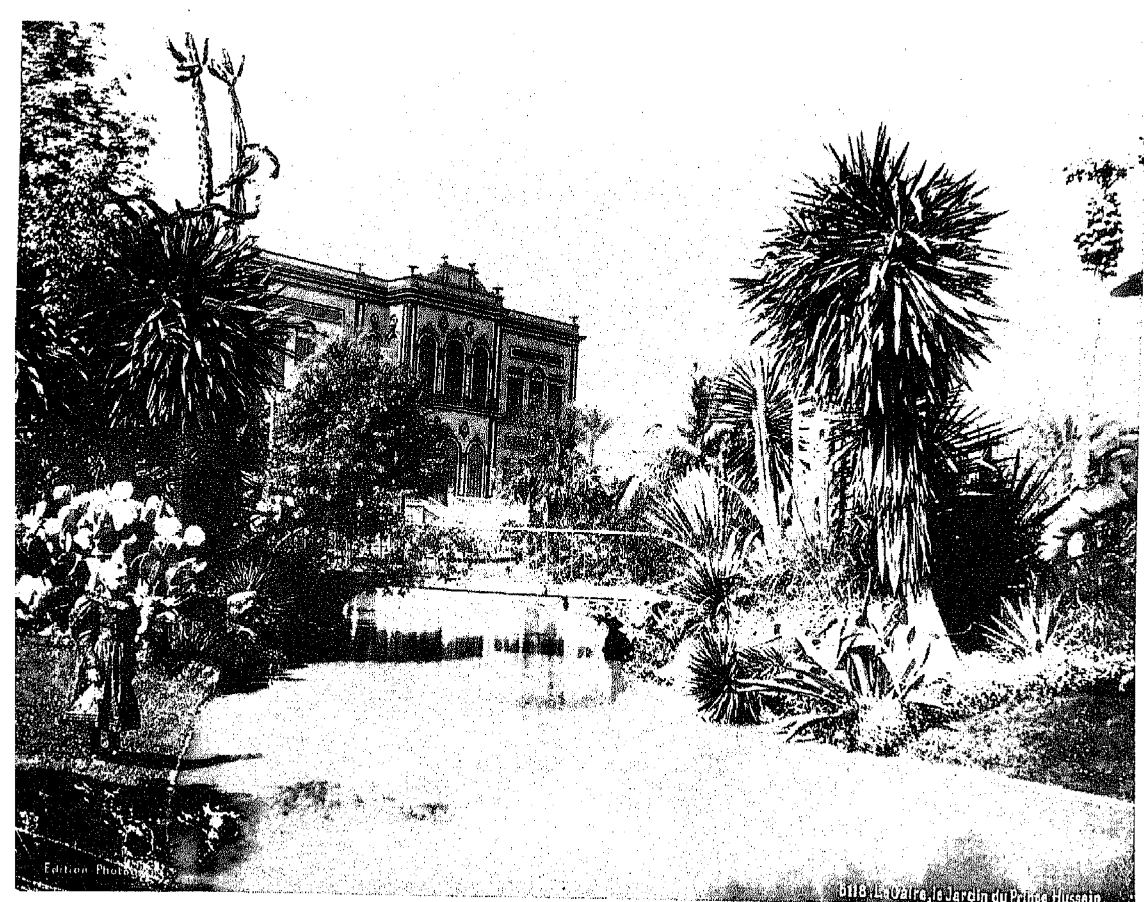

بالقرب من ثكنات قصر النيل.




فتح كوبري قصر النيل القديم ومرور الدهبيات.



شارع الاسماعيلية (التحرير).



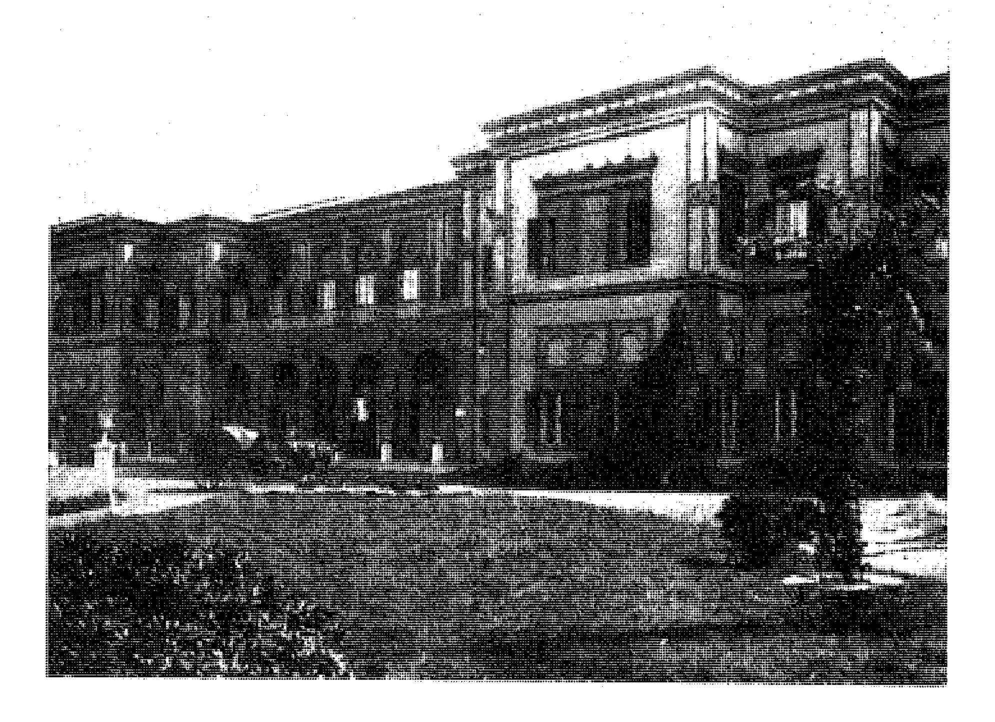

حديقة قصر البرنس حسين كامل، (السلطان).



النيل بمصر القديمة.

حديقة وقصر الجزيرة (عمر الخيام ـ ماريوت) بالزمالك.



قصر الجزيرة.



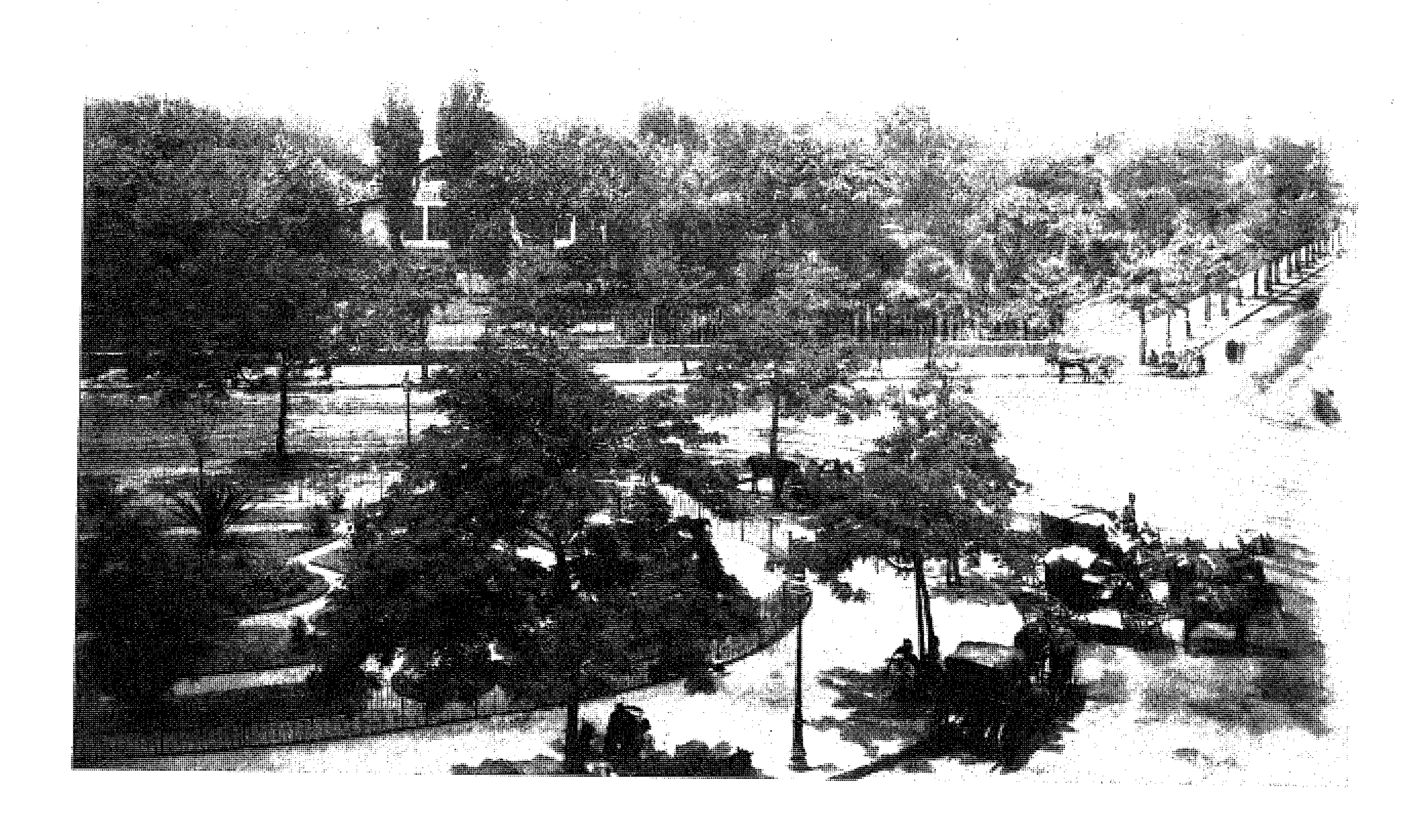
كشك وبحيرة قصر الجزيرة.



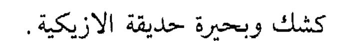
شارع بولاق (فؤاد الأول ـ ٢٦ يوليو).



نزهة بالجزيرة.



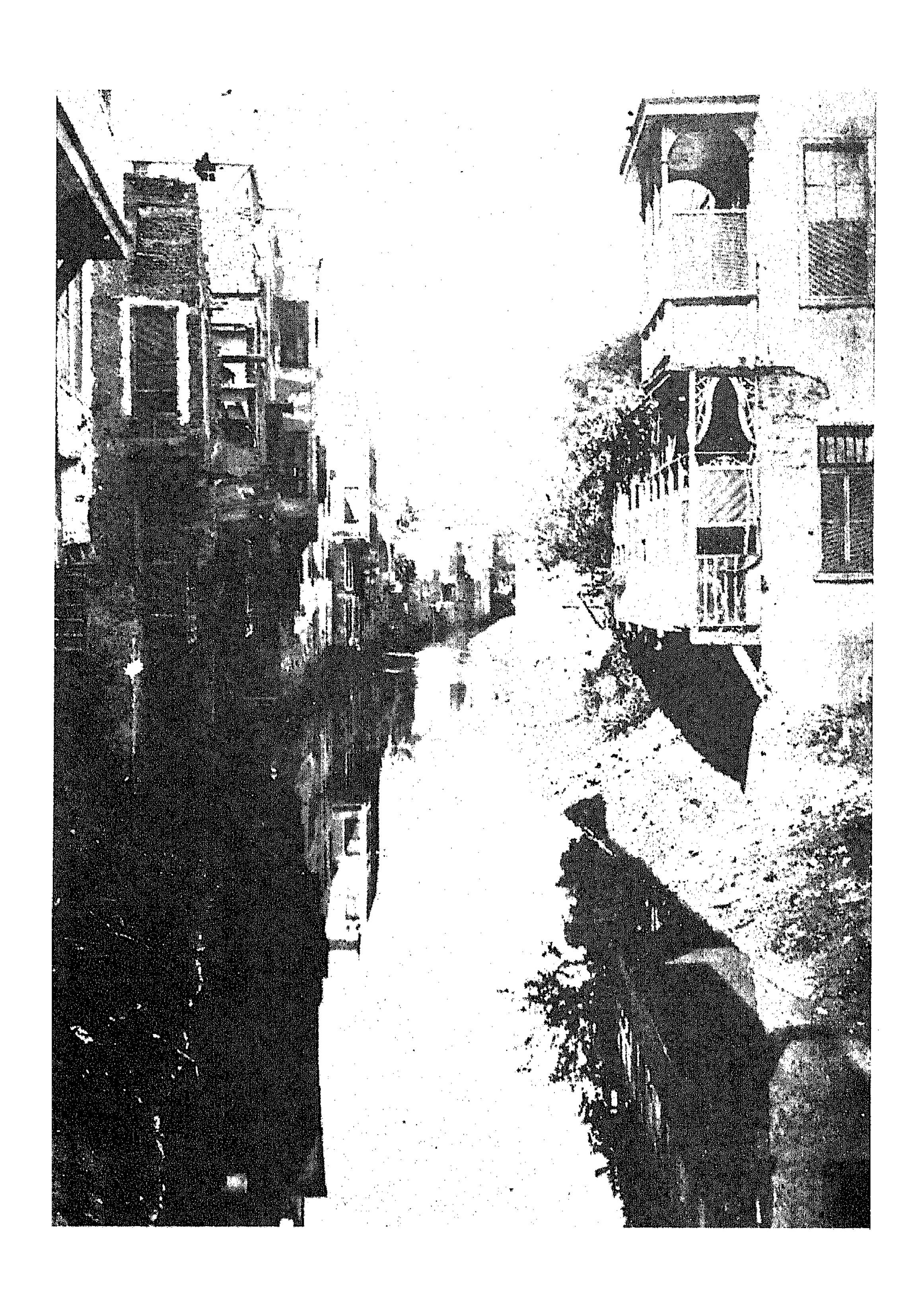
حدائق الازبكية.



كشك وبحيرة حديقة الازبكية.

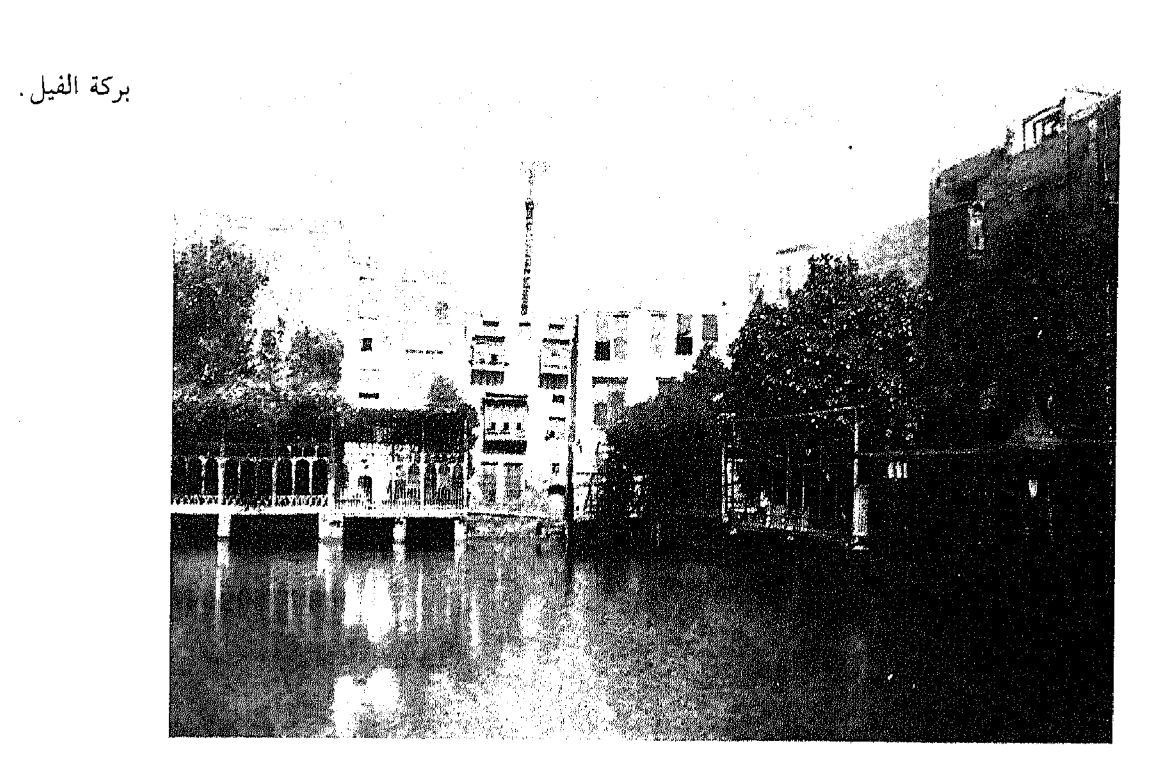


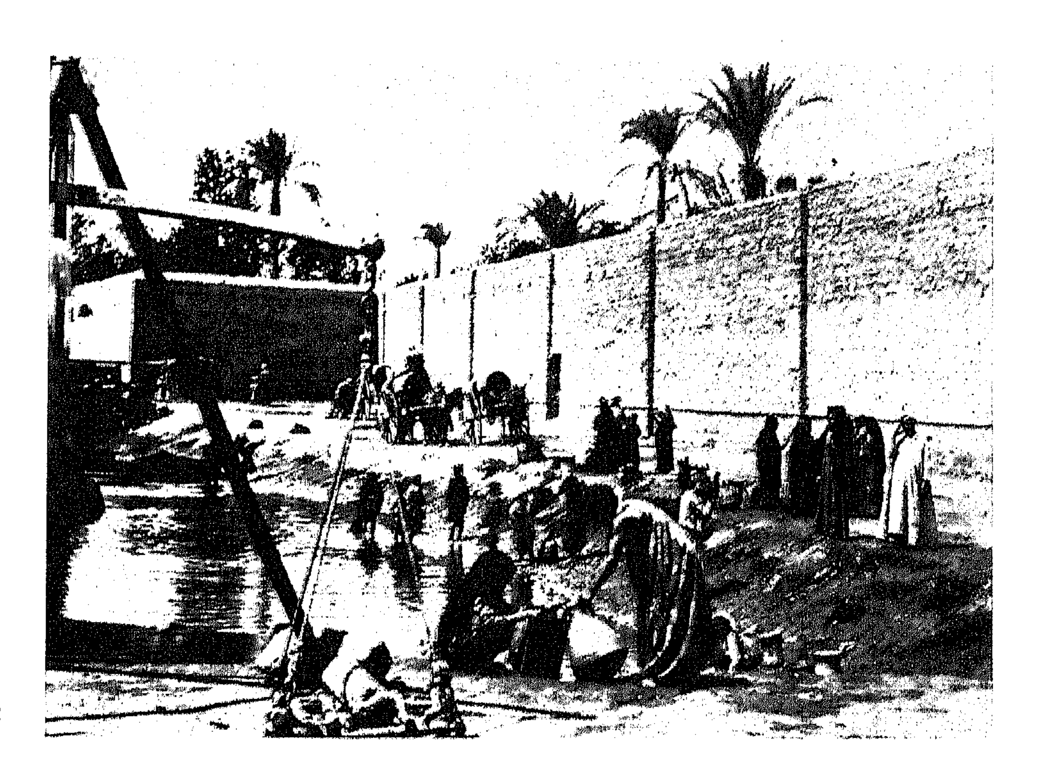
الخليج المصري (شارع الخليج ـ شارع بور سعيد).



الخليج المصري (شارع الخليج - بور سعيد).

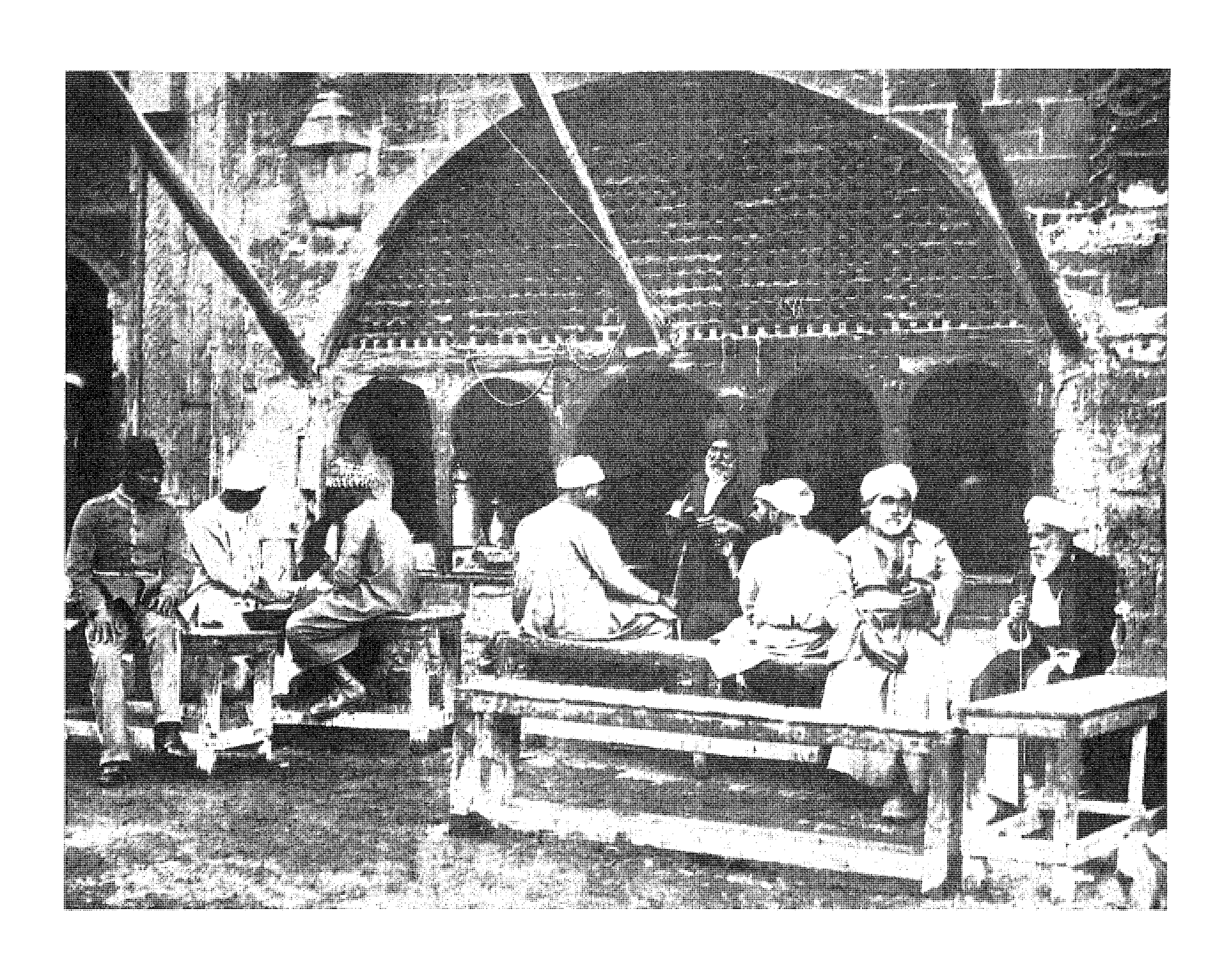
بركة الفيل.



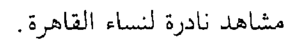


بركة الفيل.





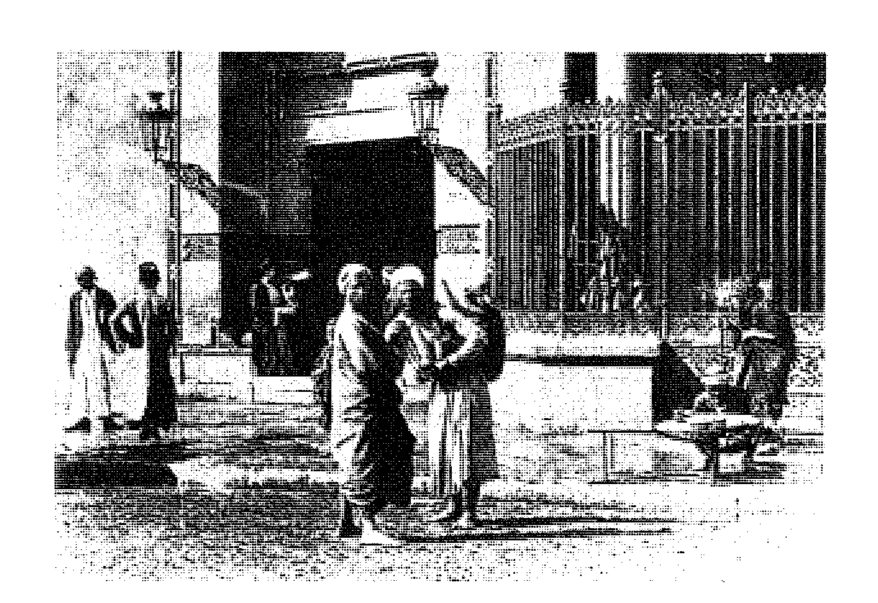
مقهى بلدي عام ١٨٧٠ .



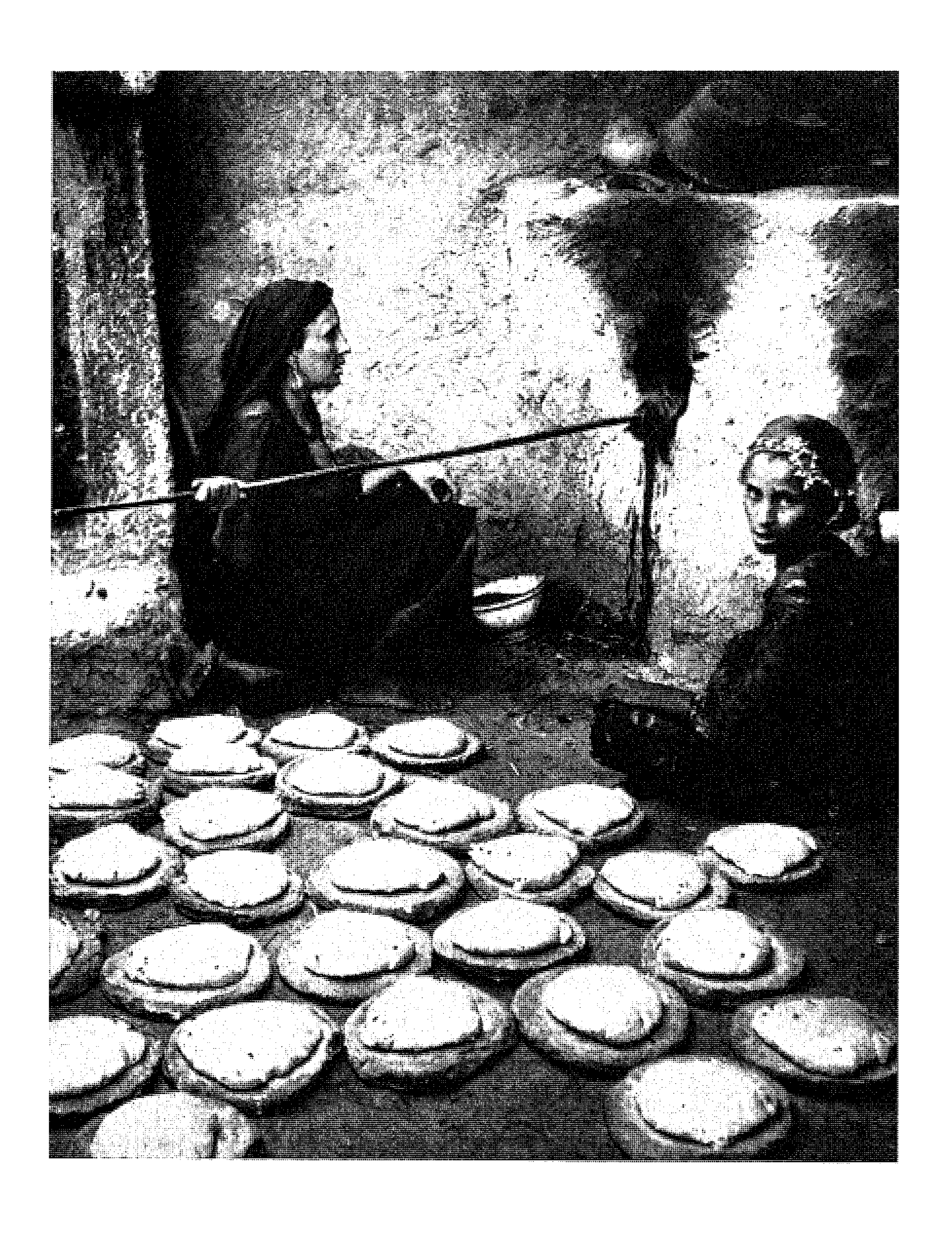
مشاهد نادرة لنساء القاهرة.







مشاهد من الحياة الاجتماعية لأهل القاهرة.



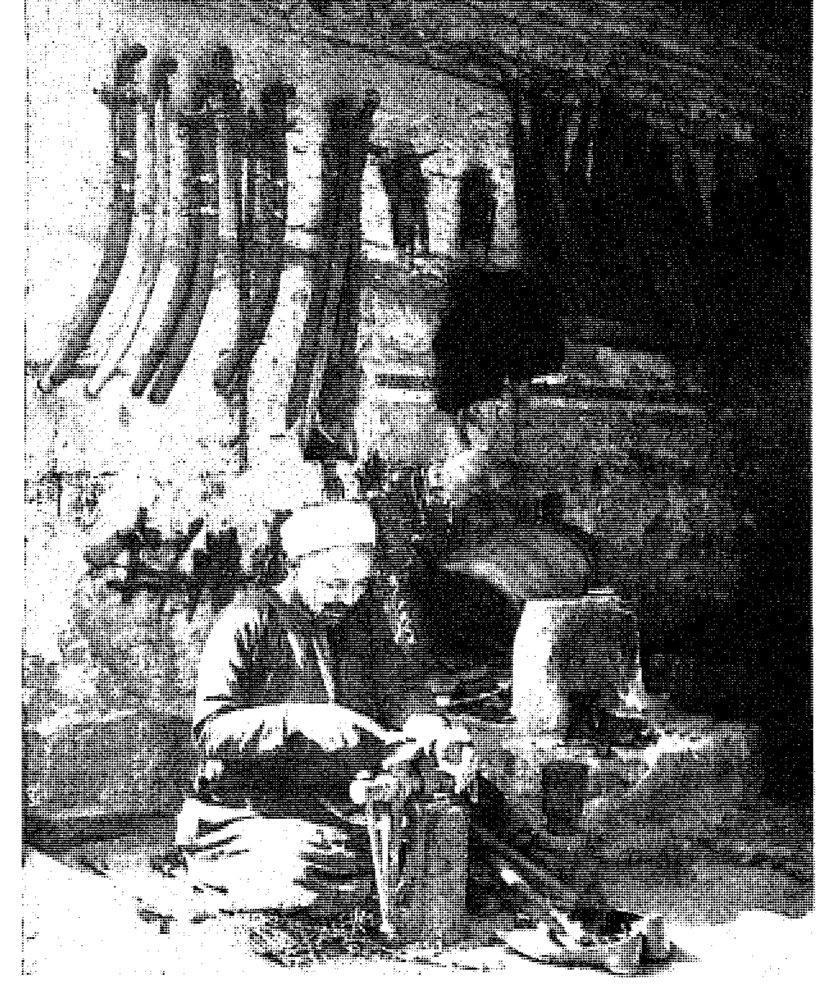
فرن منزلي والعيش الشمسي.

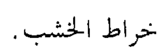
في الكتاب.



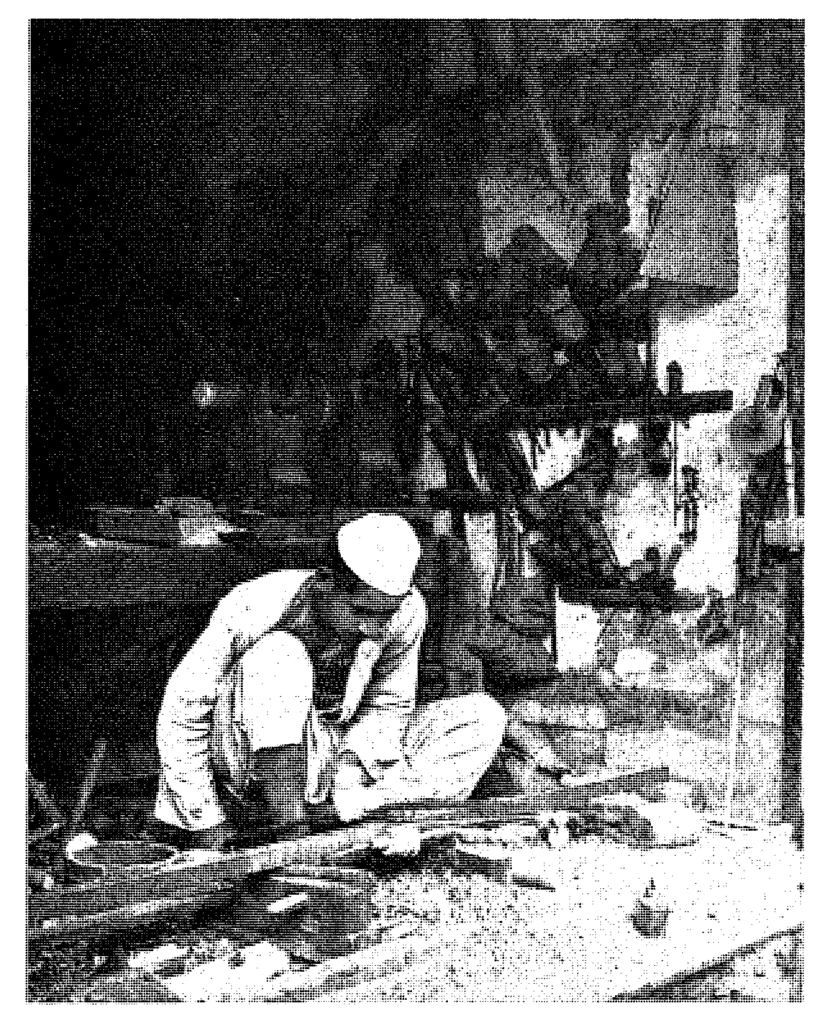
مشهد نادر لحفل الدوسة.

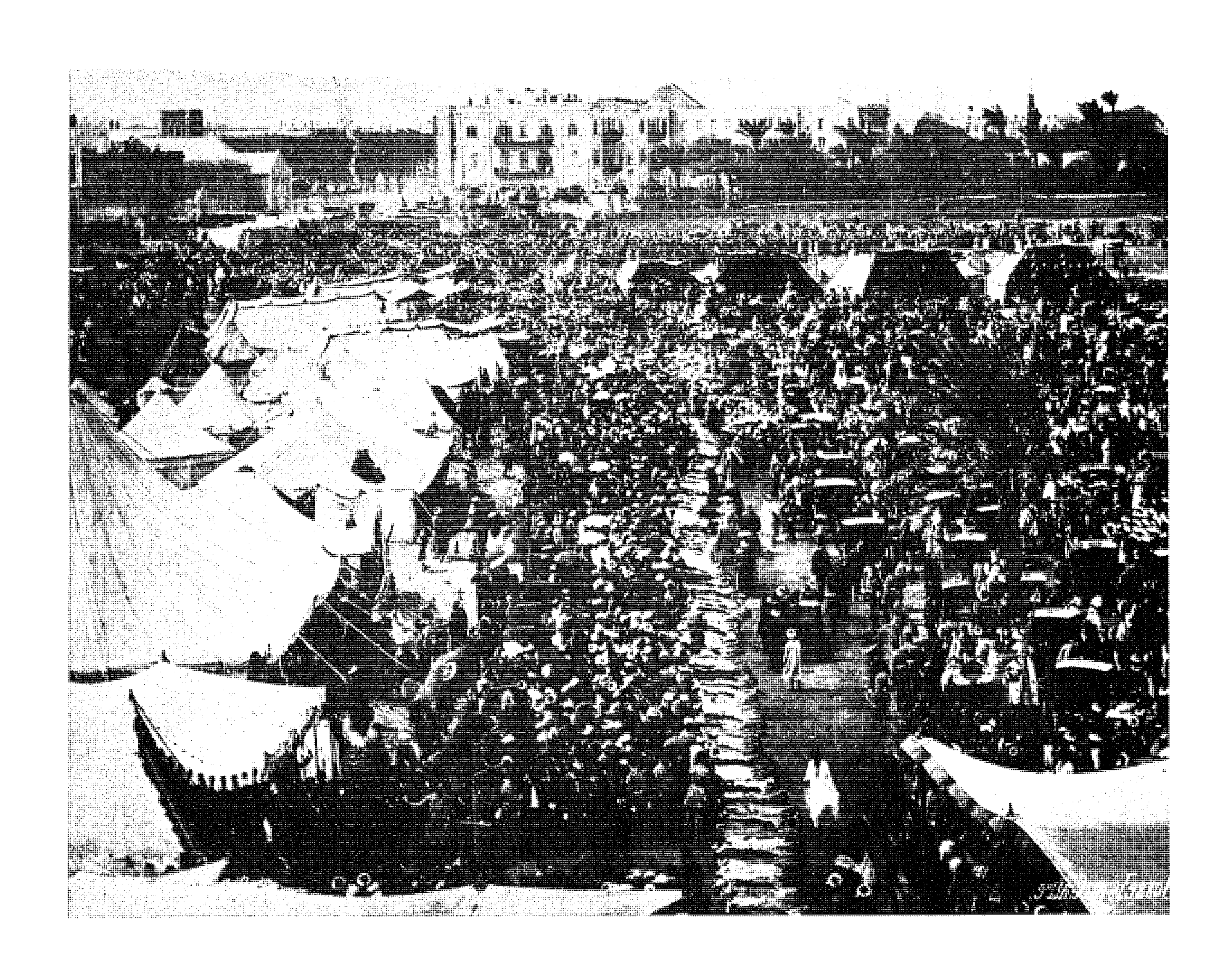
صانع السيوف.





خراط الخشب.

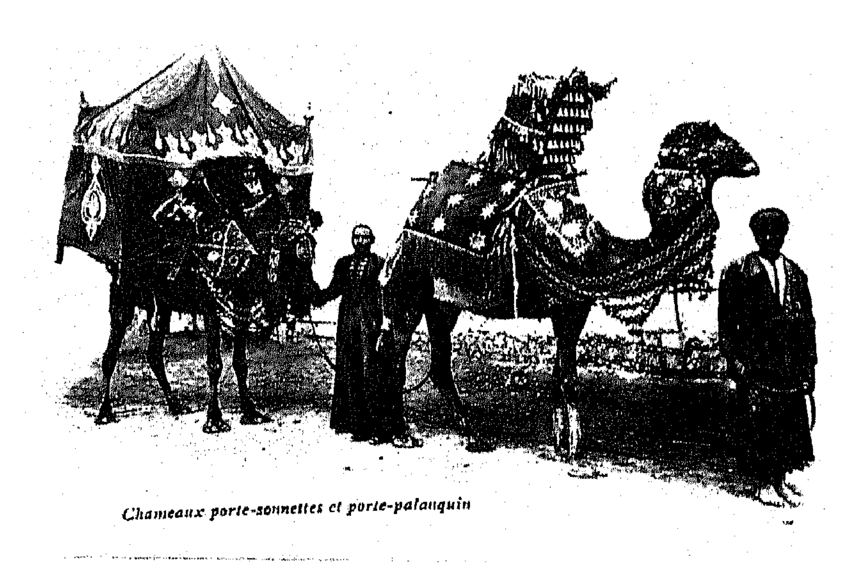




المحمل الشريف.



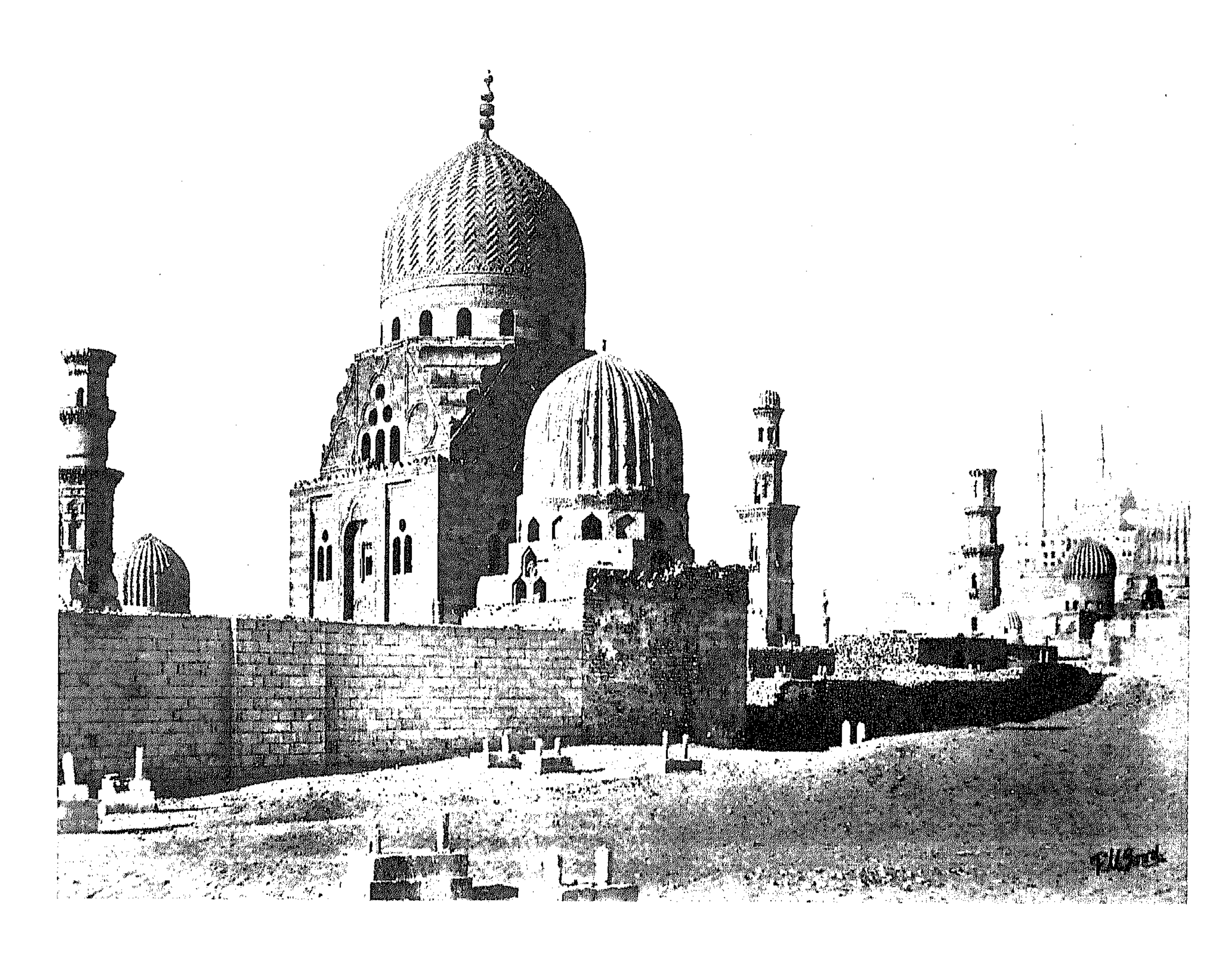
التختروان (الهودج) وزفة العروس.



*Chameaux porte-sonnettes et porte-palanquin*

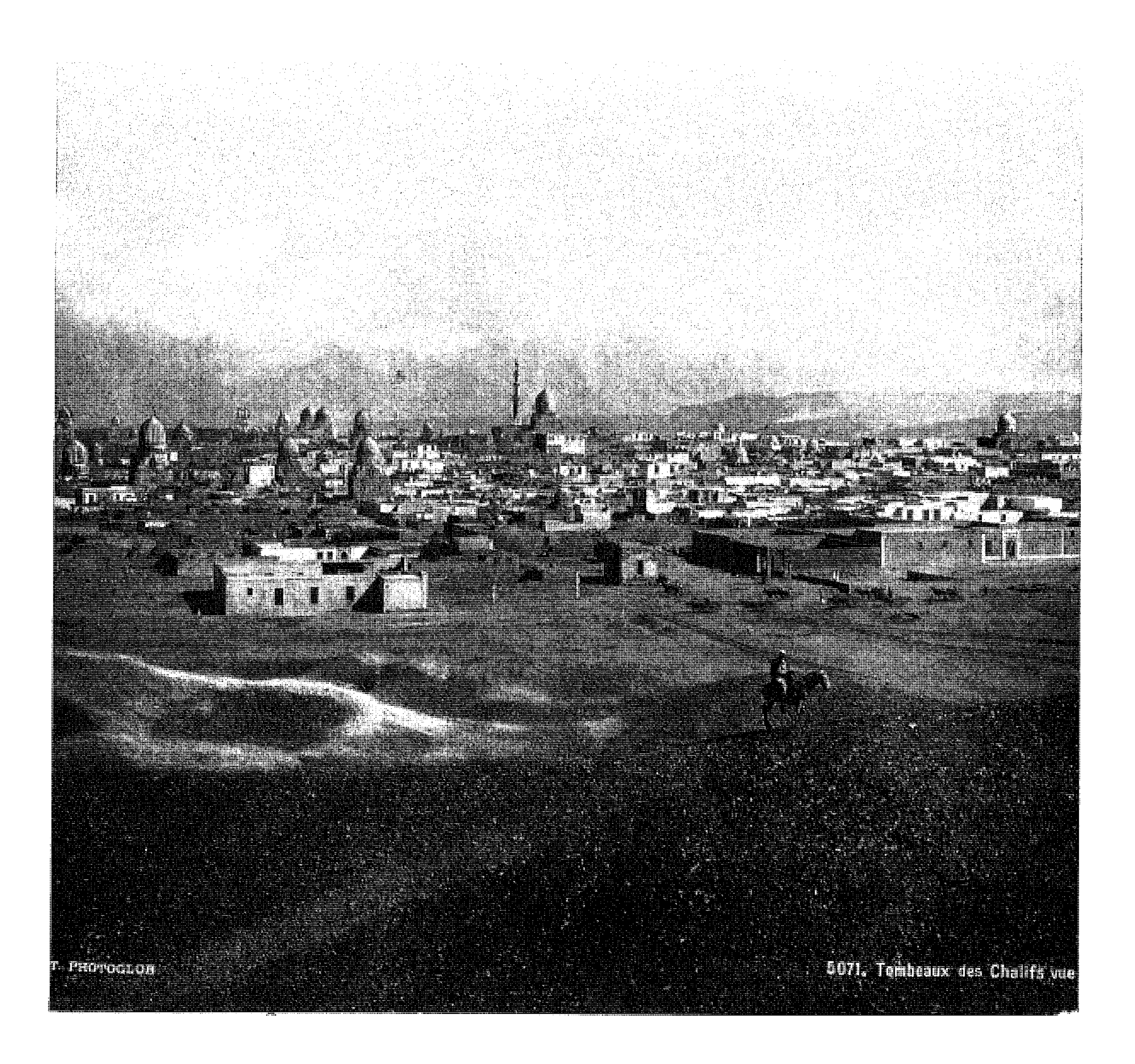


عودة المحمل من مكة .

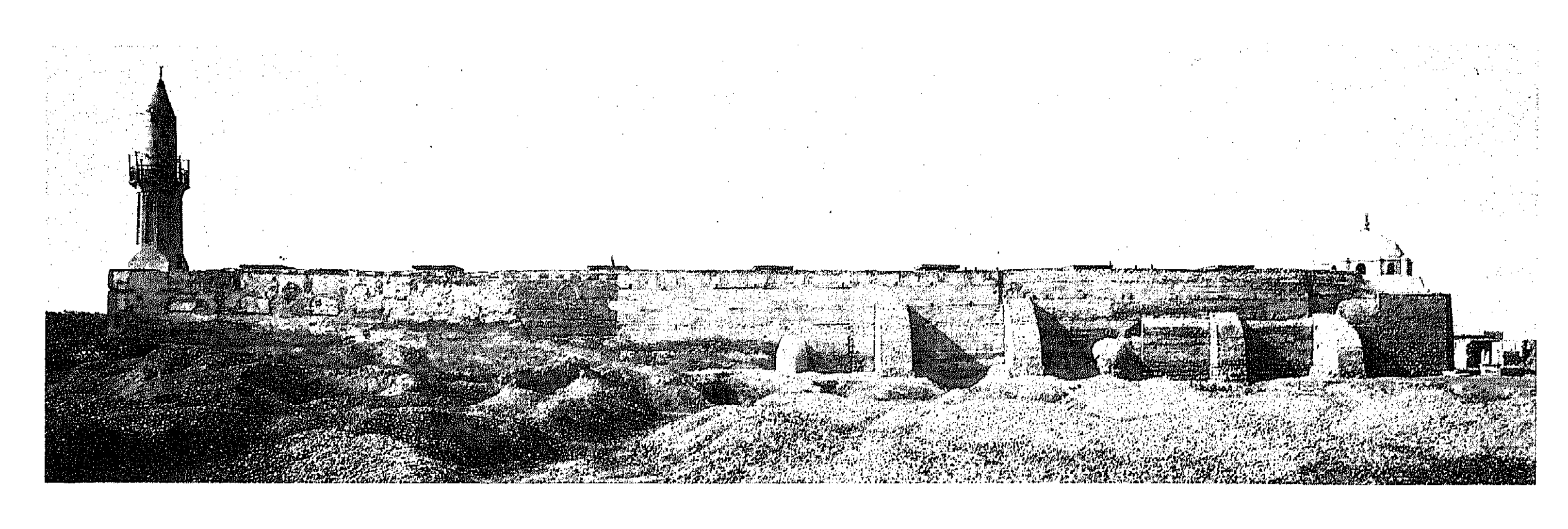


منارات وقباب مقابر الخلفاء .

منظر عام لمقابر الخلفاء .


T. PHOTOGLOB
5071. Tombeaux des Chalifs vue





جامع عمرو بمصر القديمة قبل الترميم.



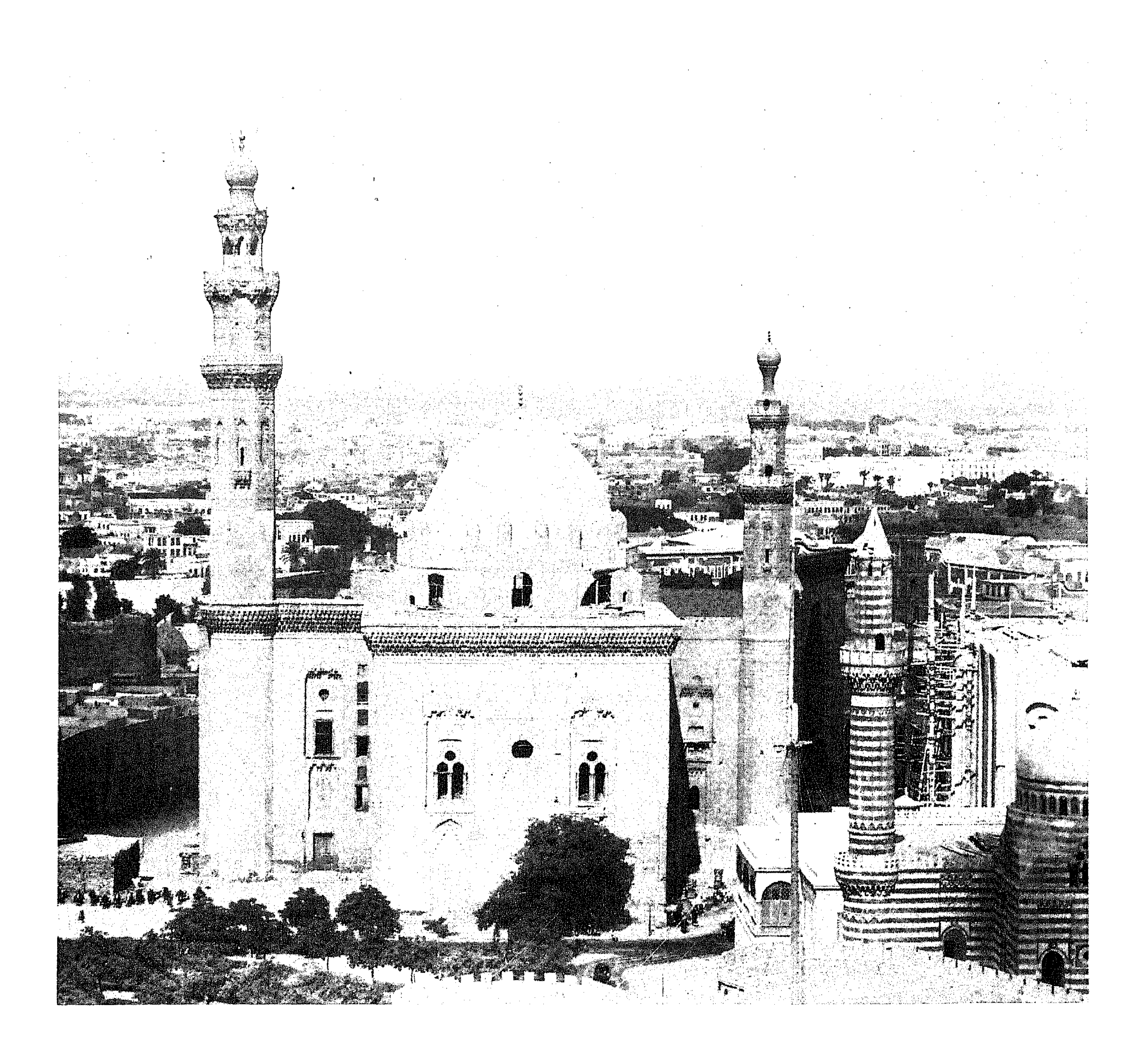
فناء مسجد عمرو بن العاص.

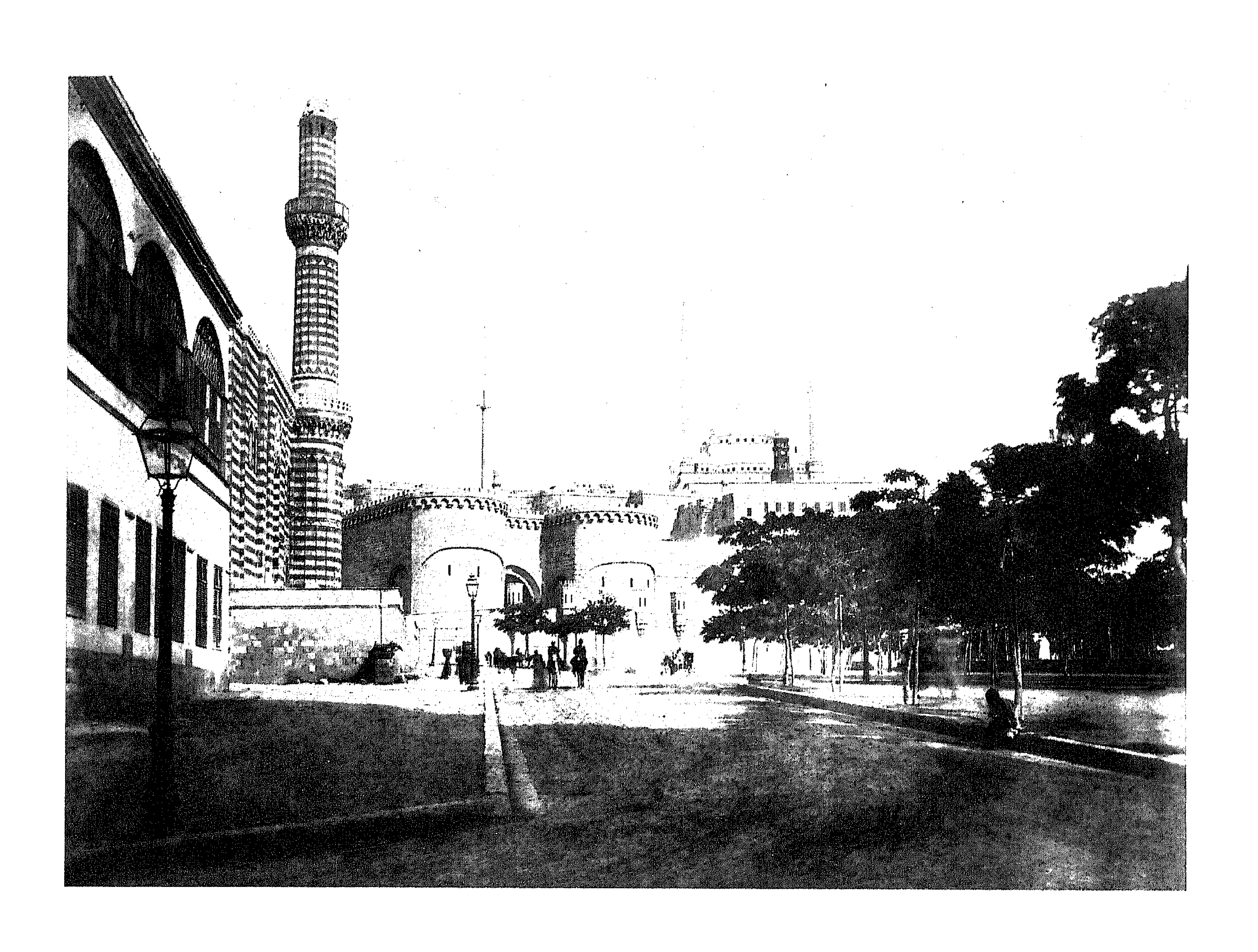
مسجد ومقابر قايتباي.

سوق بجوار مسجد السلطان حسن.



جامع السلطان -

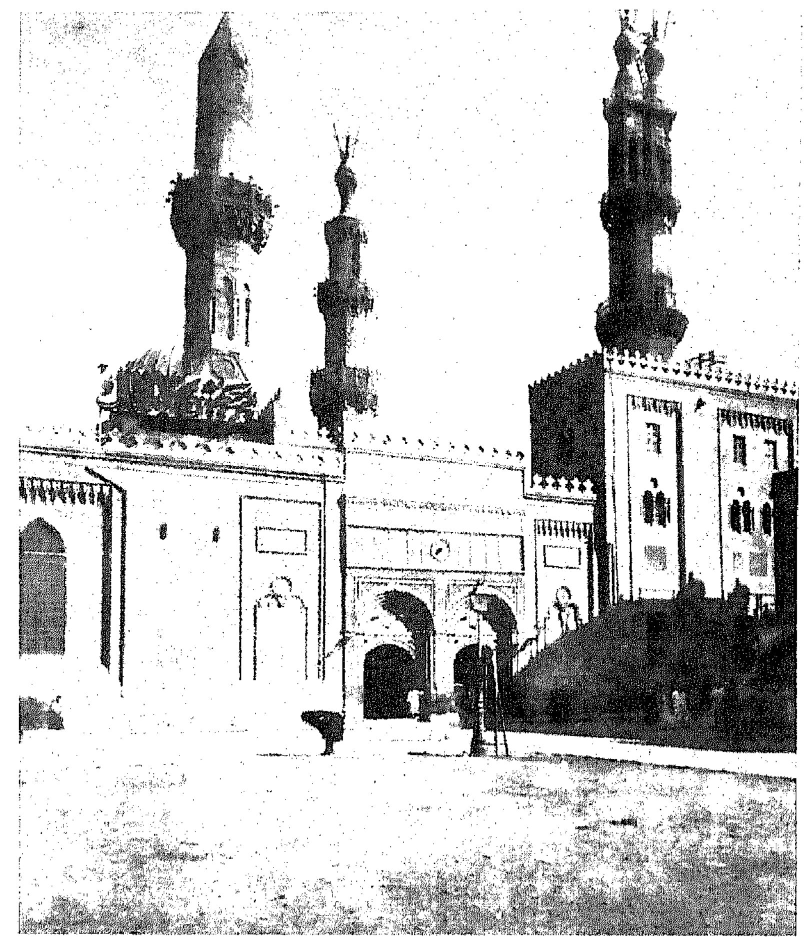




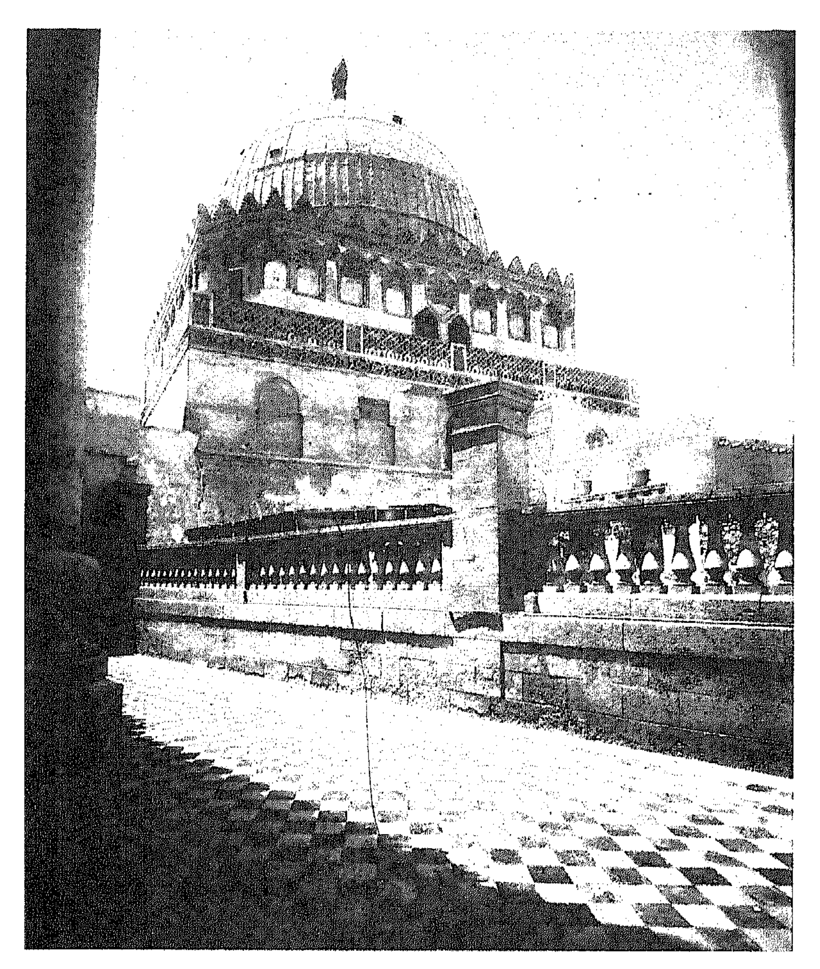
مدخل القلعة ومسجد محمد علي.

«الميضأة» بمسجد محمد علي.

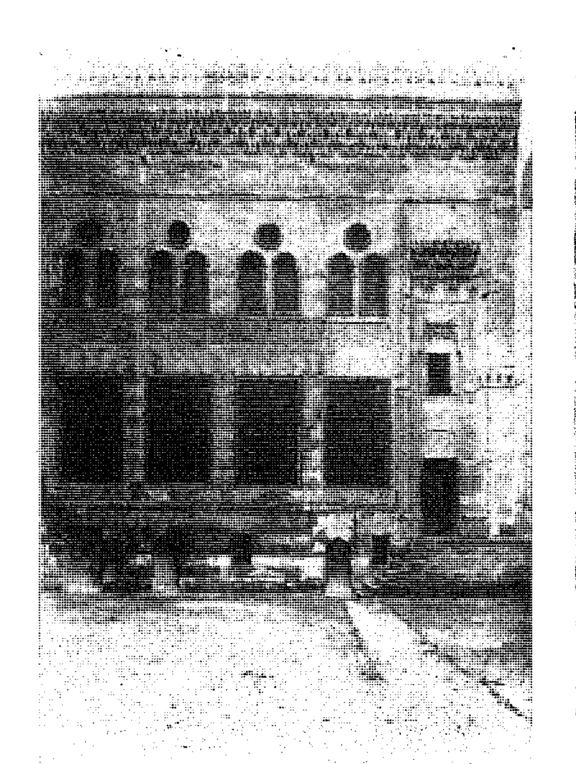




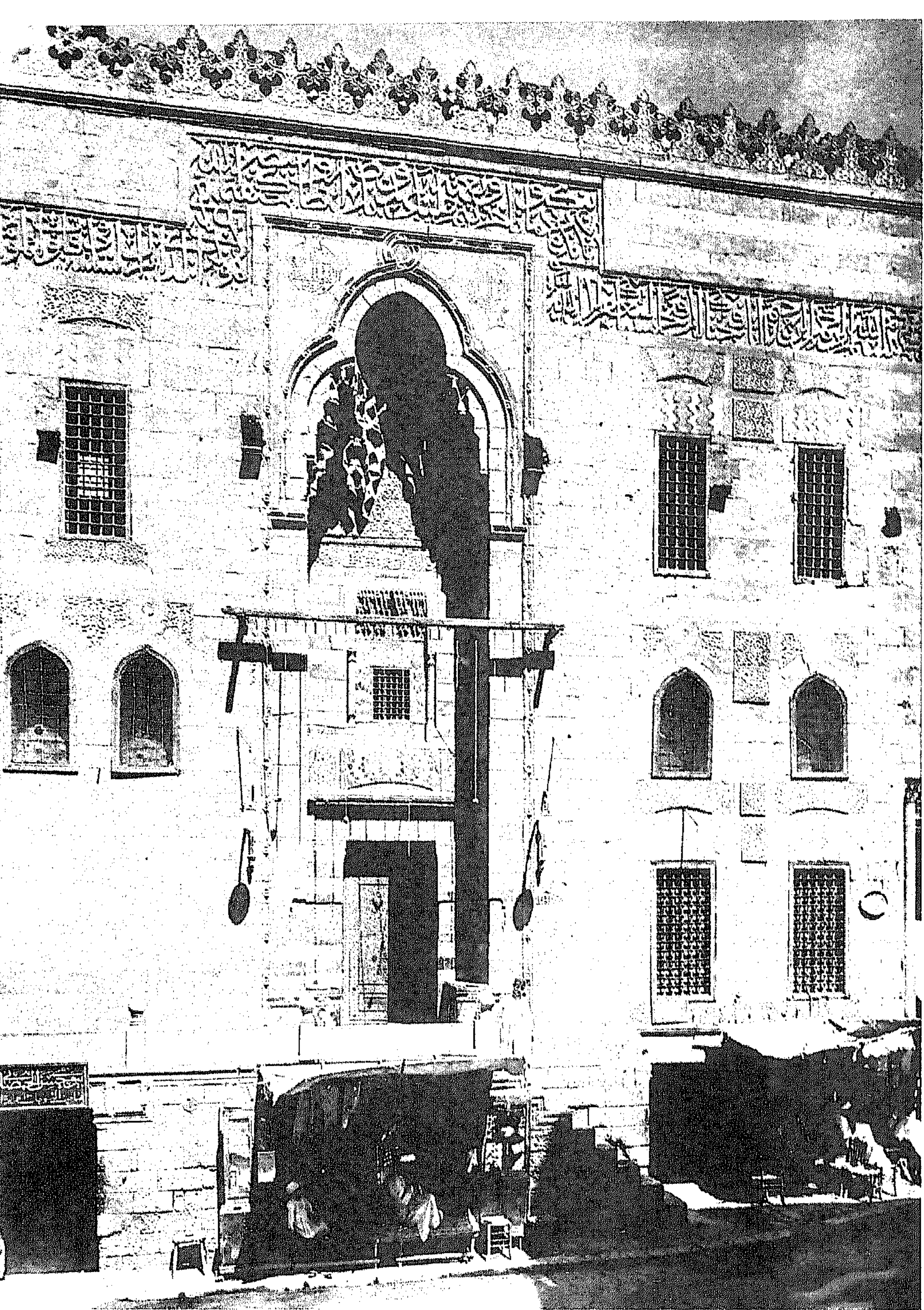
واجهة الجامع الأزهر.



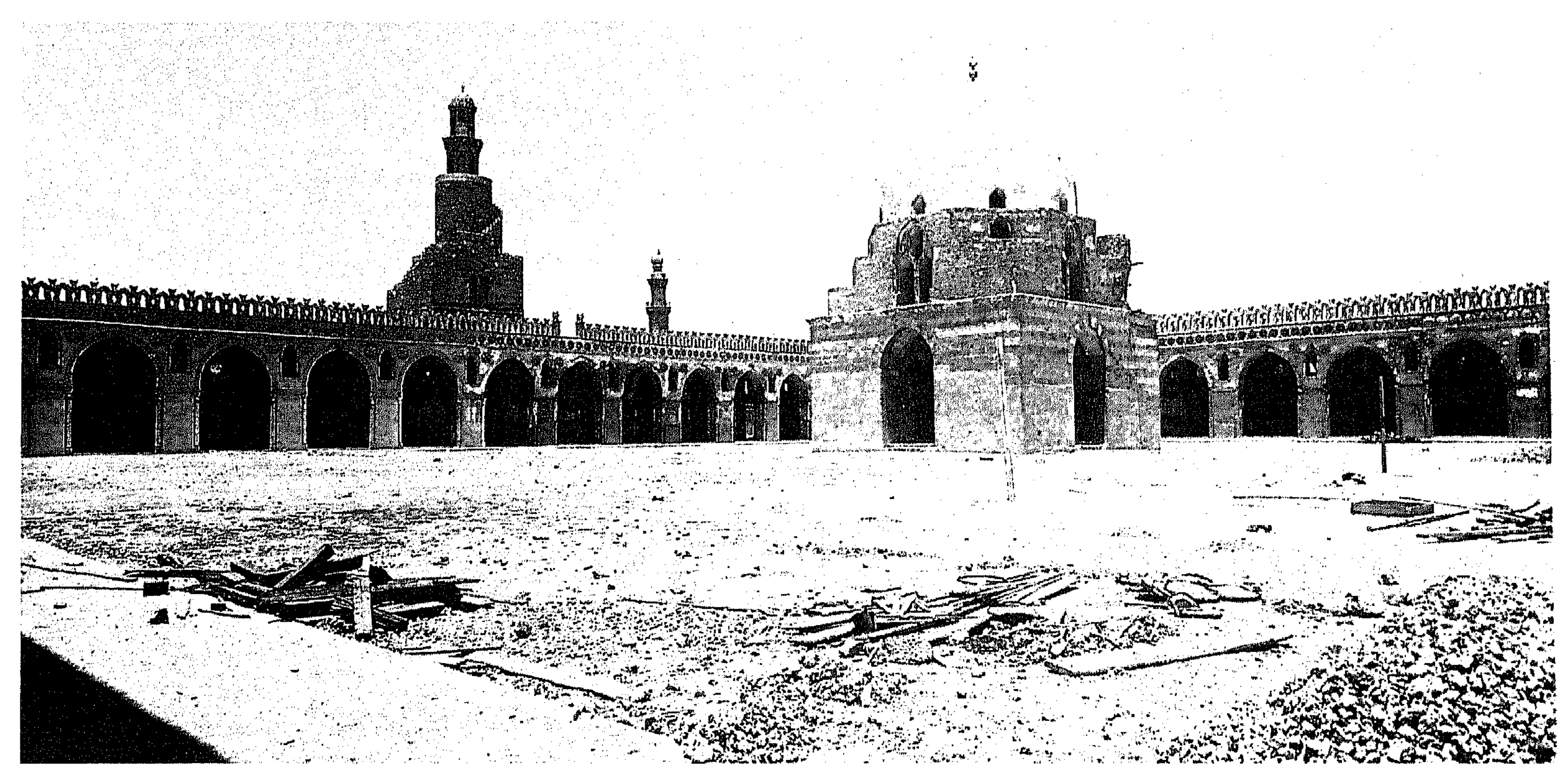
قبة جامع الإمام الشافعي.



مقعد السلطان الغورى.



واجهة مسجد الغورى.



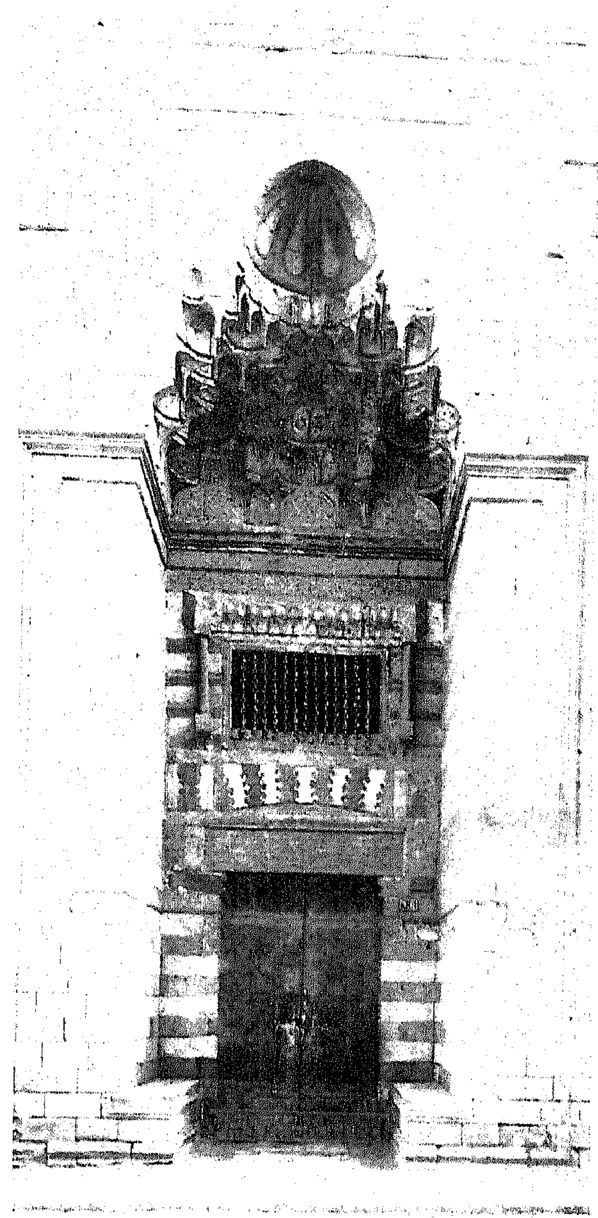
مسجد أحمد بن طولون.



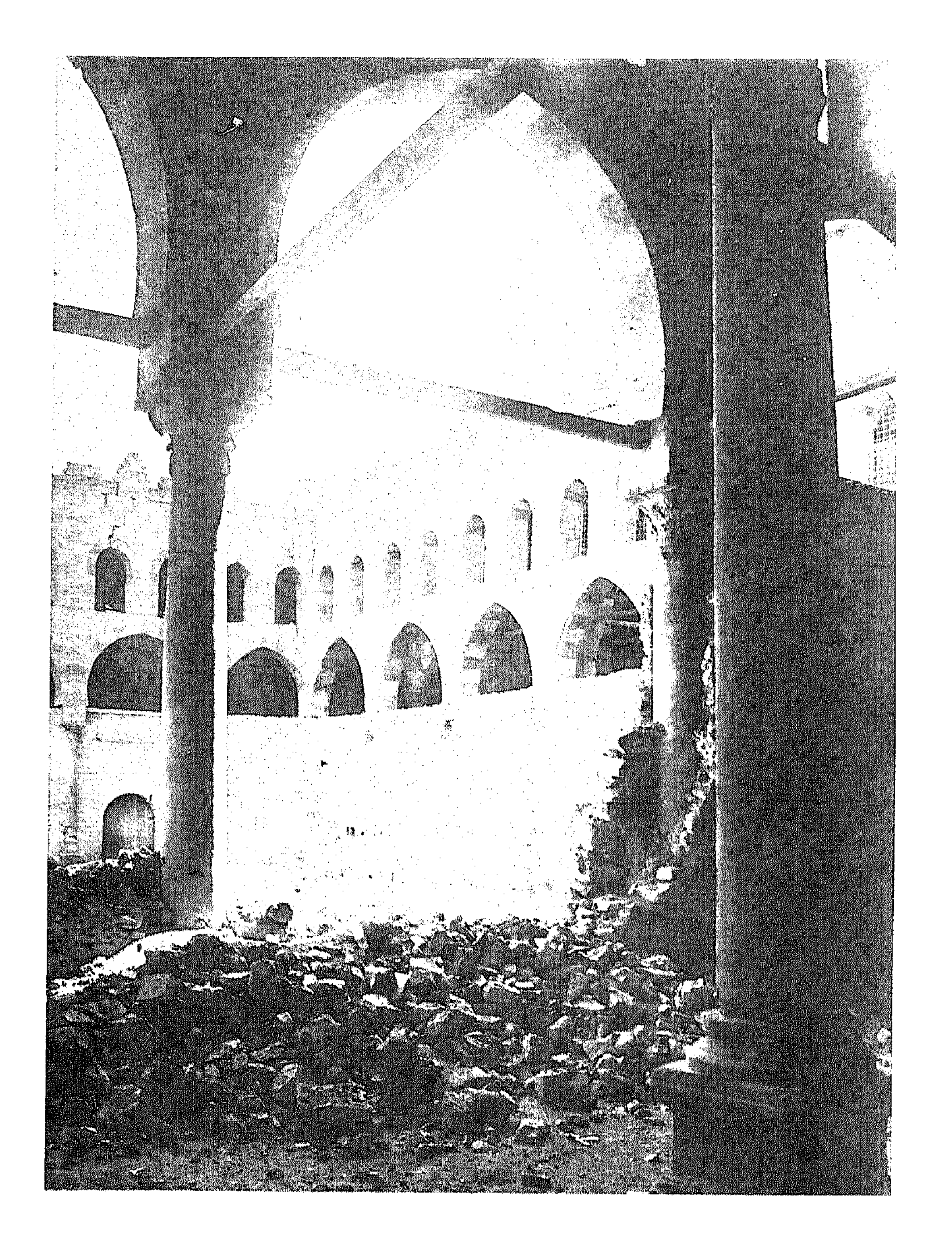
مسجد الحاكم.



الواجهة البحرية لجامع محمد بك أبو الذهب.



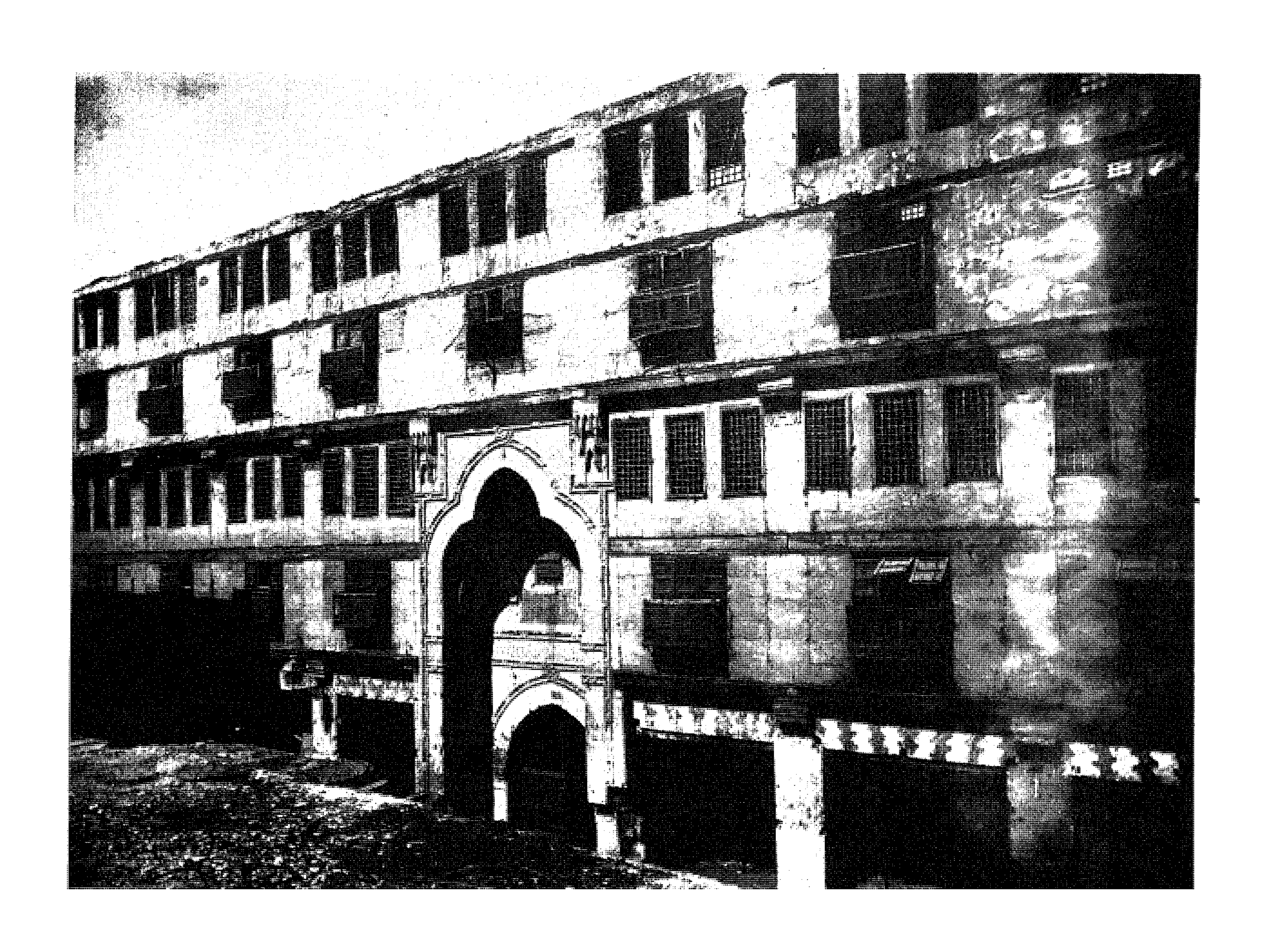
باب مسجد شيخون البحري .



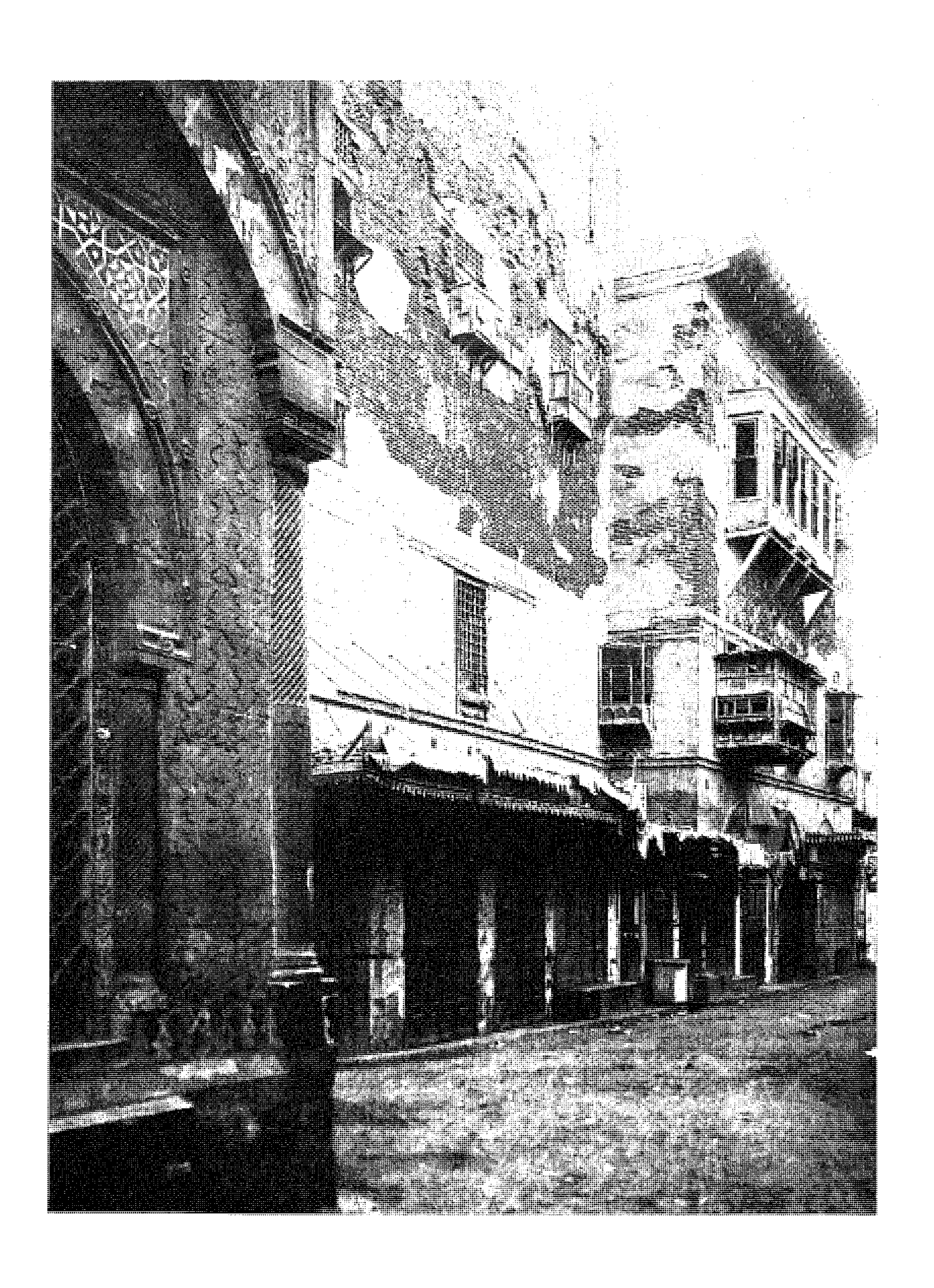
جامع الناصر قلاوون .



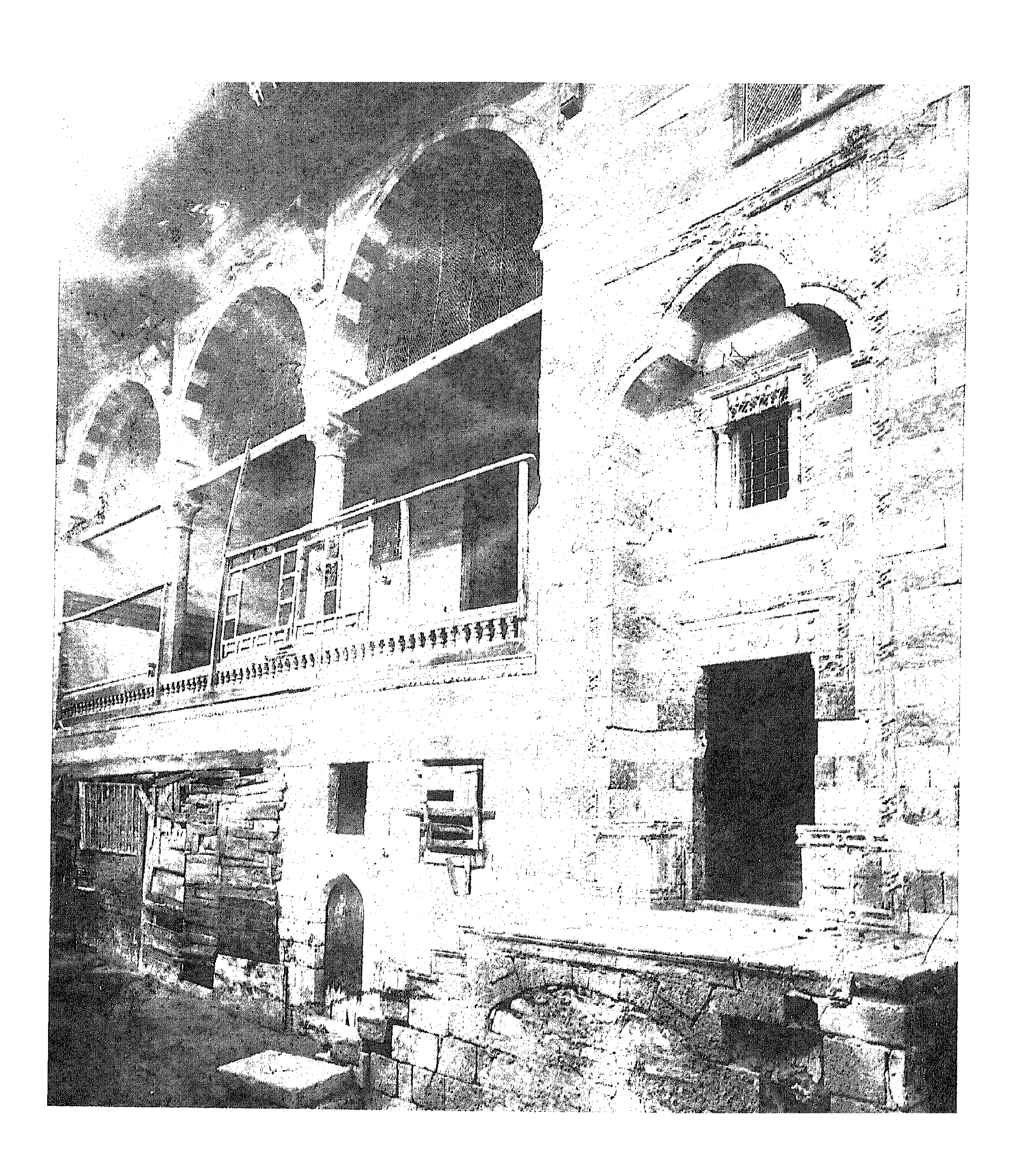
جامع السلطان قلاوون.



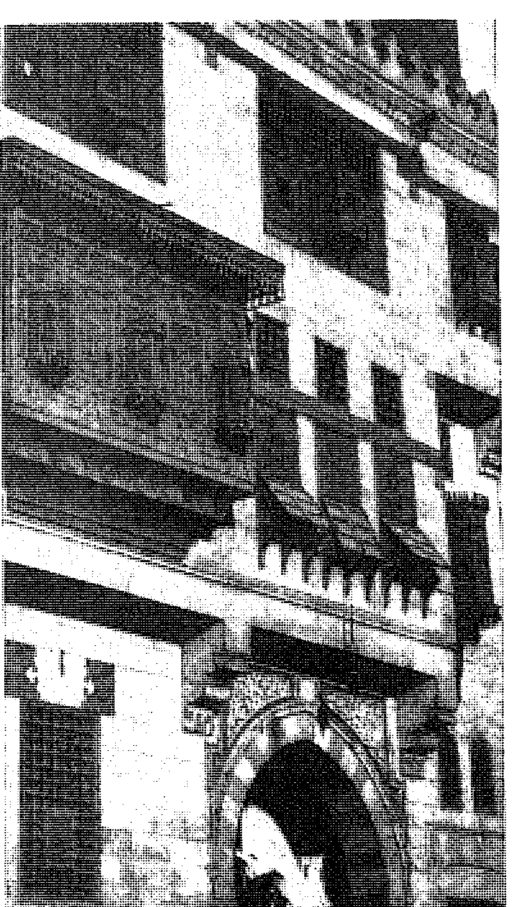
واجهة وكالة قايتباي .



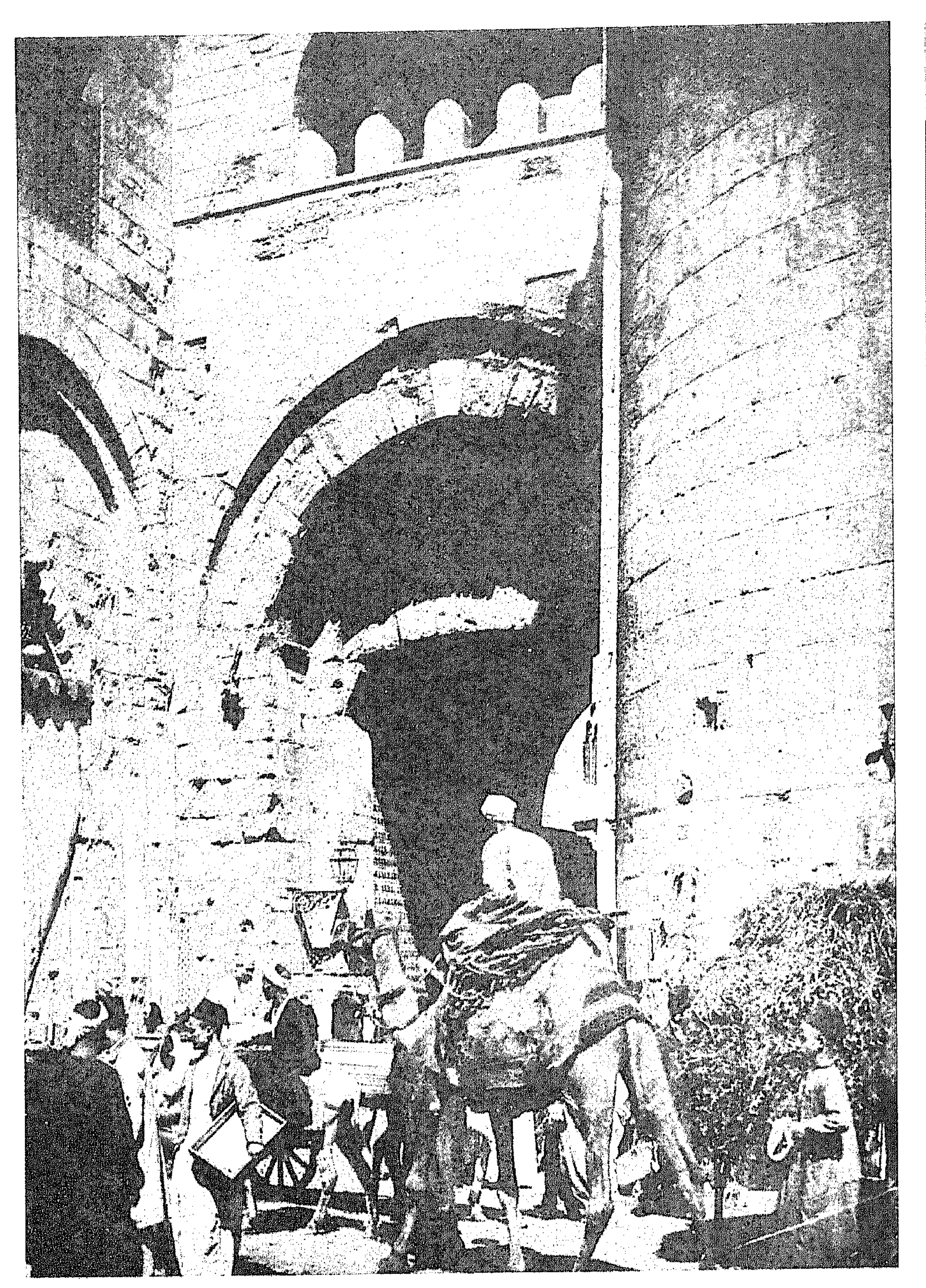
واجهة قصر بشتاك بشارع النحاسين.



مقعد المناوى بالروضة.

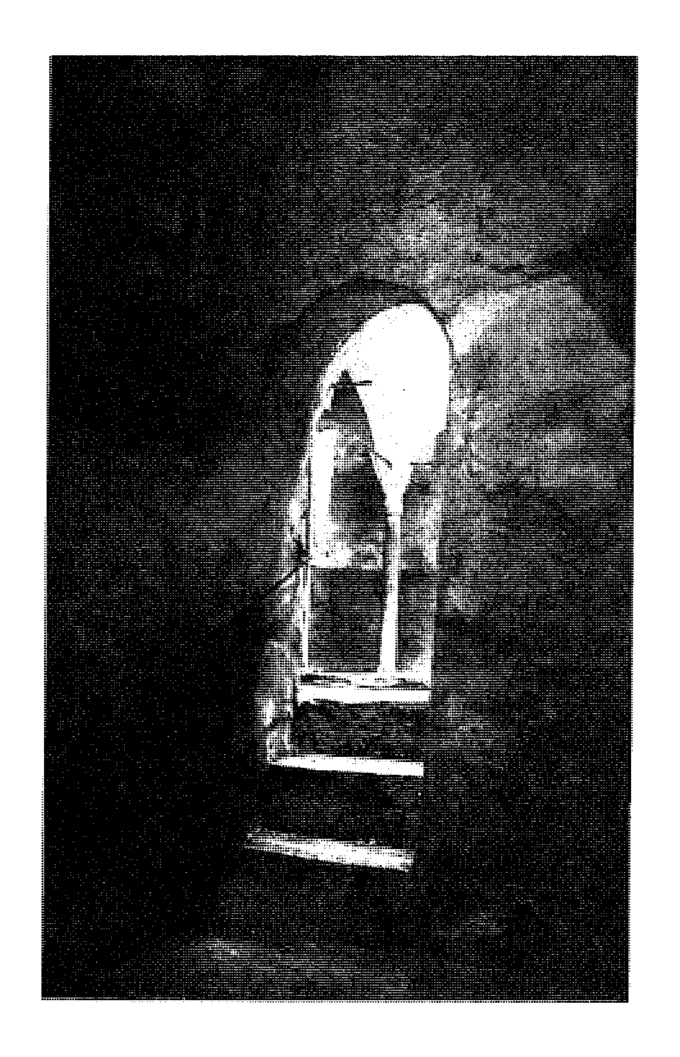


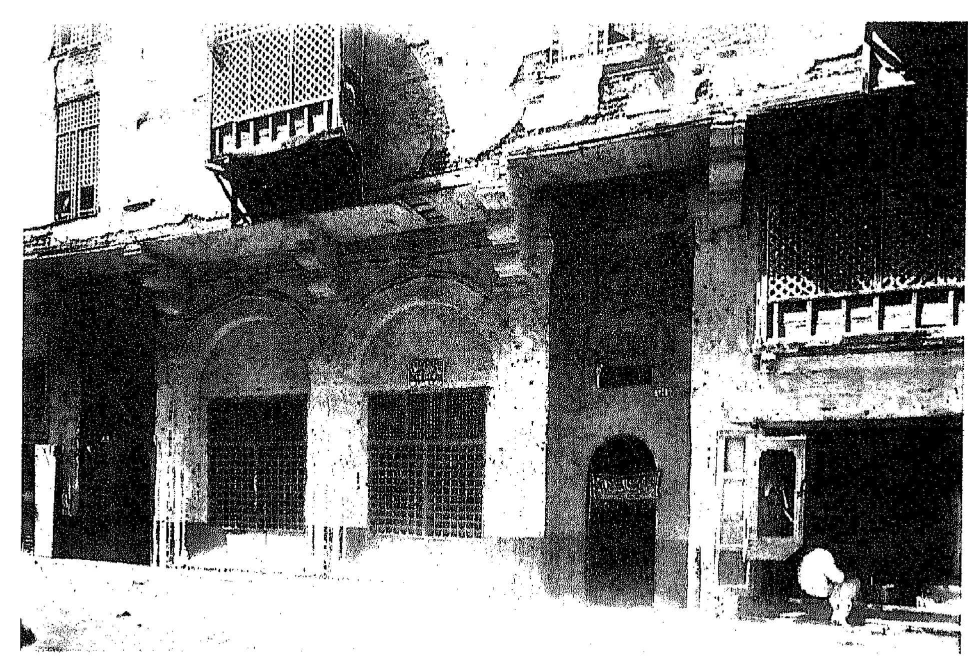
واجهة متحف «أندرسون» بمنزل الكريدلية.



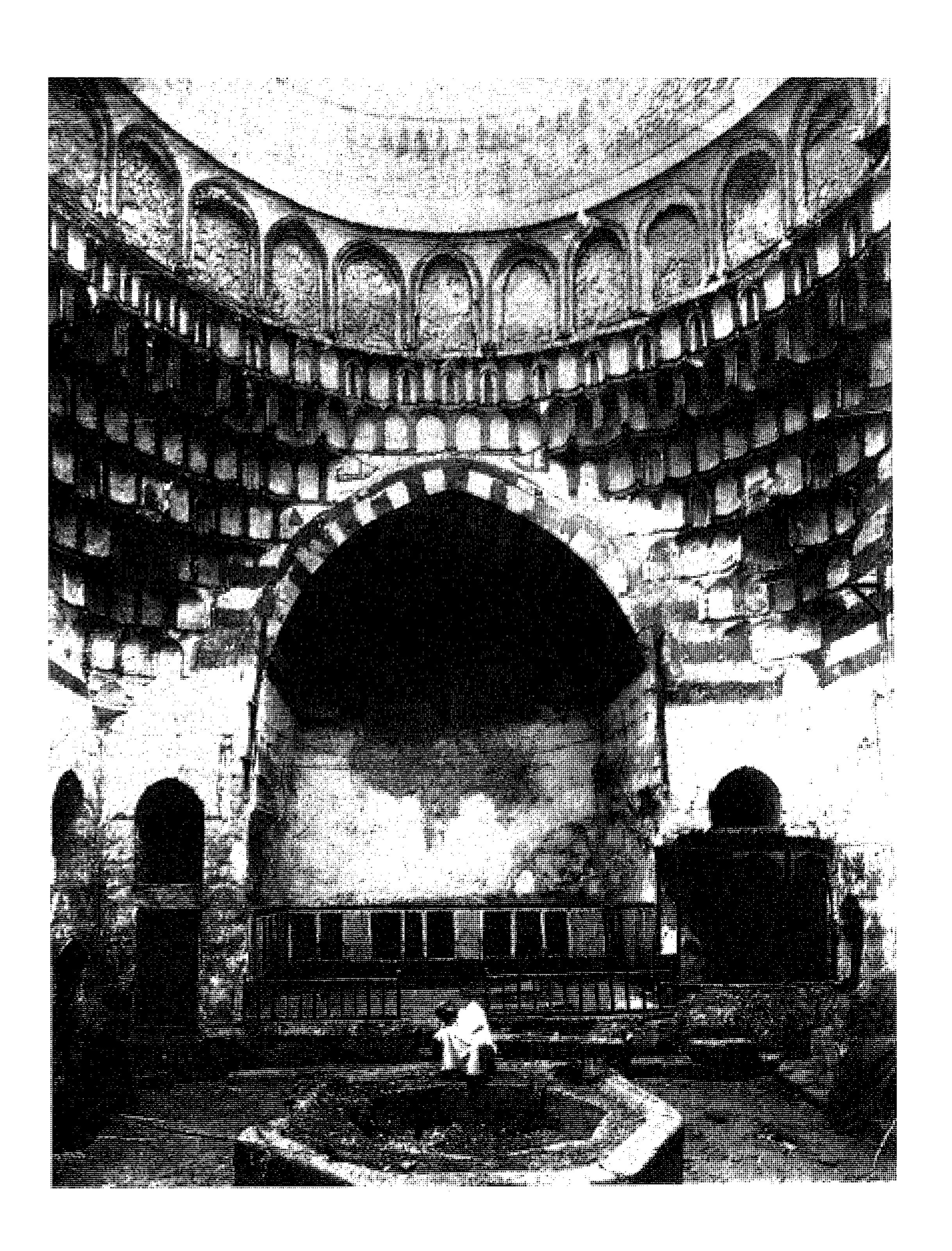
باب زويلة.

داخل حمام الأفندي .





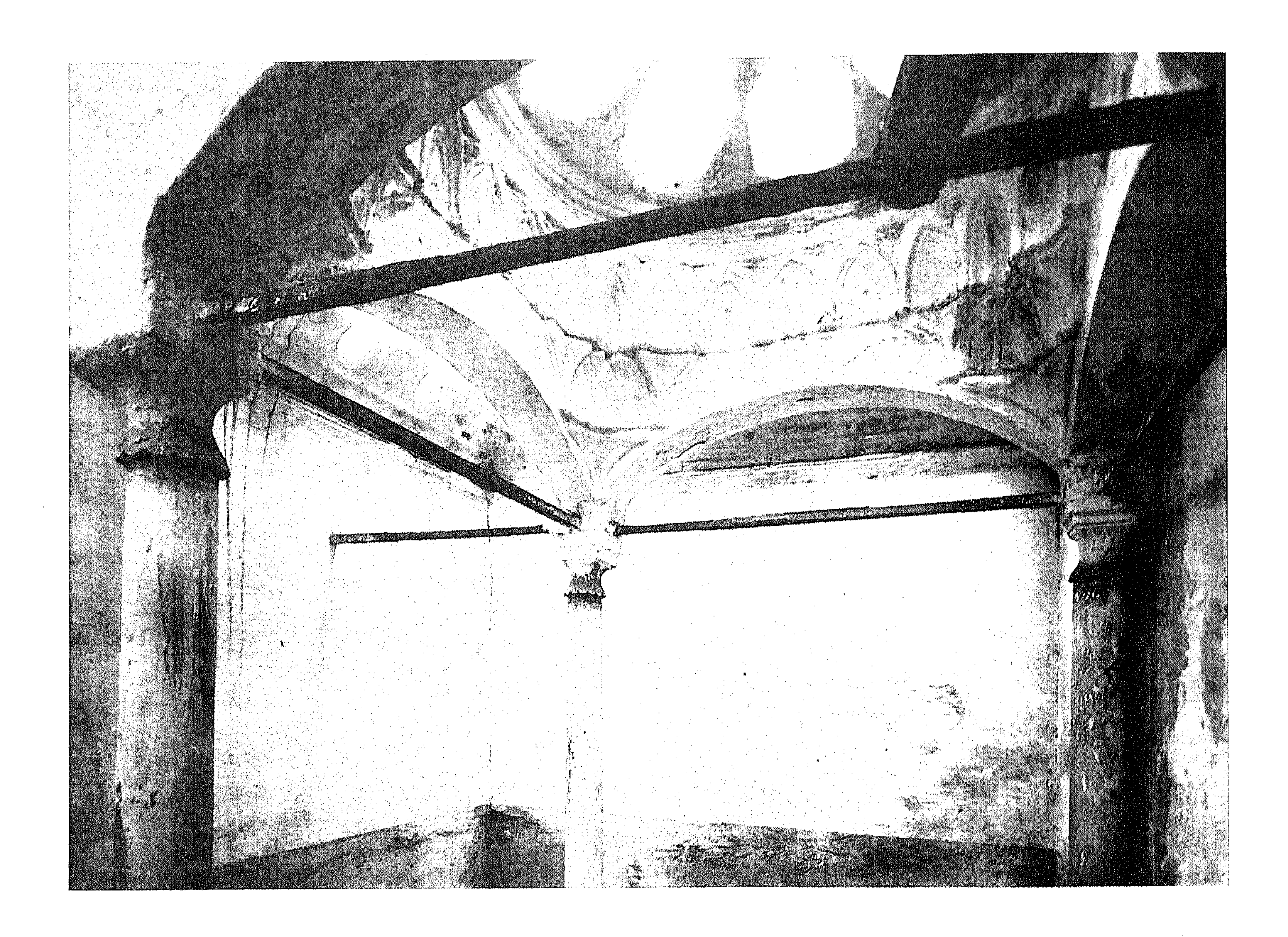
حمّام الملاطيلي .

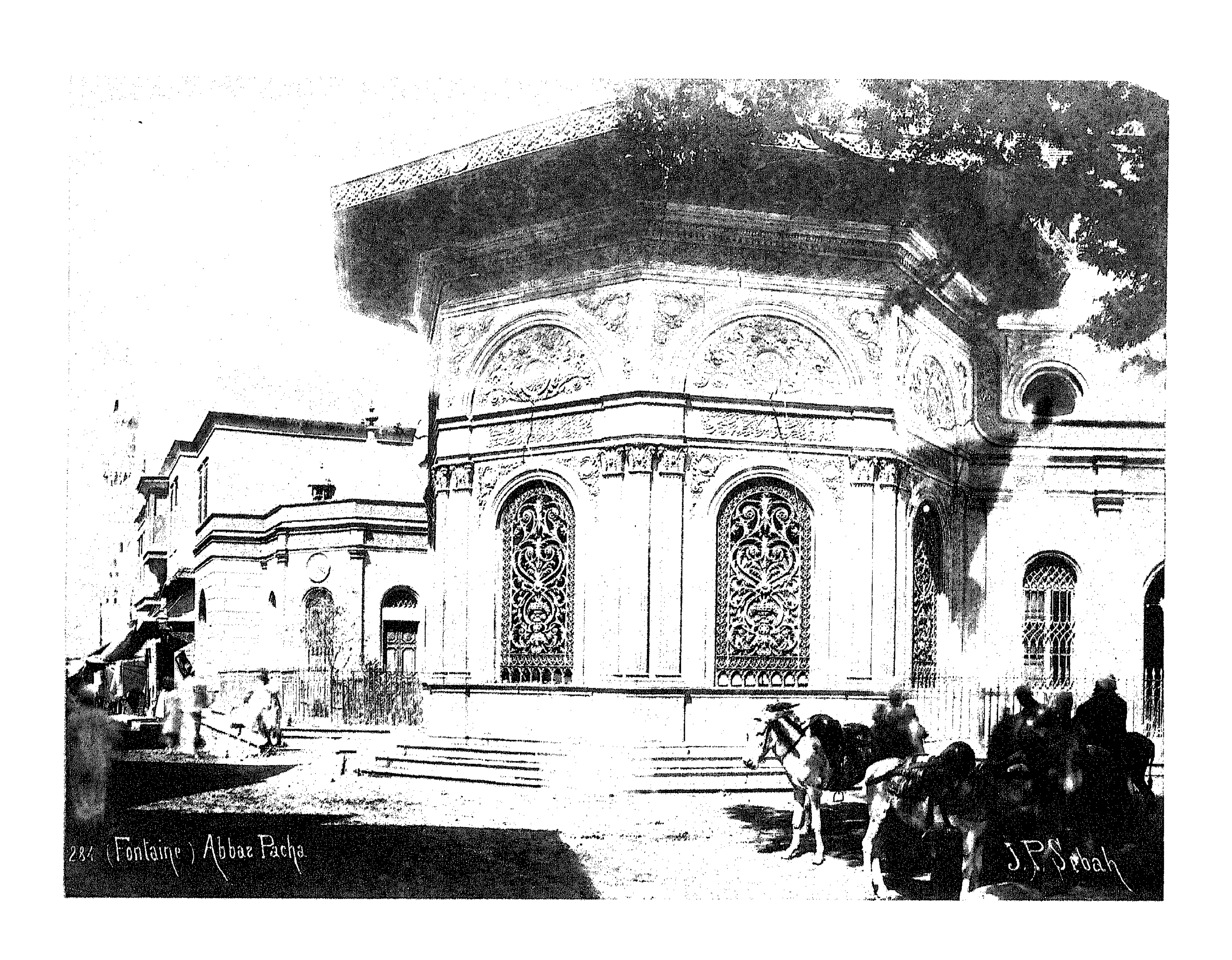


حمام المؤيّد.

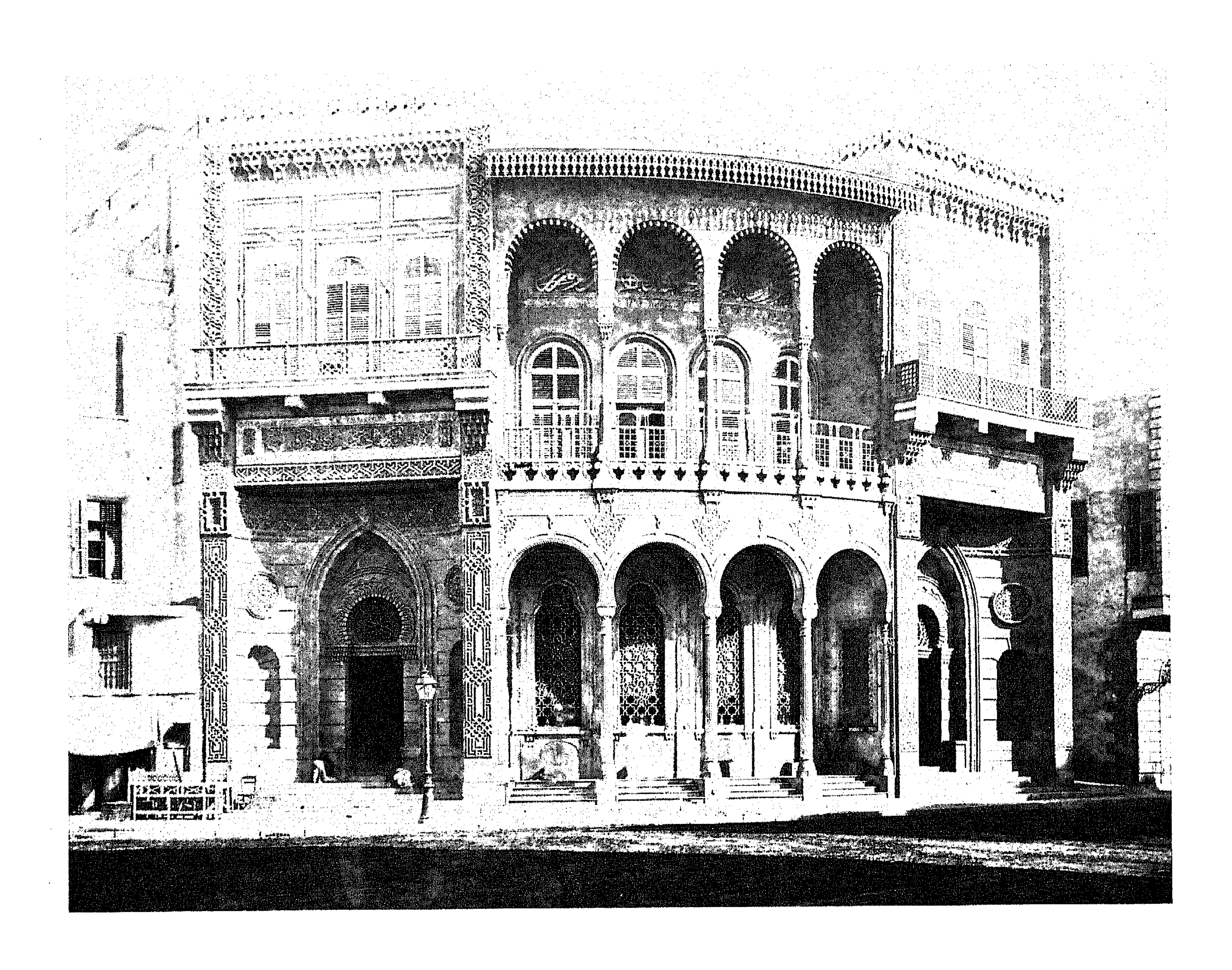
حمام قلاوون.

مغطس بحمام قلاوون.



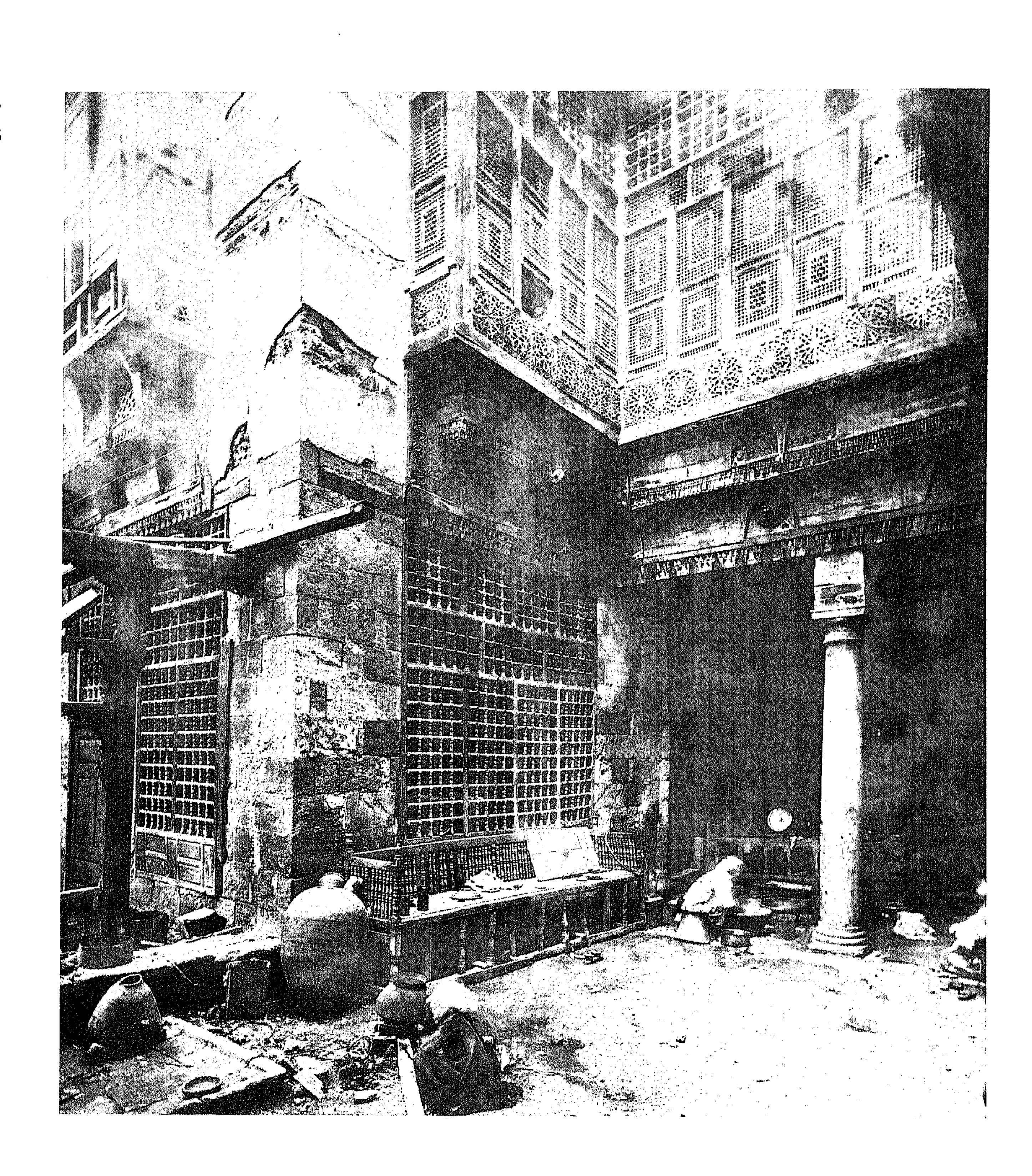


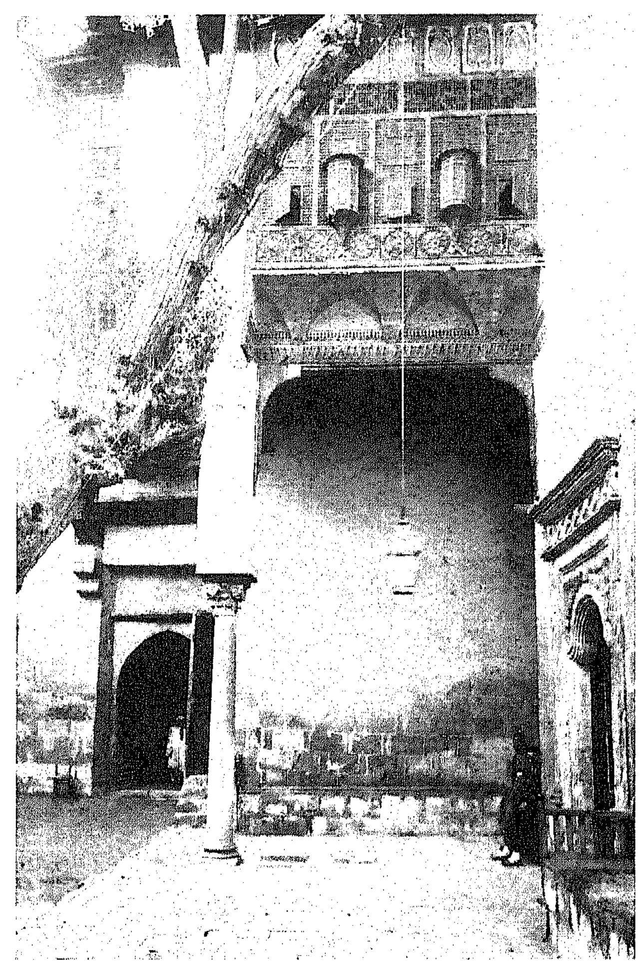

سبيل أم عباس.



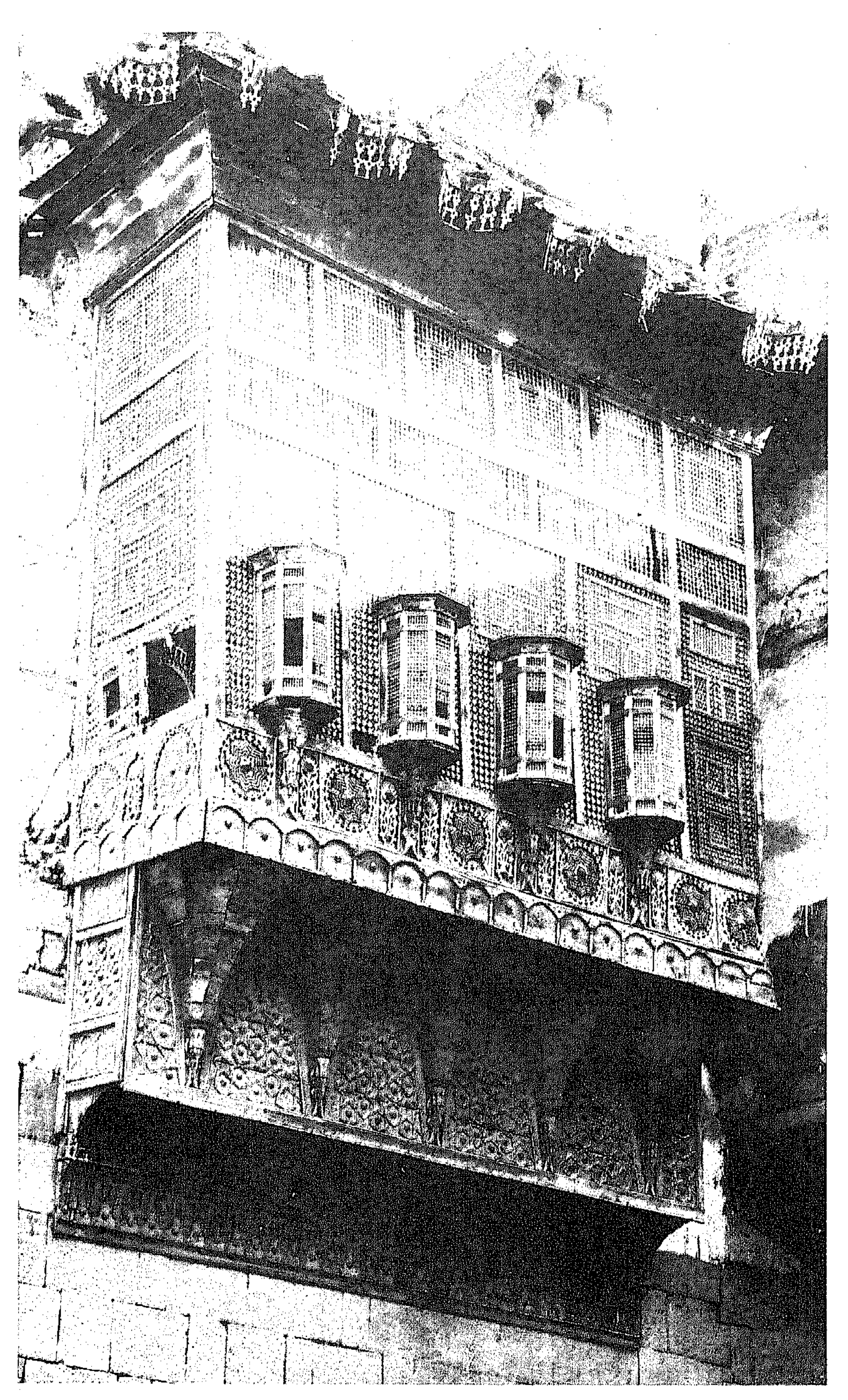
سبيل الست الوالدة.

داخل منزل السادات
نقيب الأشراف.



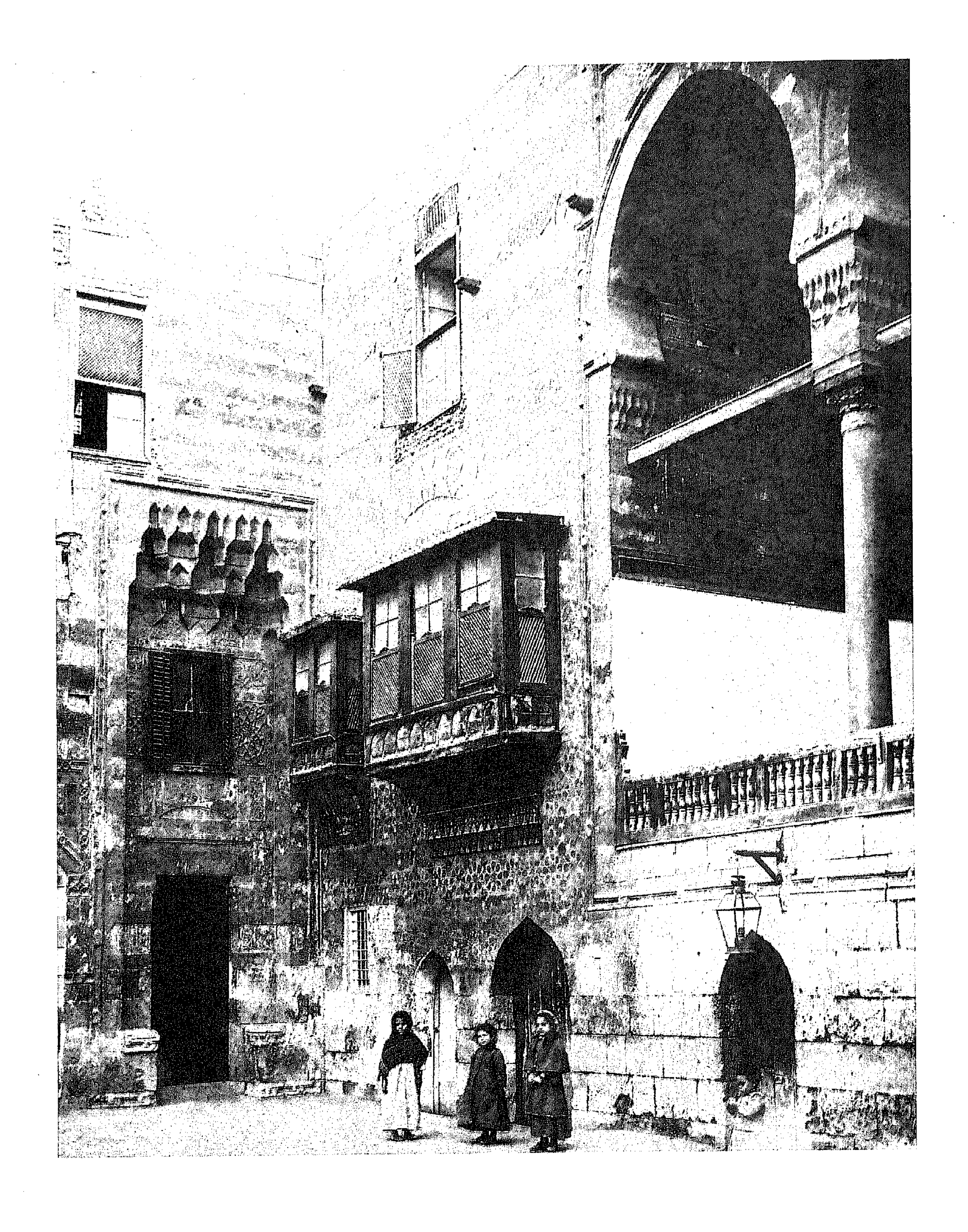


داخل منزل السادات نقيب الأشراف.



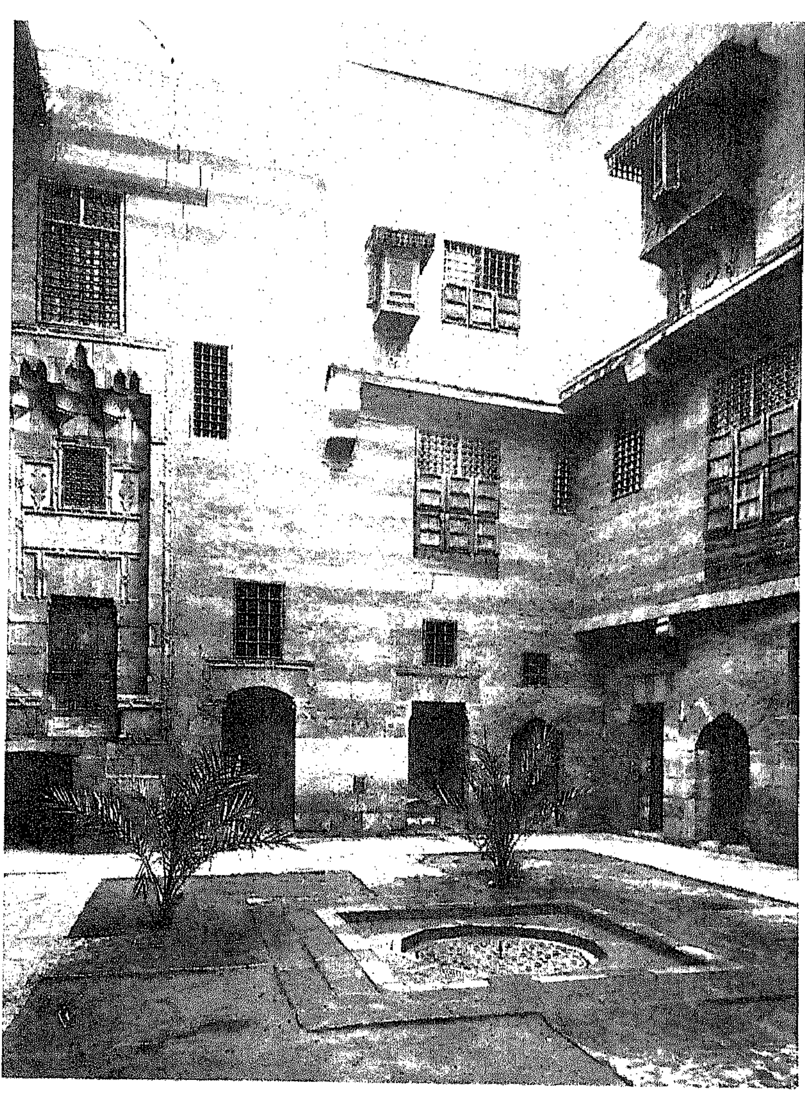
مشربية بمنزل السادات نقيب الأشراف.


Mārdāni

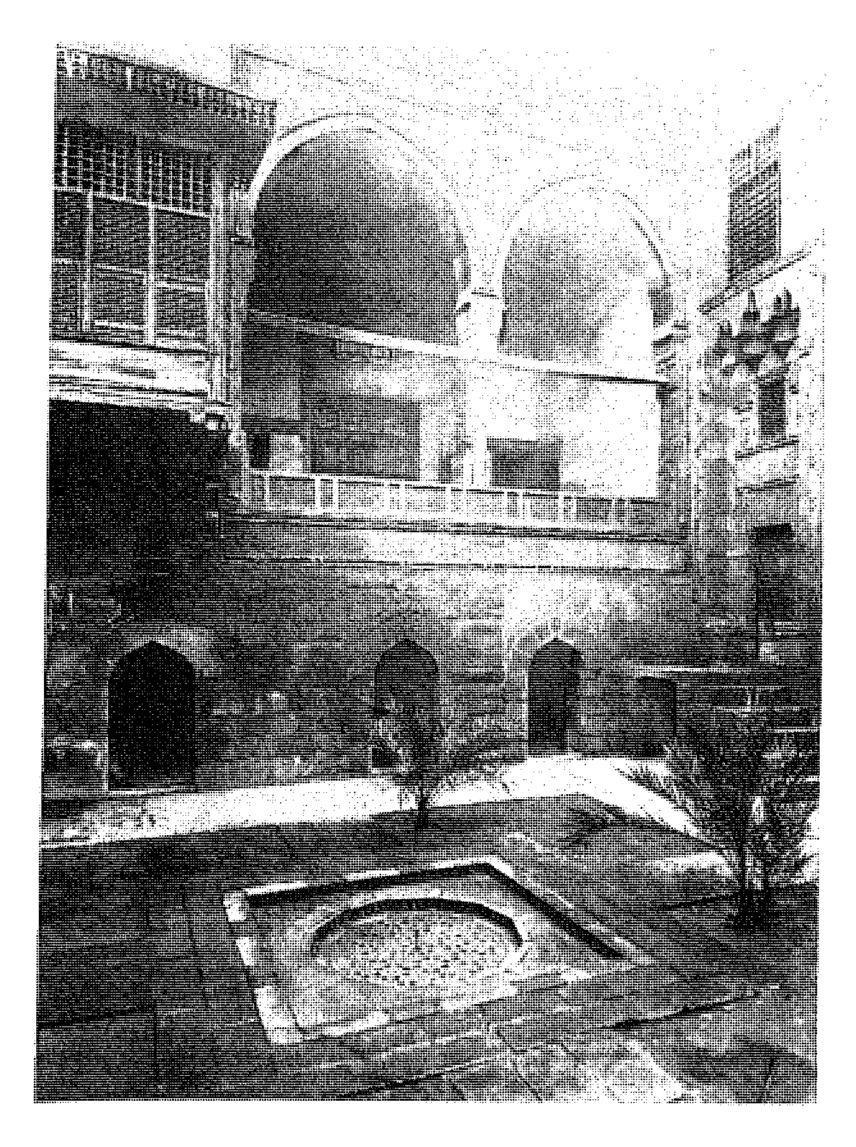


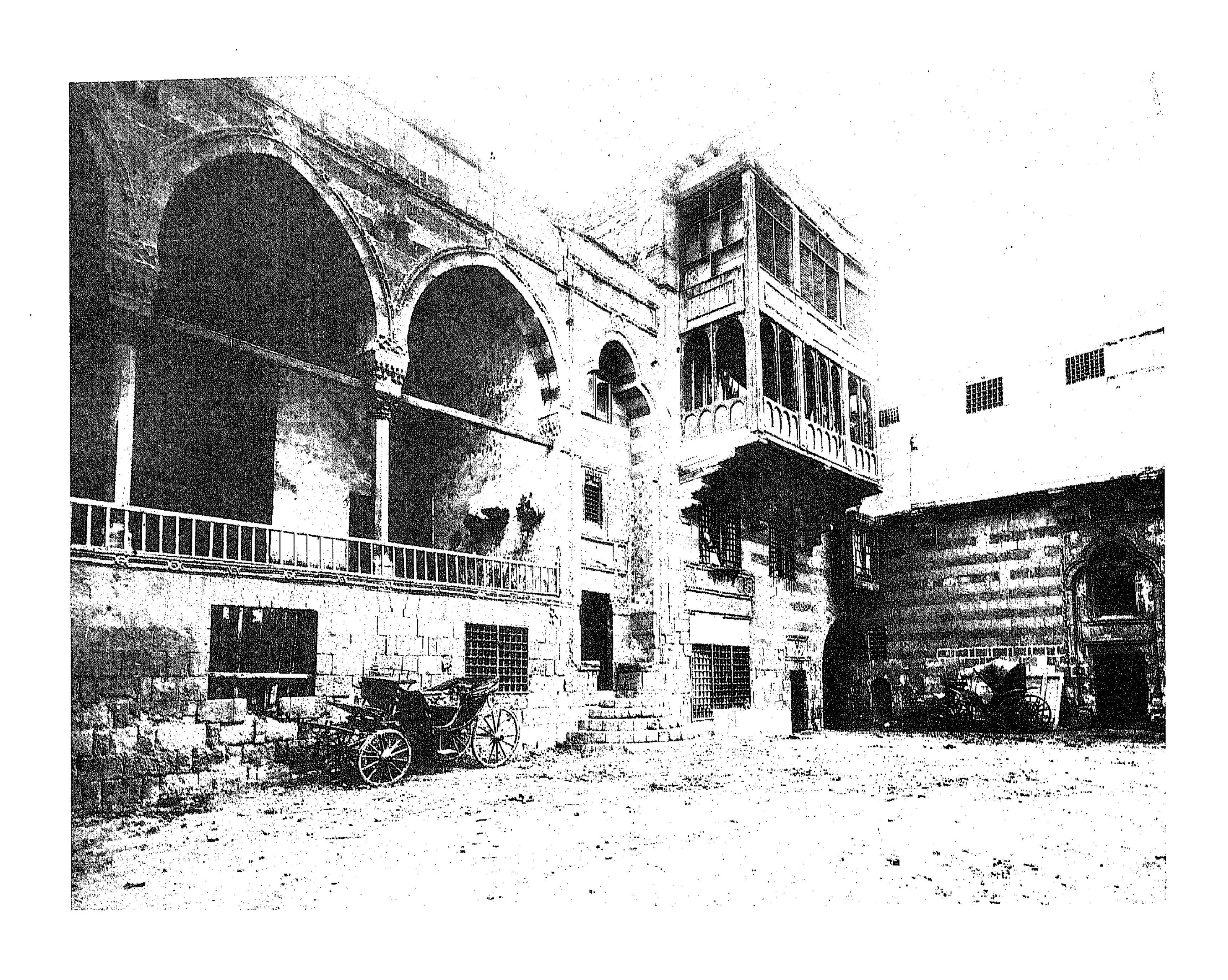
منزل قايتباي بتكيّة المارداني.

فناء قصر جمال الدين الذهبي .



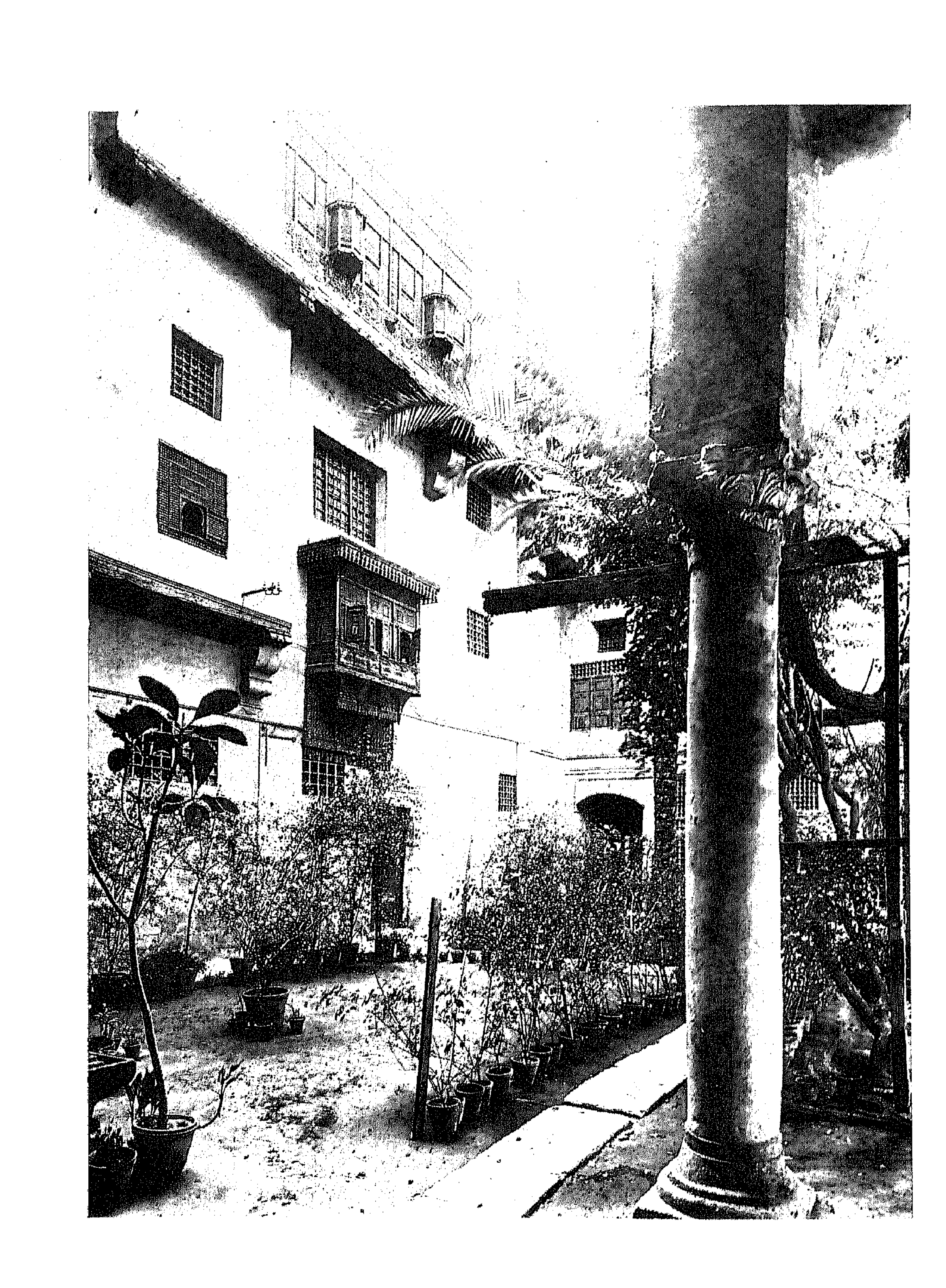
فناء قصر جمال الدين الذهبي .

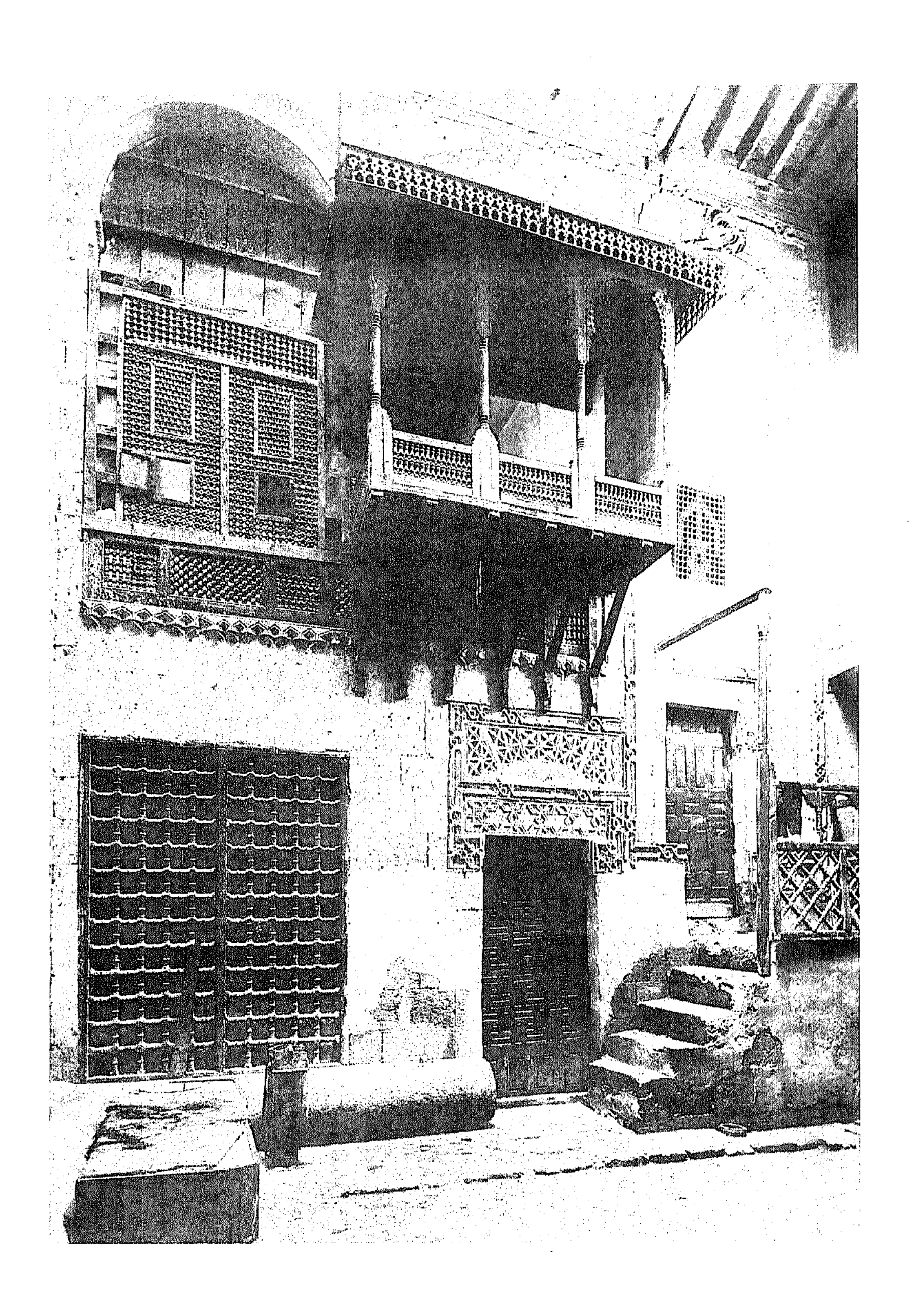




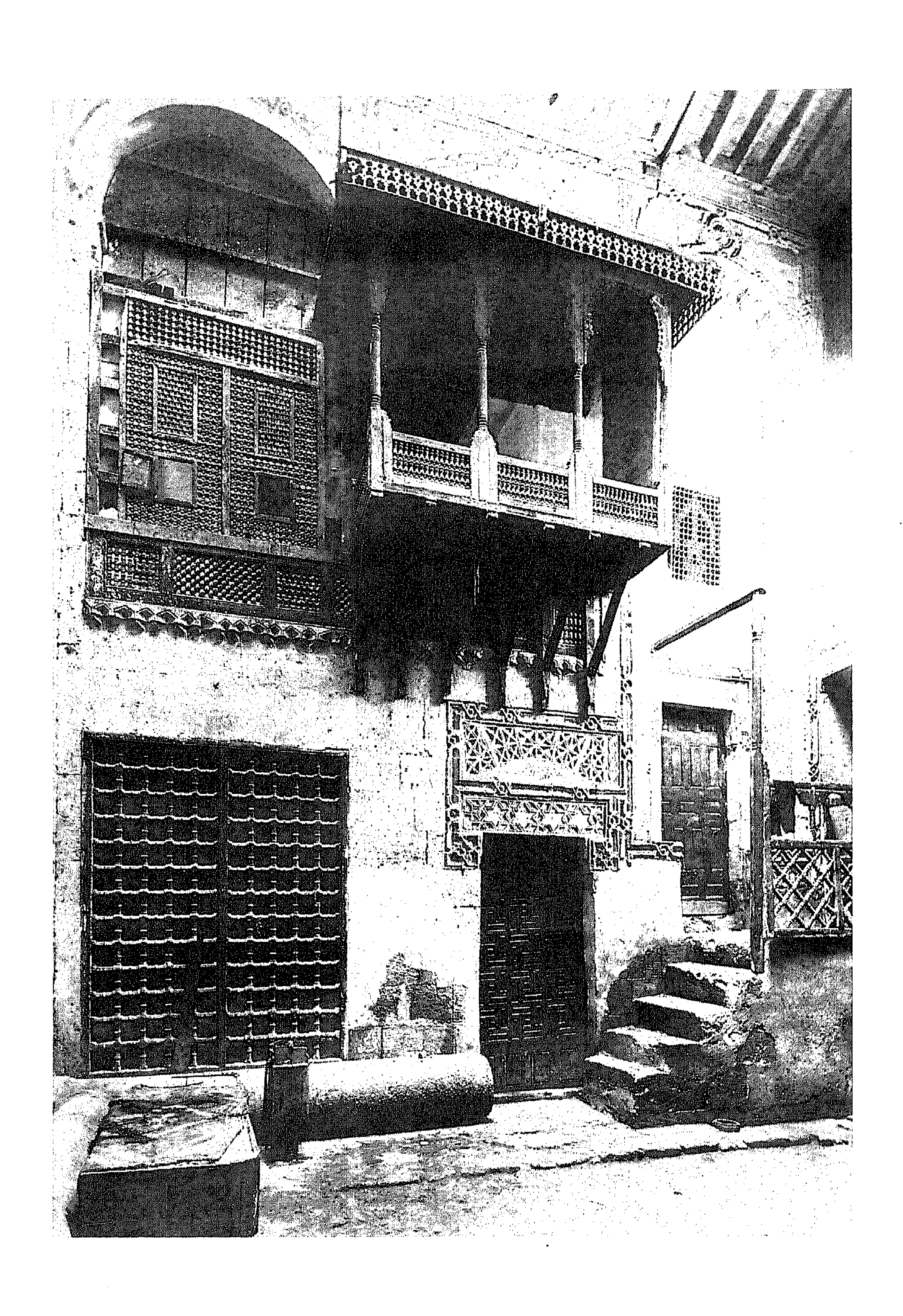
داخل منزل بحري كتخدا الرزاز.

حديقة وفناء منزل السحيمي.

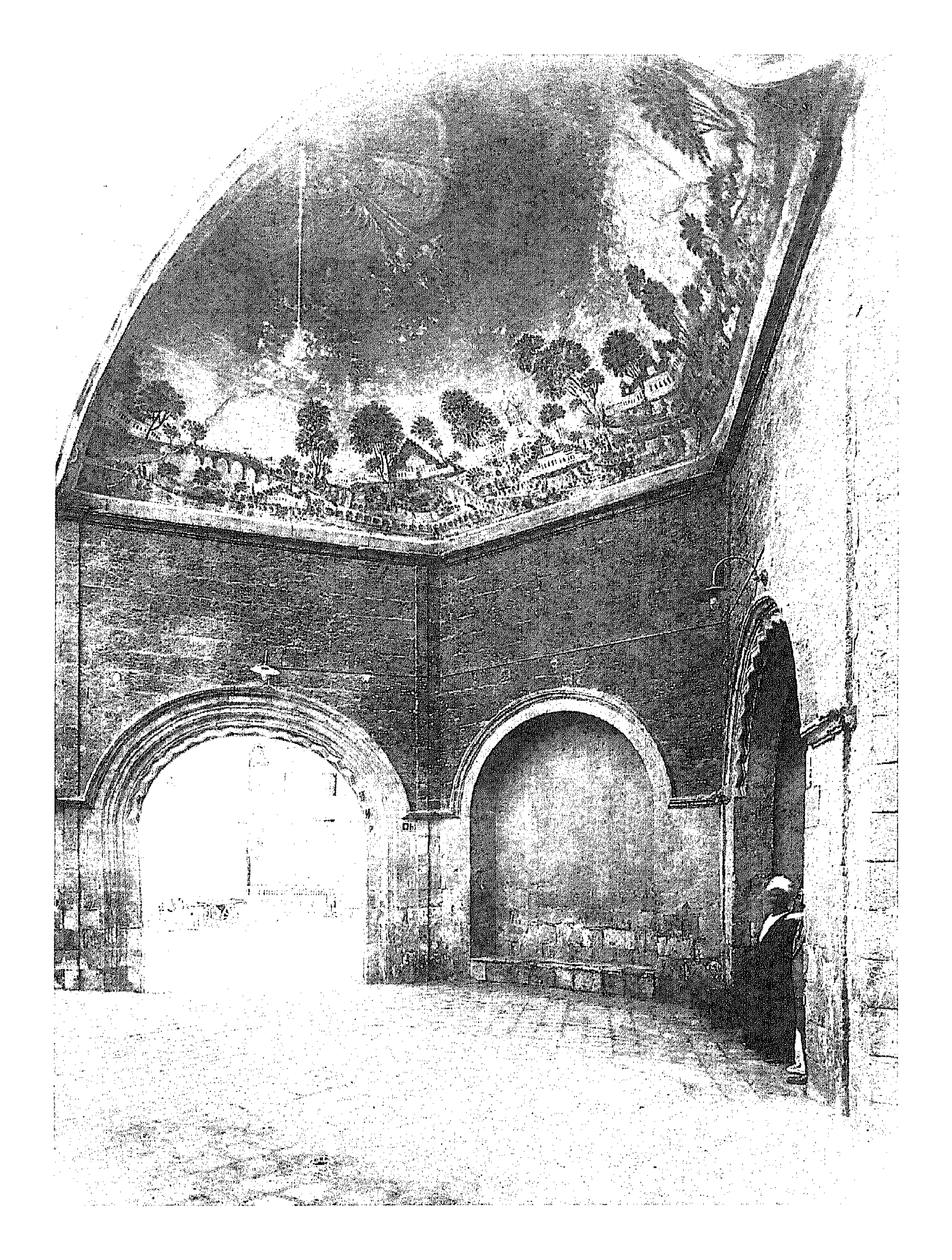




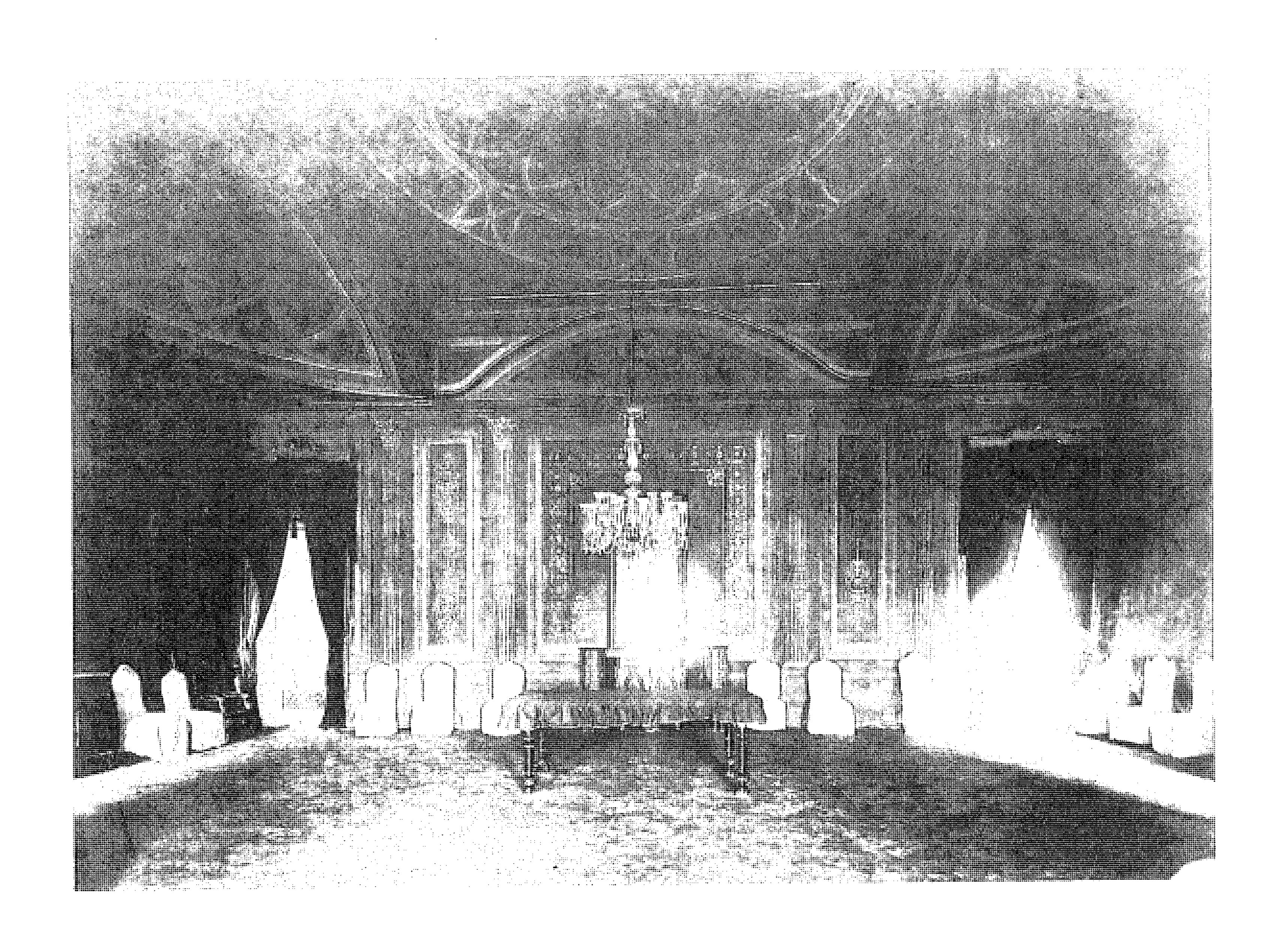
داخل منزل علي أفندي لبيب.



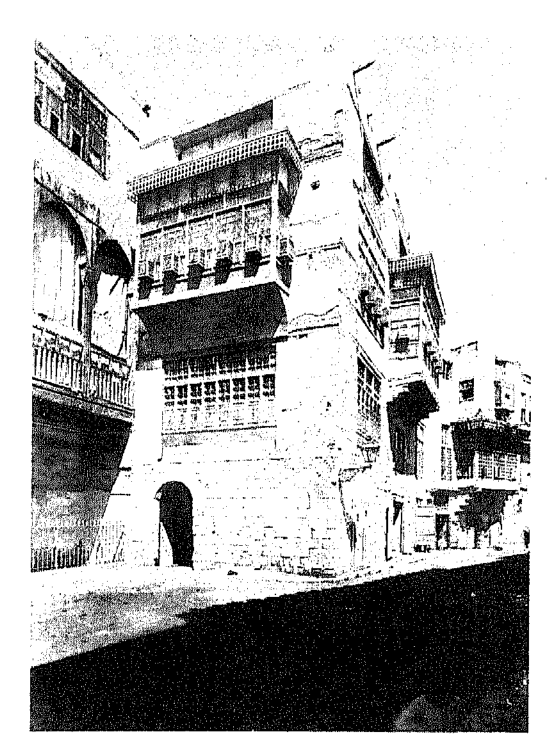
داخل منزل علي أفندي لبيب.



داخل منزل البكري.



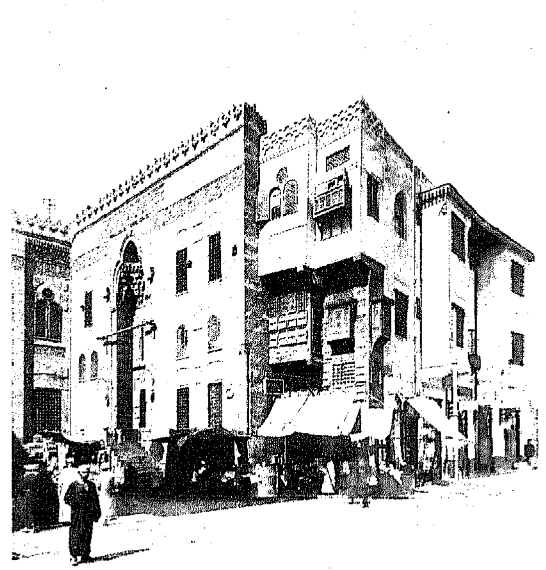
الصالون الكبير بمنزل البكري.



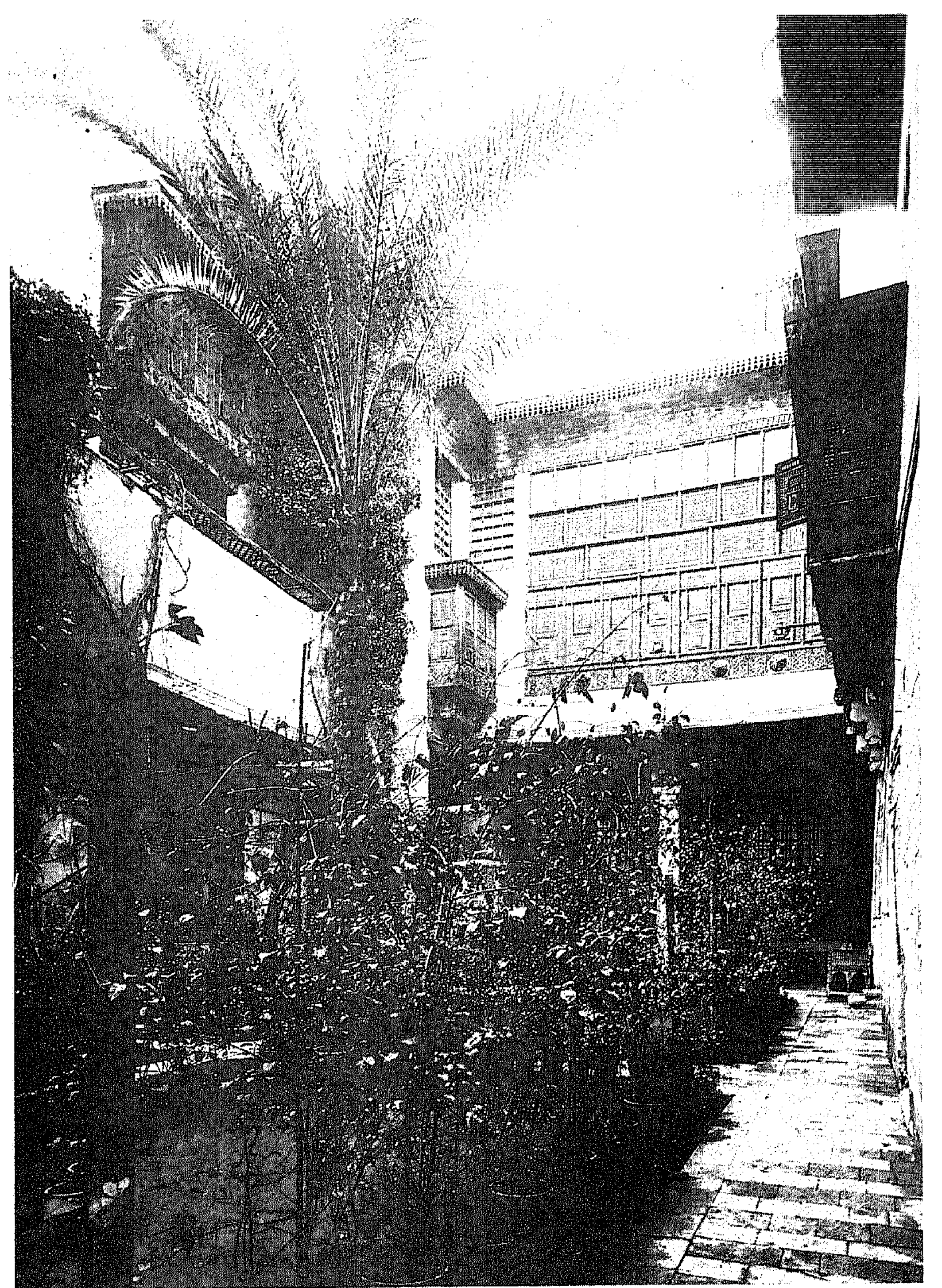
منزل الرزاز.



منازل بشارع التبانة.

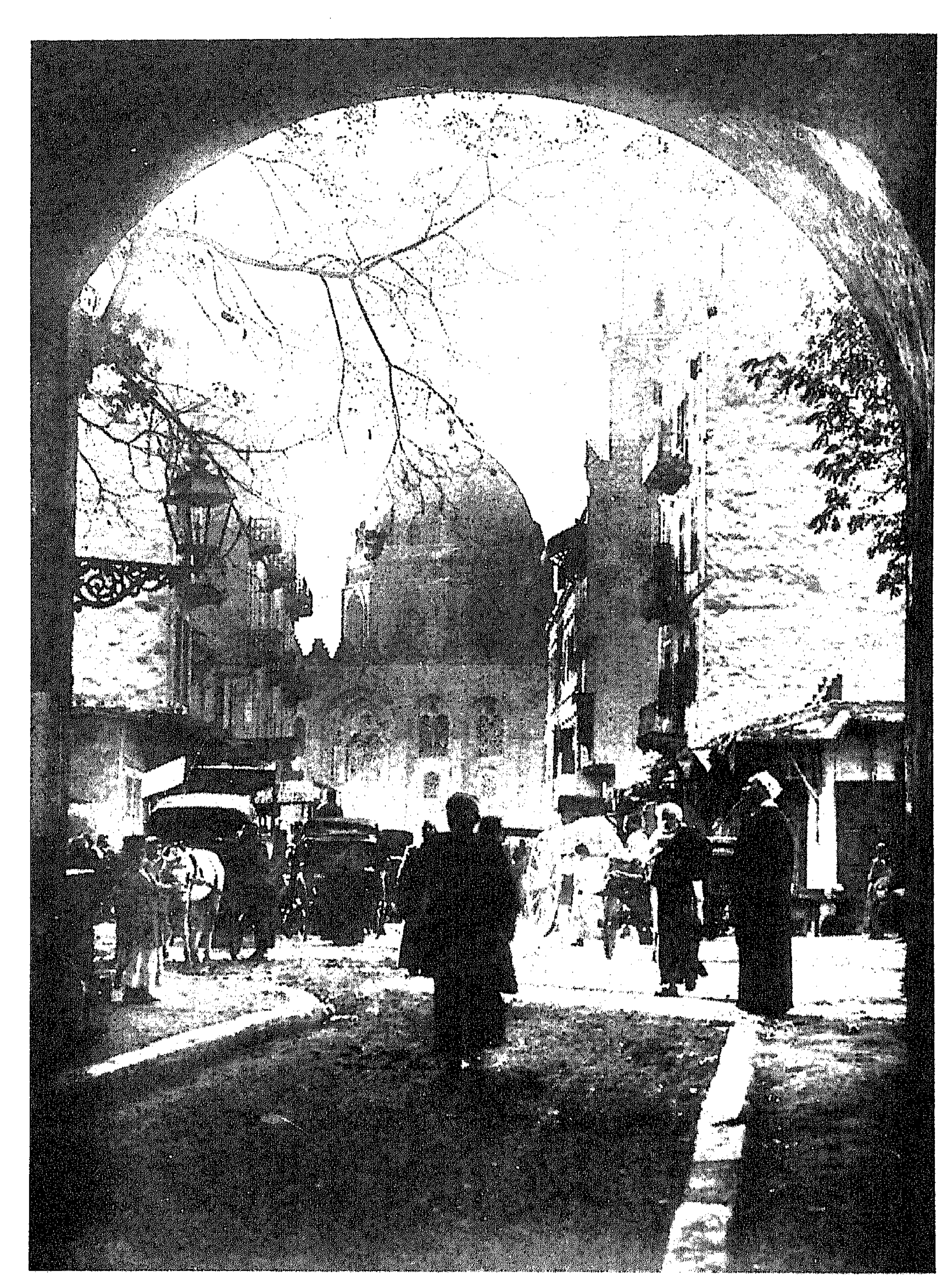


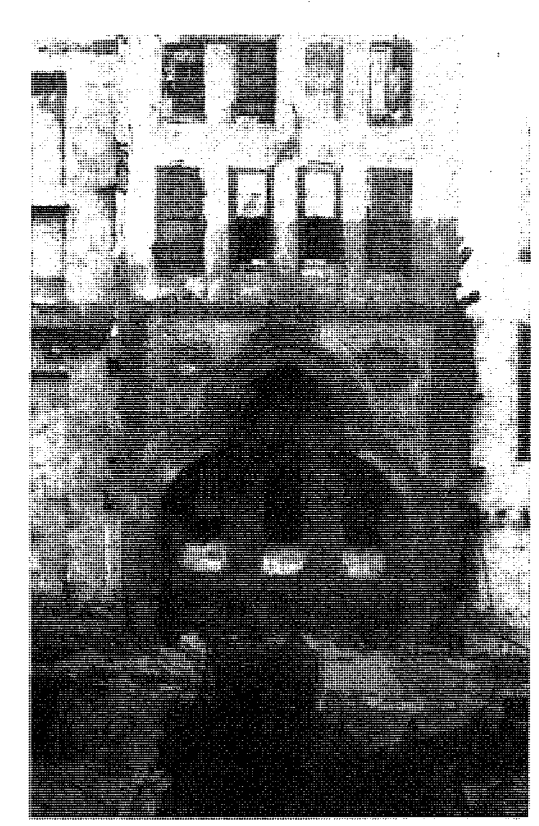
منزل مصطفى السادة بجوار مسجد الغورى.

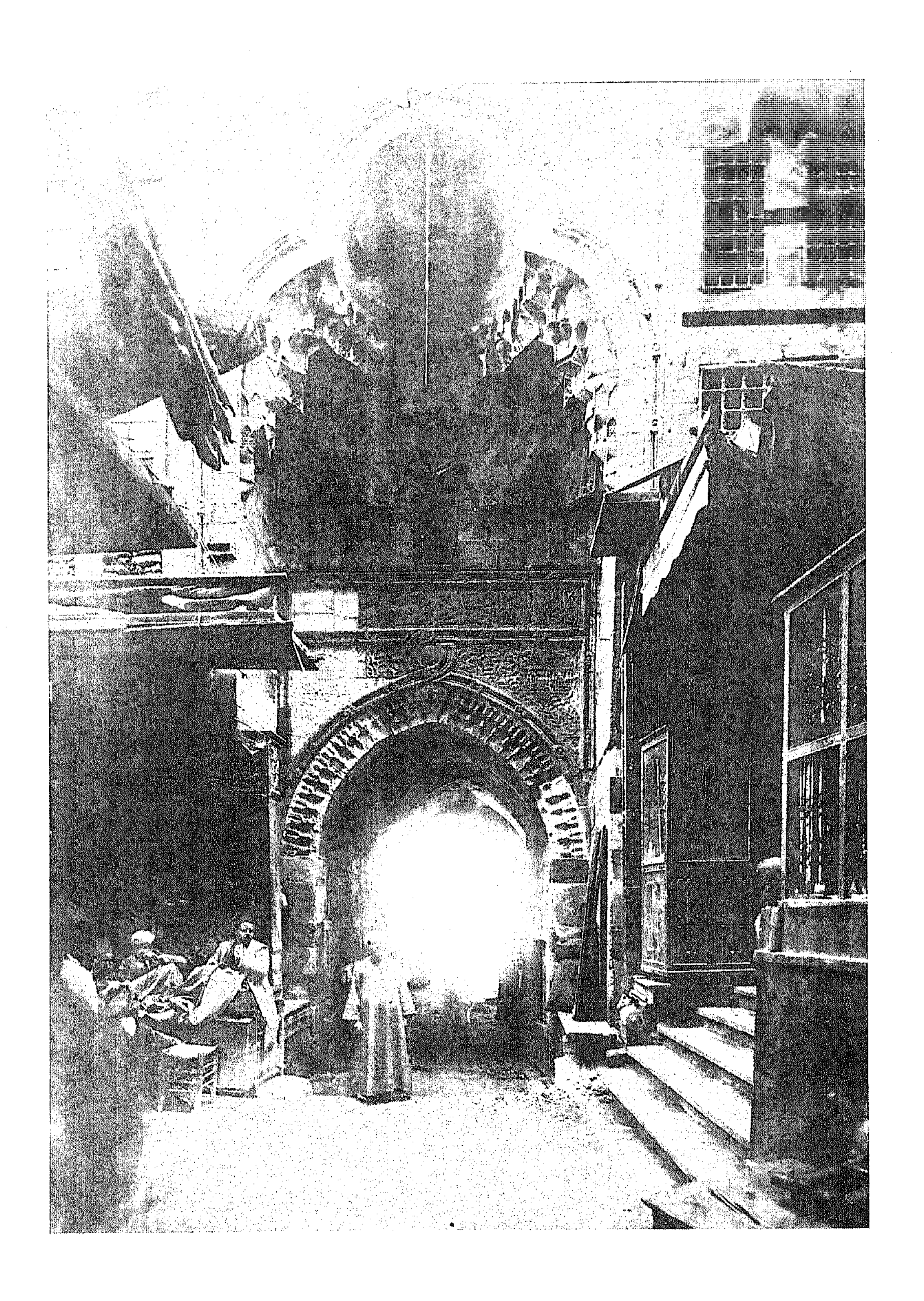


منزل محمد أمين السحيمي.

شارع الكتبية بحي الأزهر.



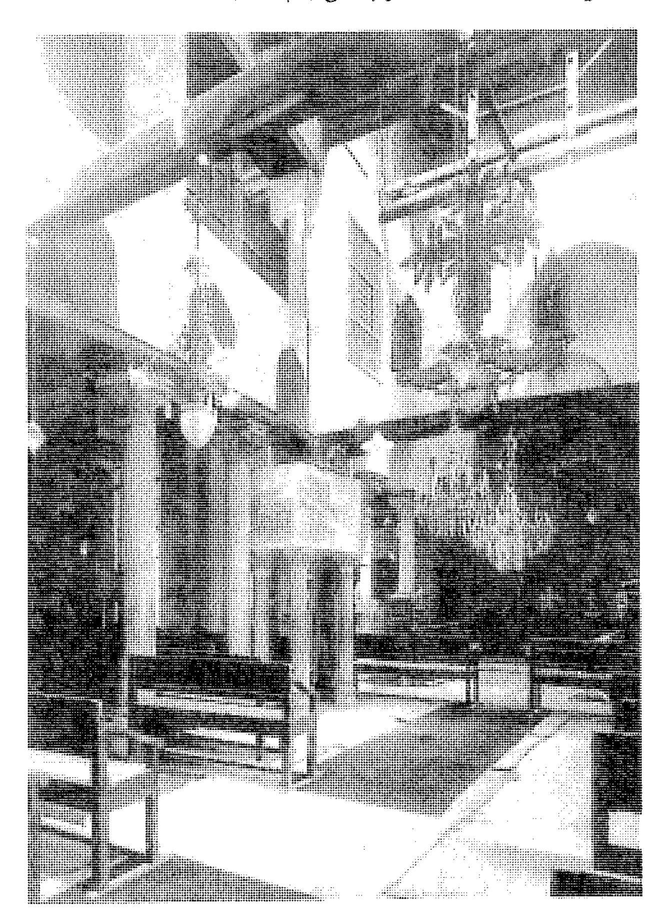




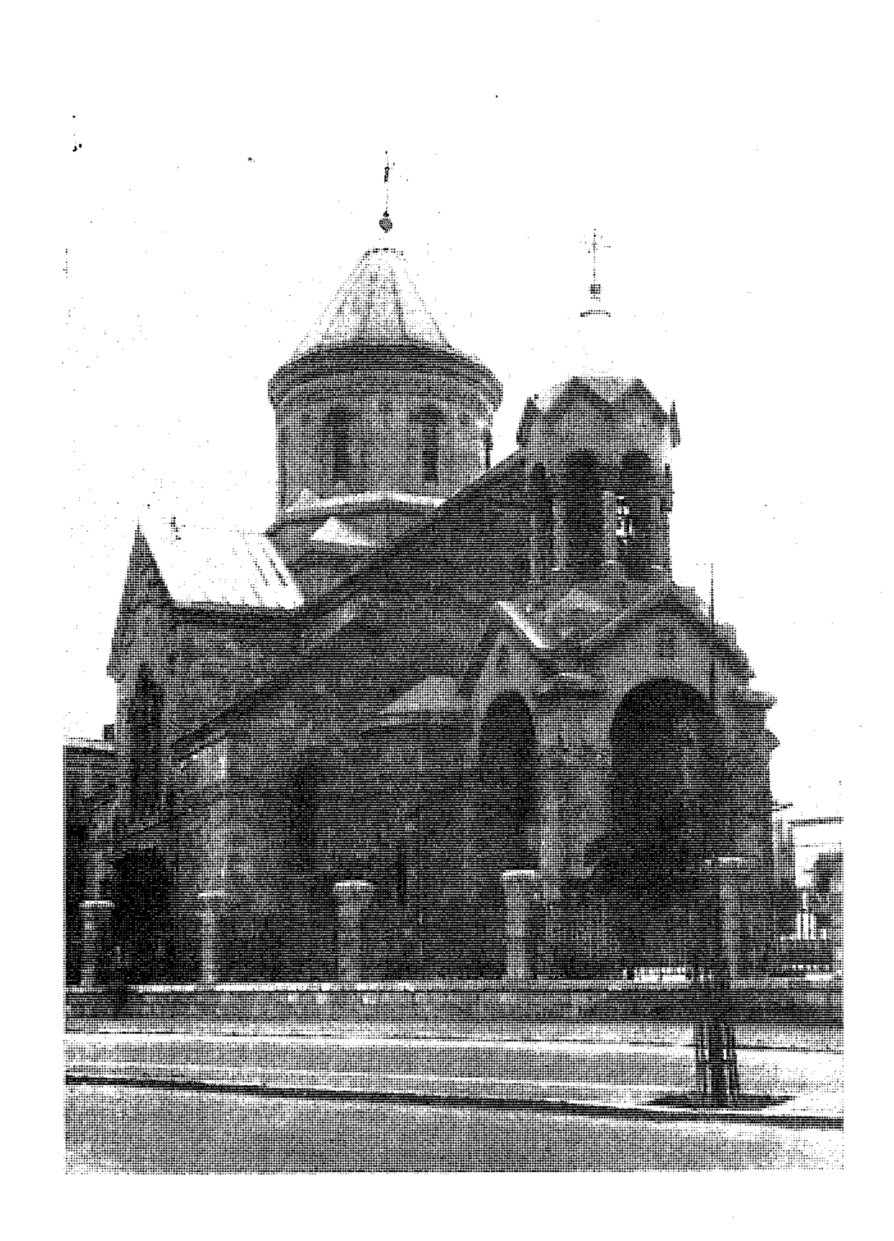
وكالة الغوري.

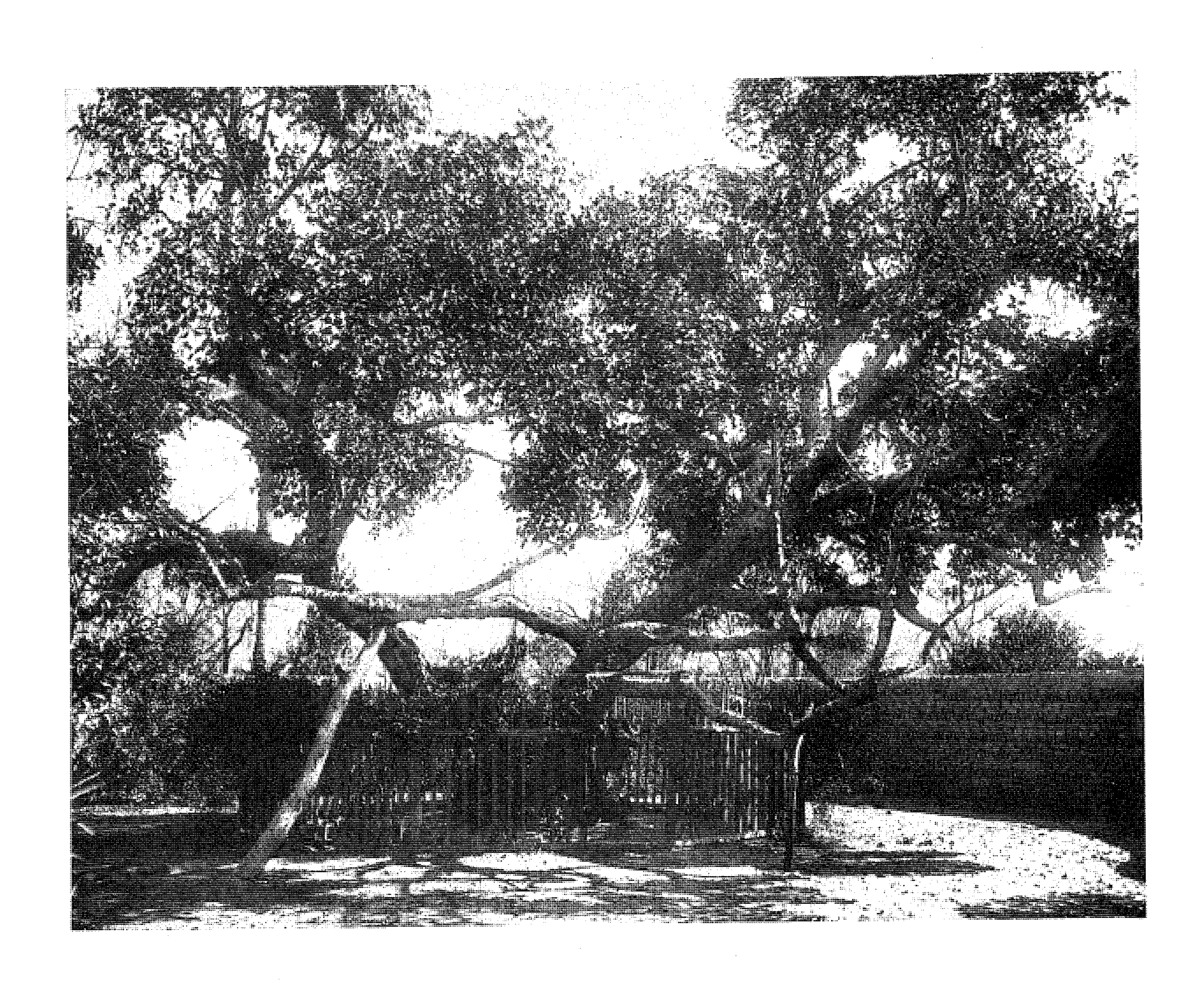
حلوان ـ منظر عام .

داخل كنيسة العذراء بالقرب من باب زويلة .

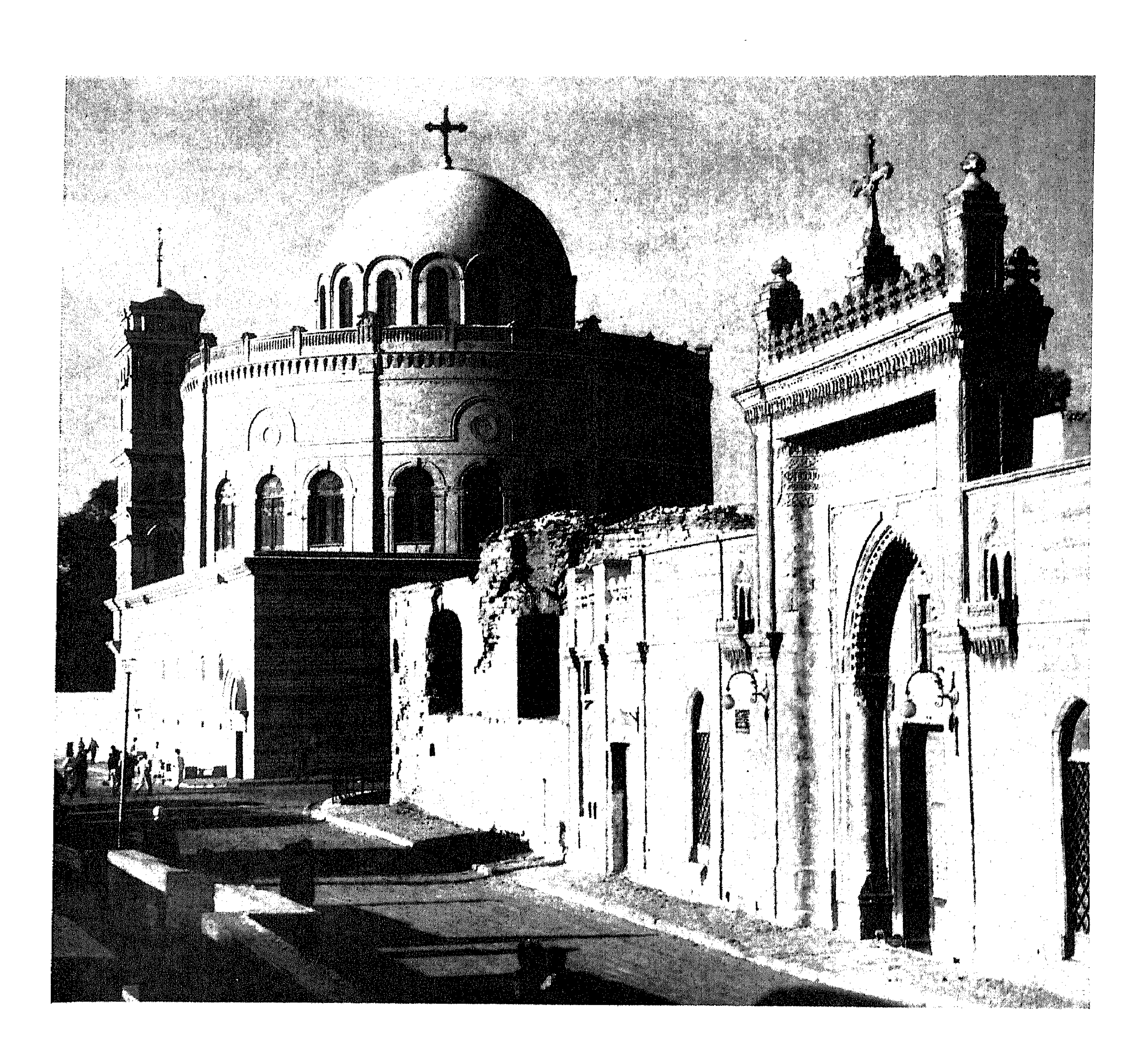


كنيسة الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة.

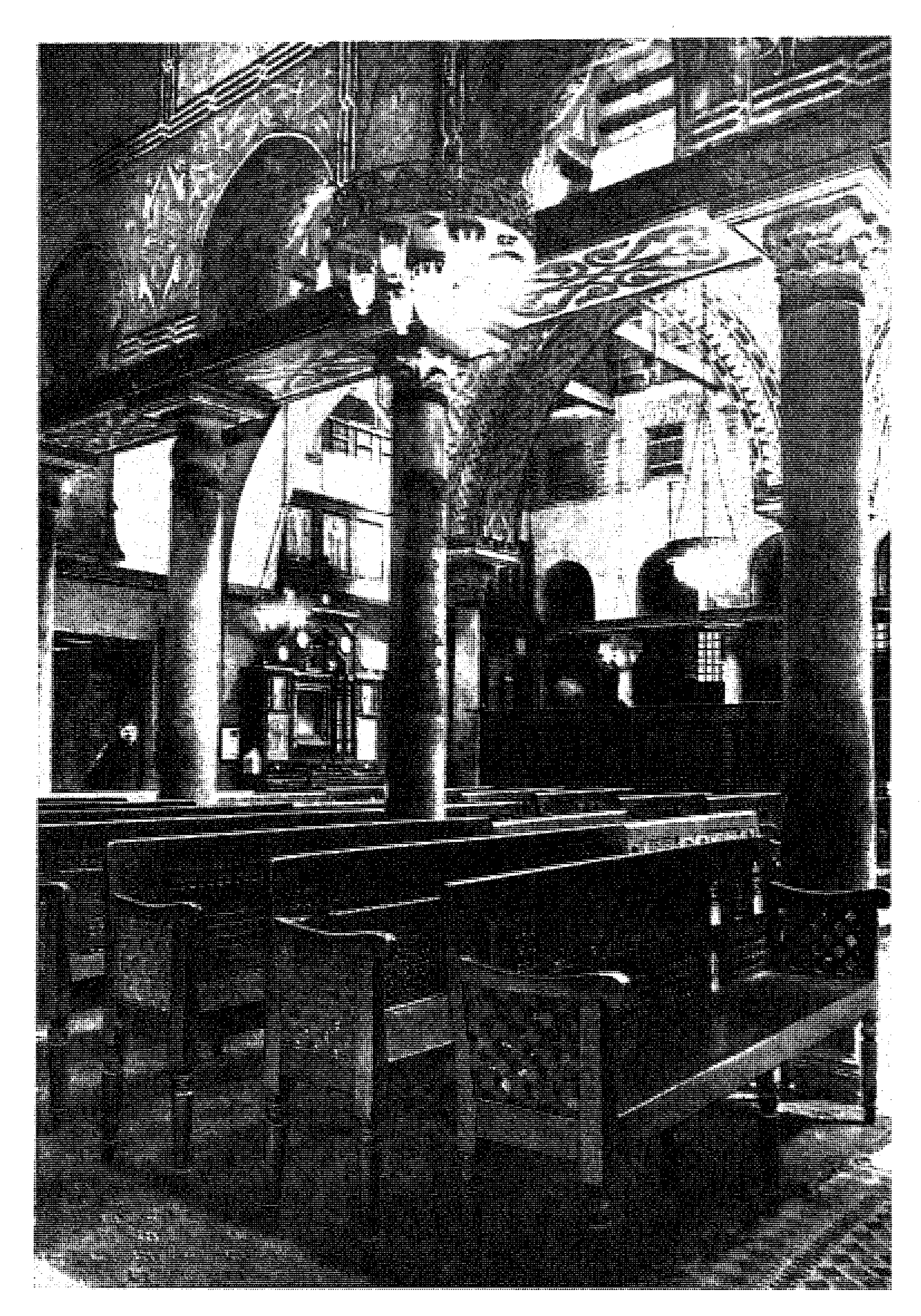




شجرة السيدة العذراء.



كنيسة مار جرجس.



داخل كنيسة مار جرجس.

حديقة المتحف القبطي بمصر

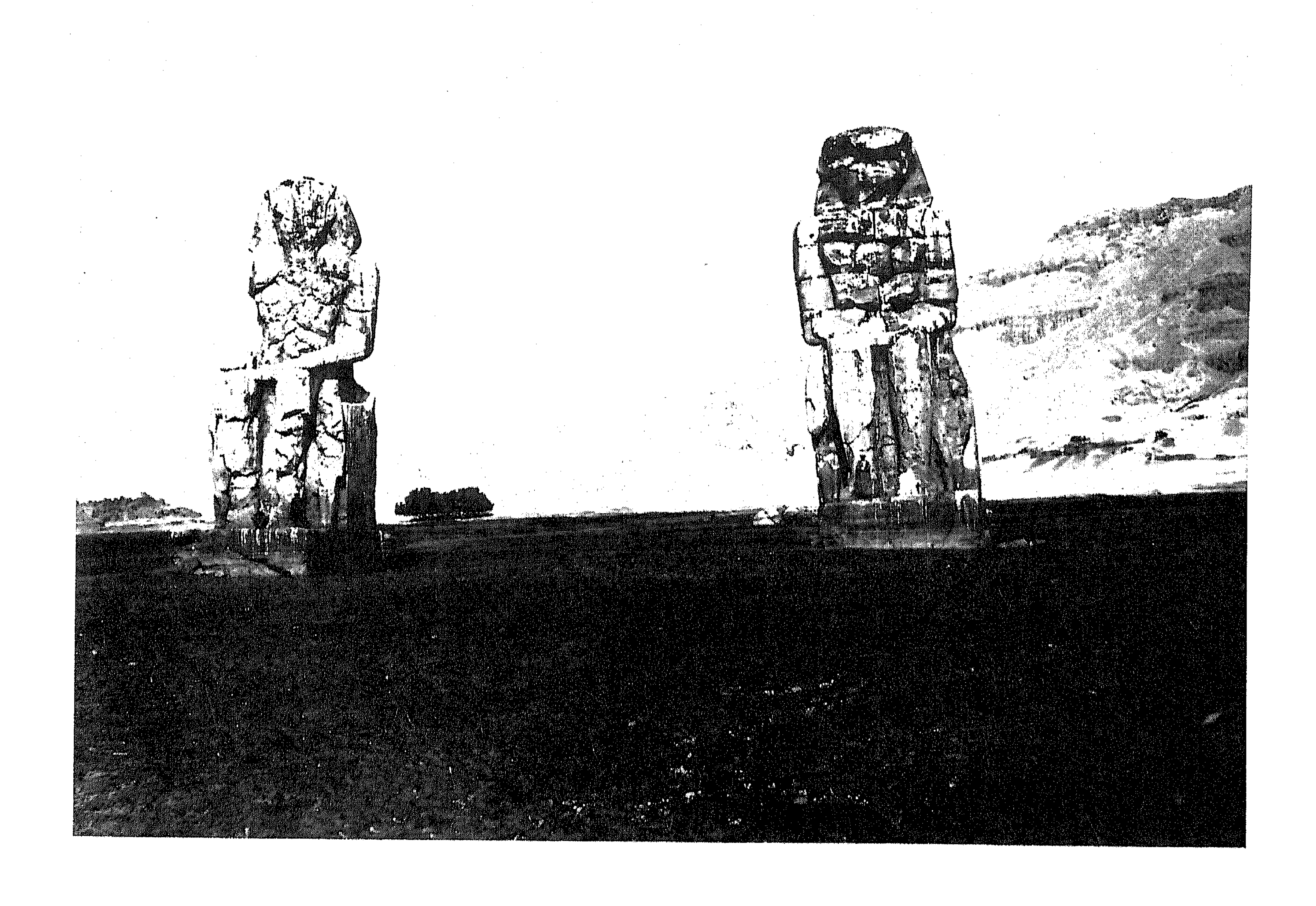


كنيسة الست بربارة.

# الأقصُر ، أسوَان ، النّوبَة

قنا، صناعة الفخار.





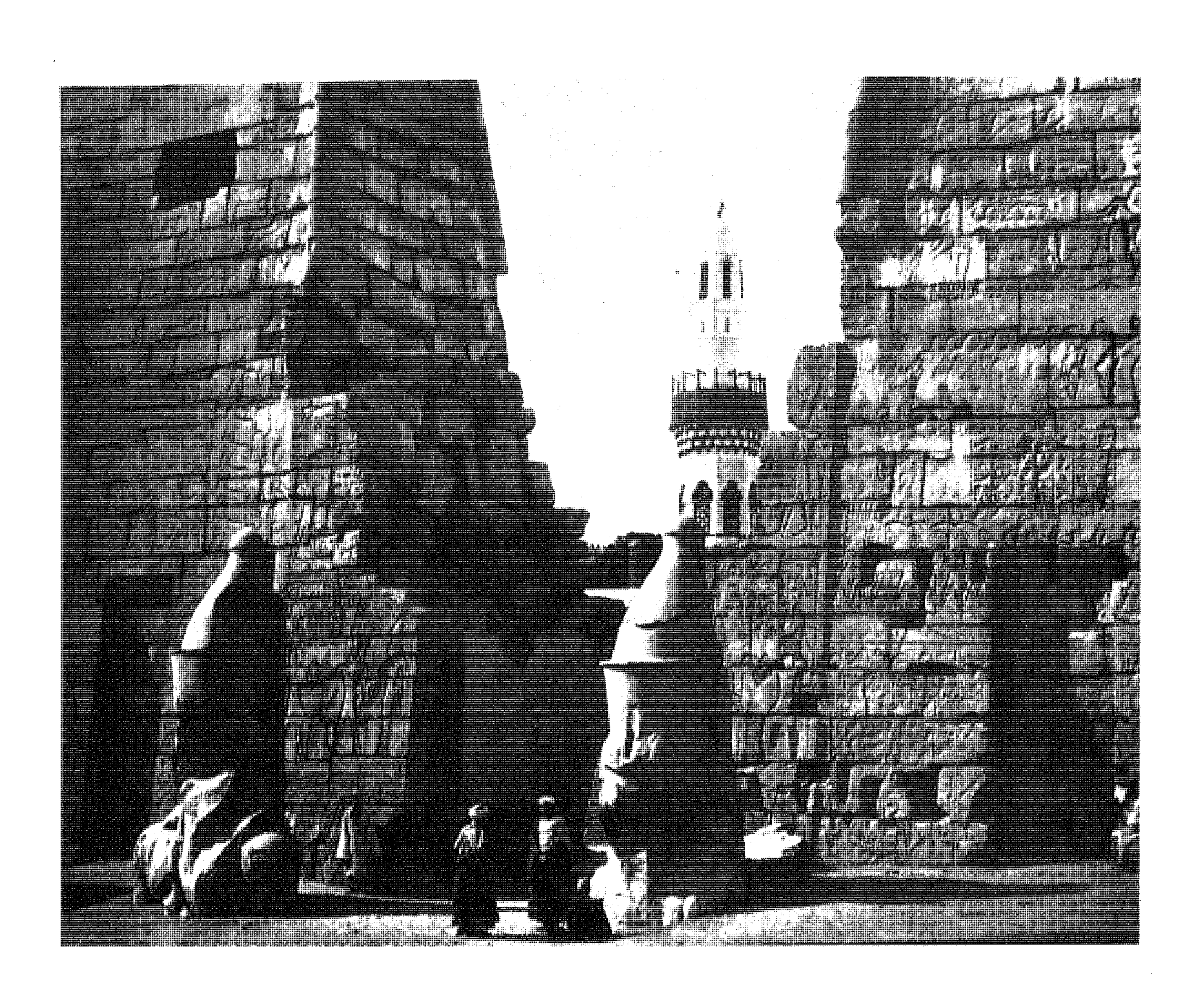
. تمثالا ممنون



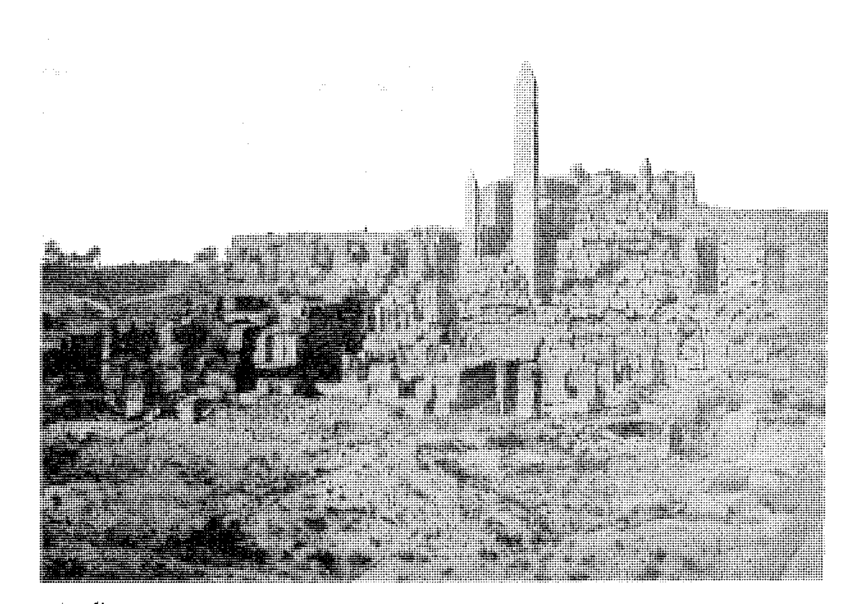
في معبد الرمسيوم.



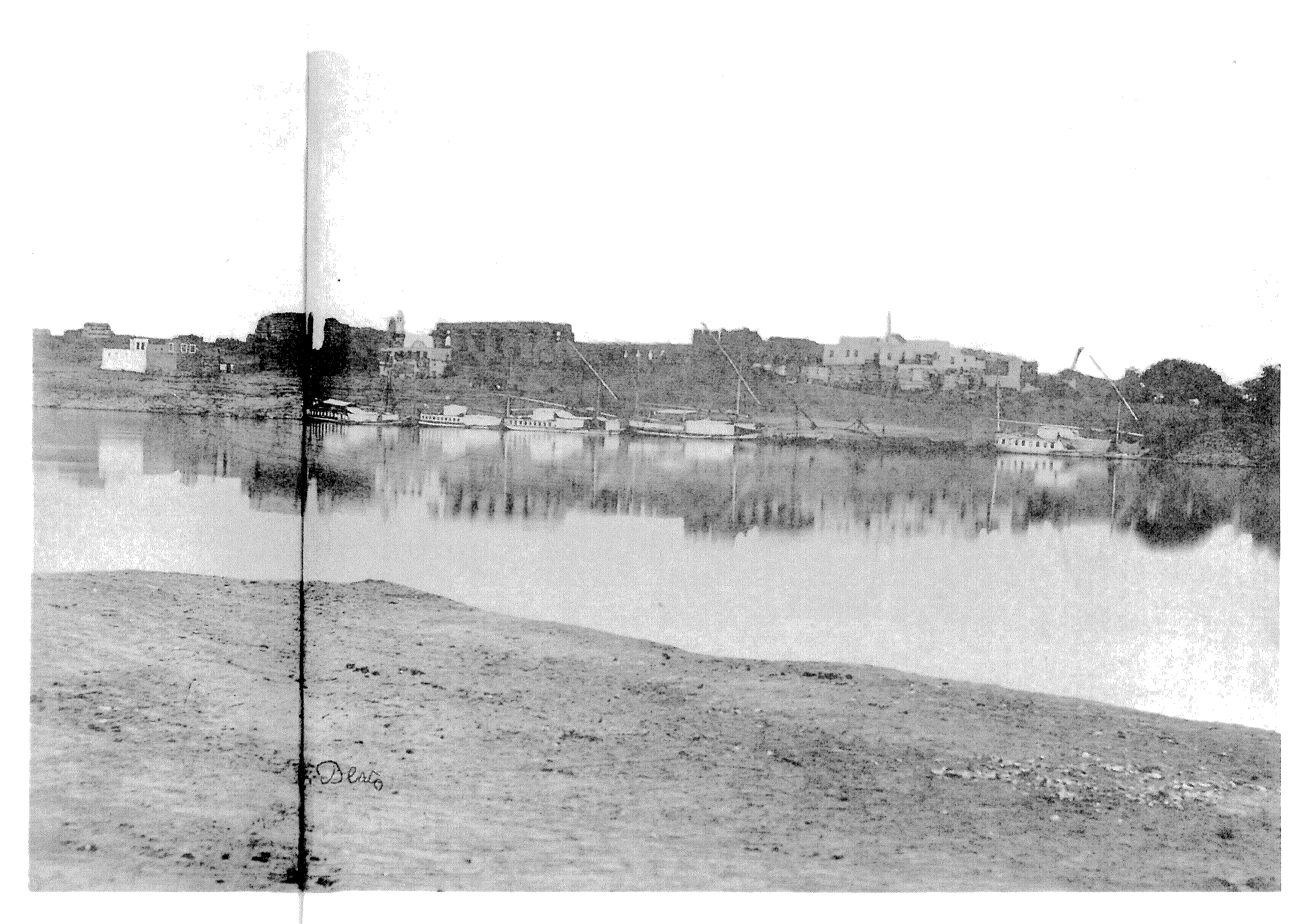

مشهد عام للكرنك



معبد آمون بالأقصر.



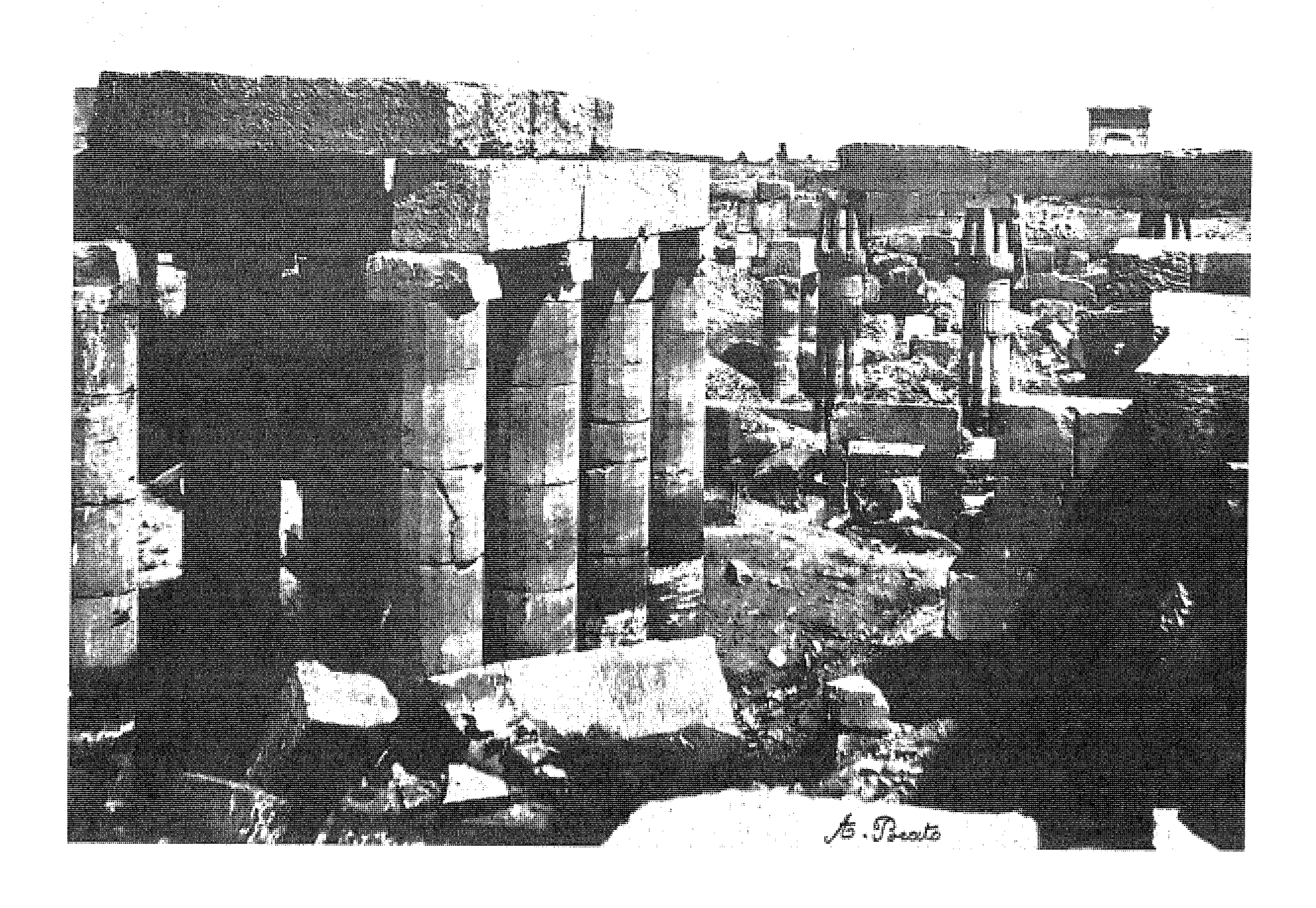
الكرنك



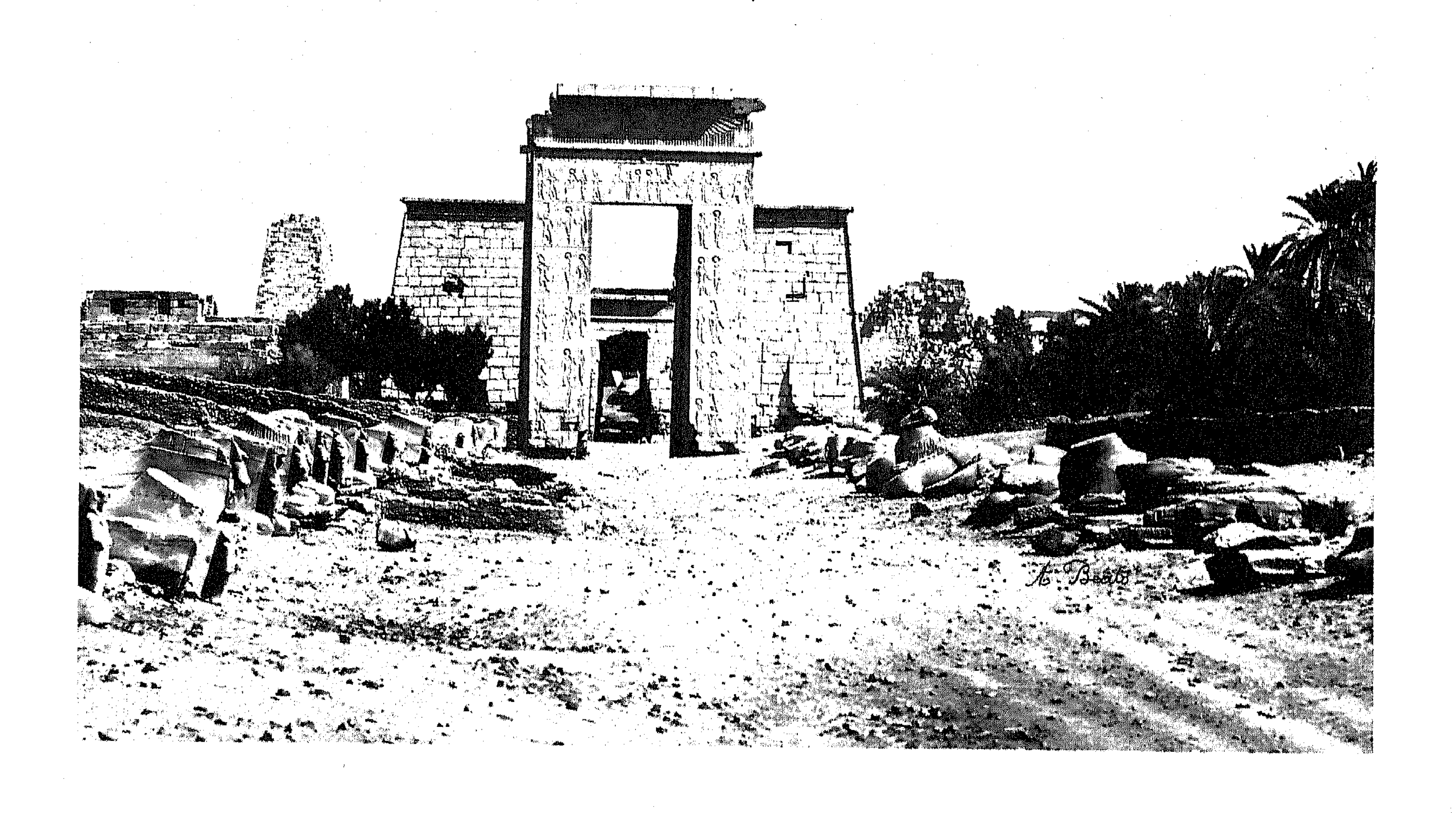
الكرنك والدهبيات والبحيرة المقدسة.



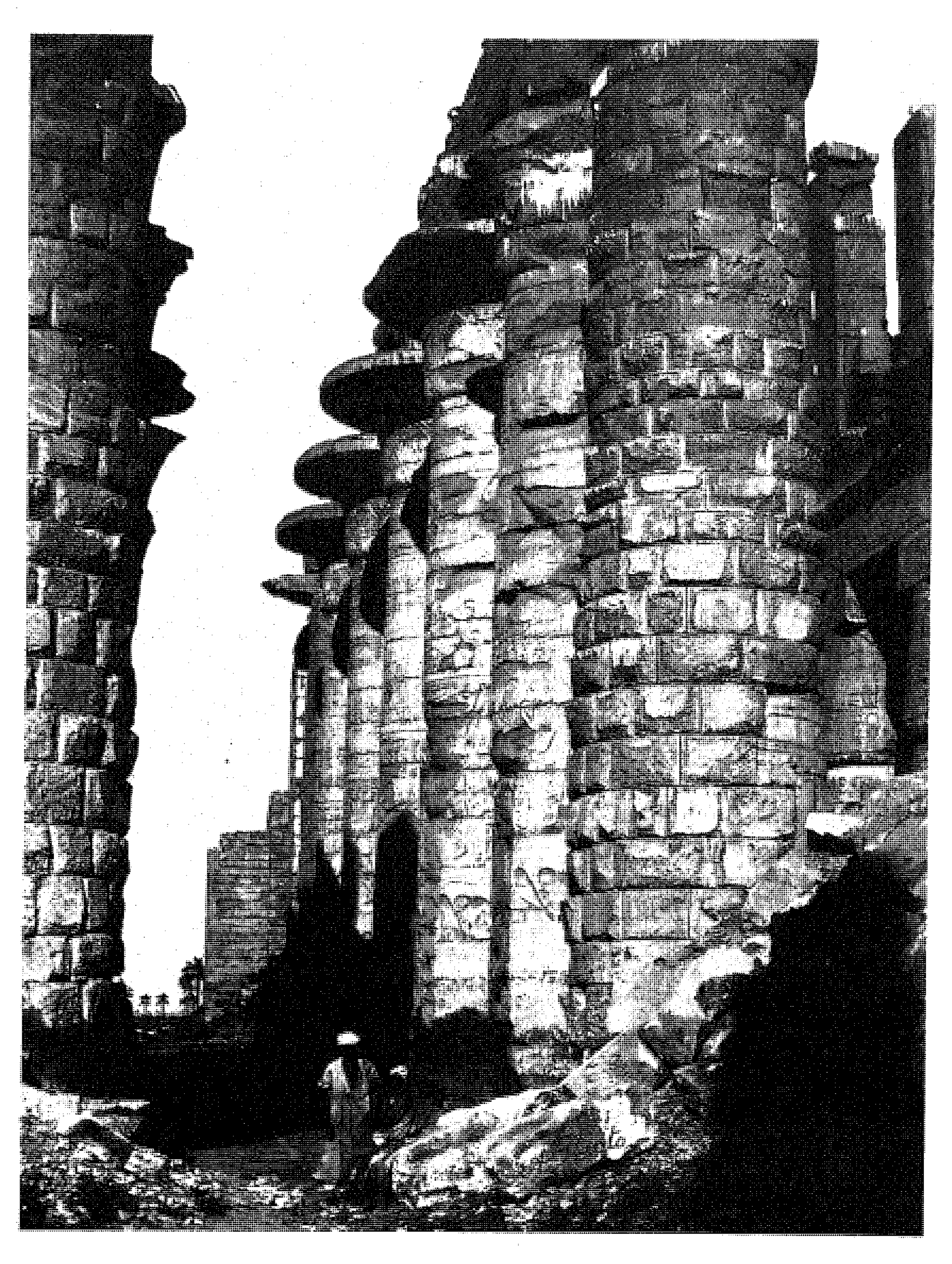
الكرنك




الكرنك



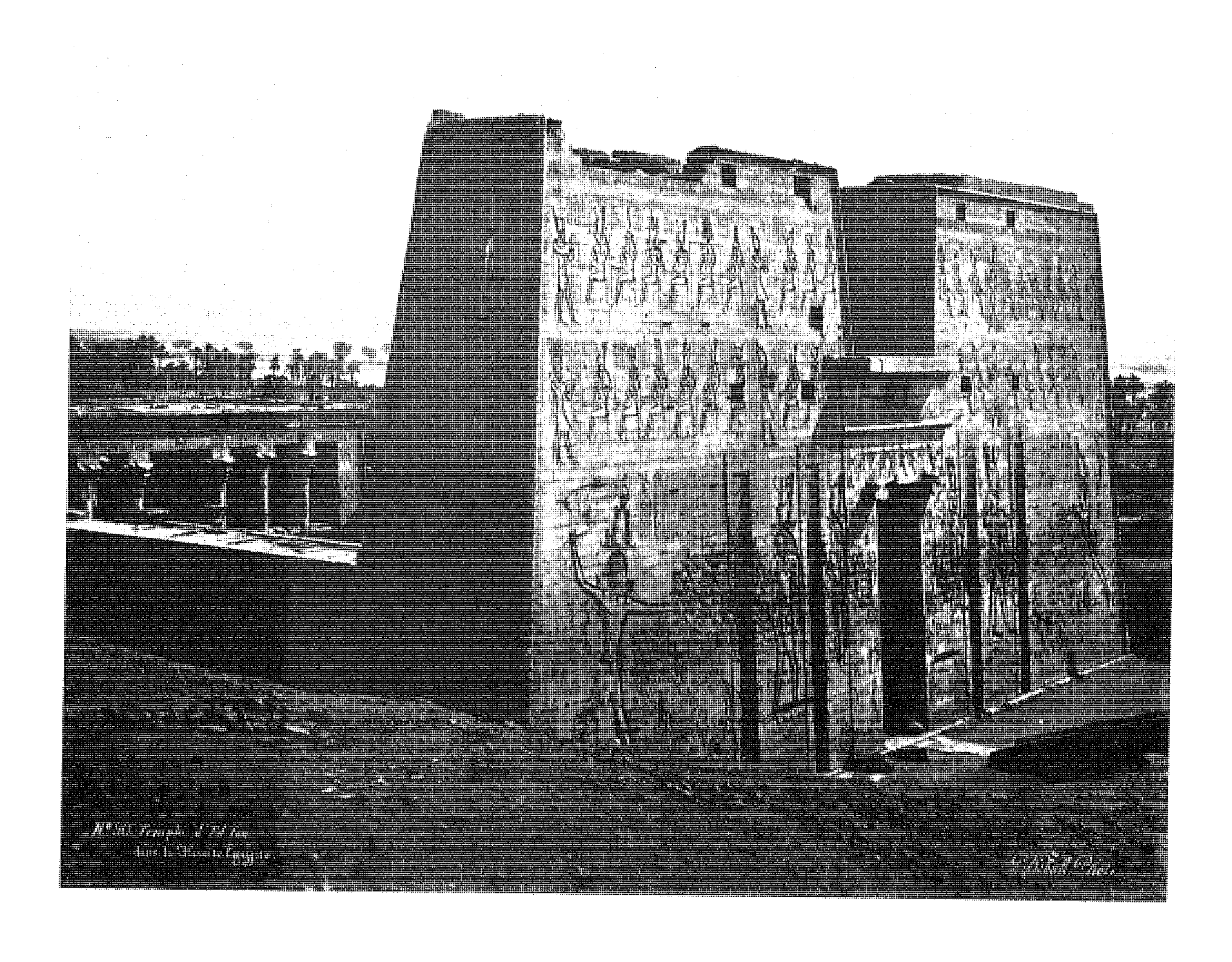

طريق الكباش



الكرنك




معبد إدفو



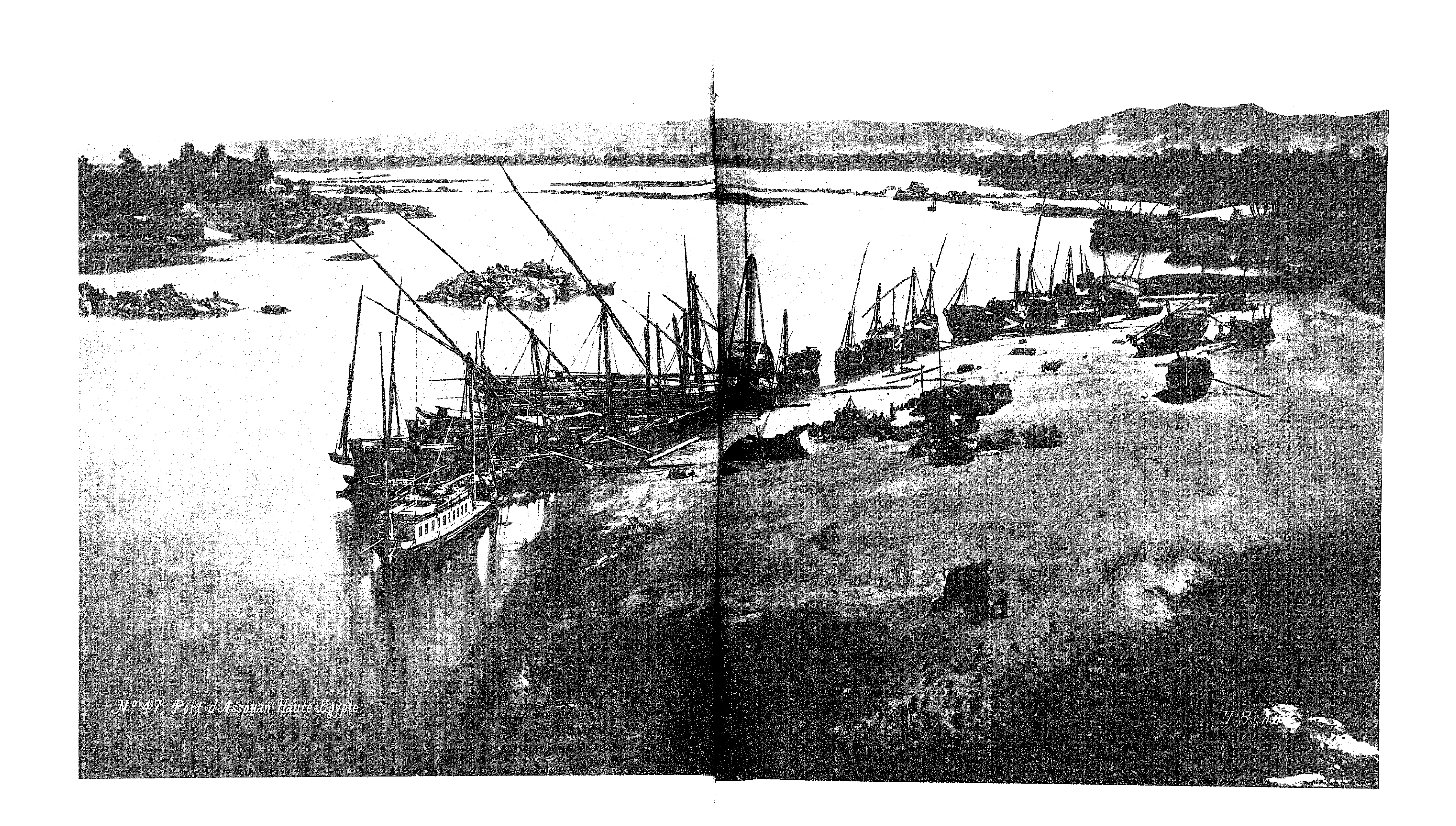
واجهة معبد إدفو

قصر الخديو بأسيوط عام ١٨٥٩ .





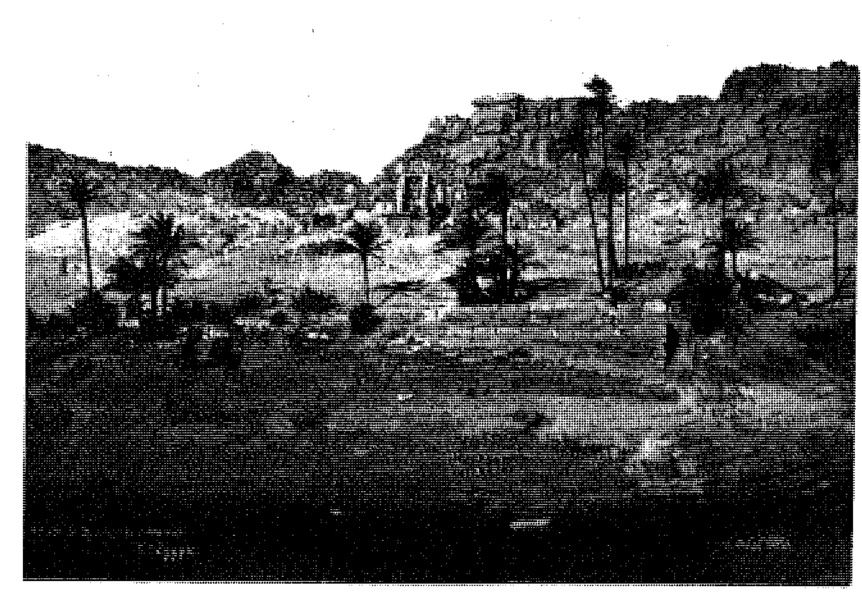

معبد كوم أمبو.




ميناء أسوان.

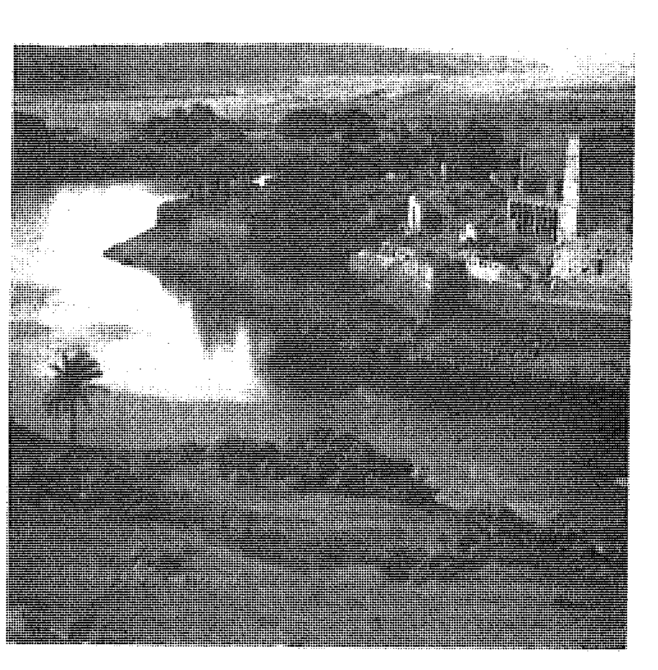


محطة القطار بأسوان.



جزيرة بيجا بالقرب من أسوان.

جزيرة فيلة ـ لؤلؤة مصر.



جزيرة فيلة.

جزيرة فيلة .



جزيرة فيلة .

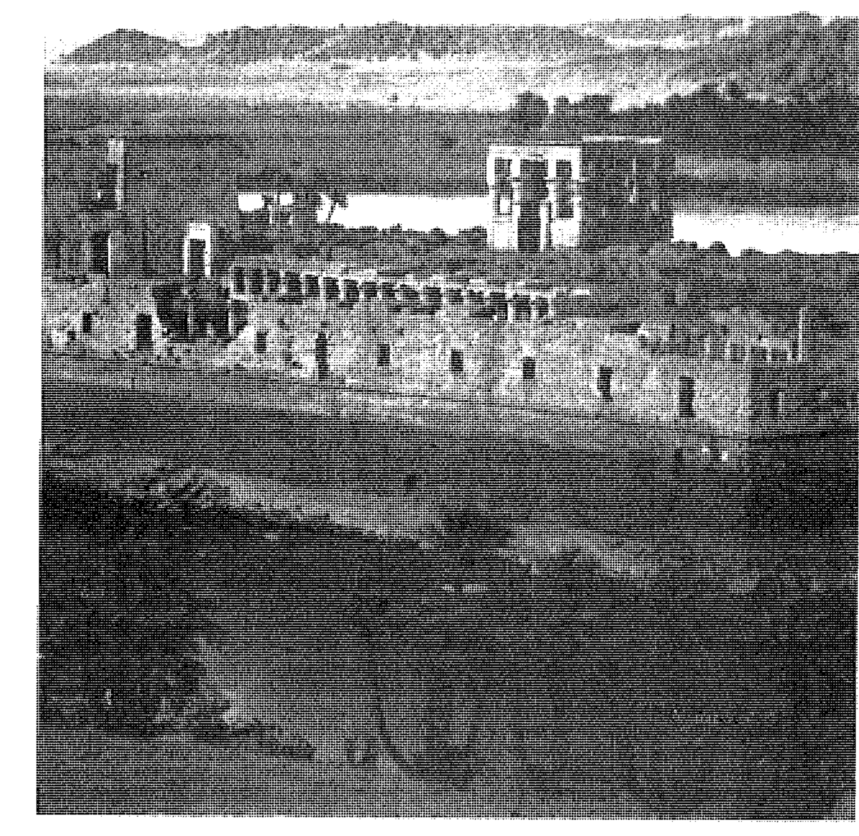


معبد فيلة .





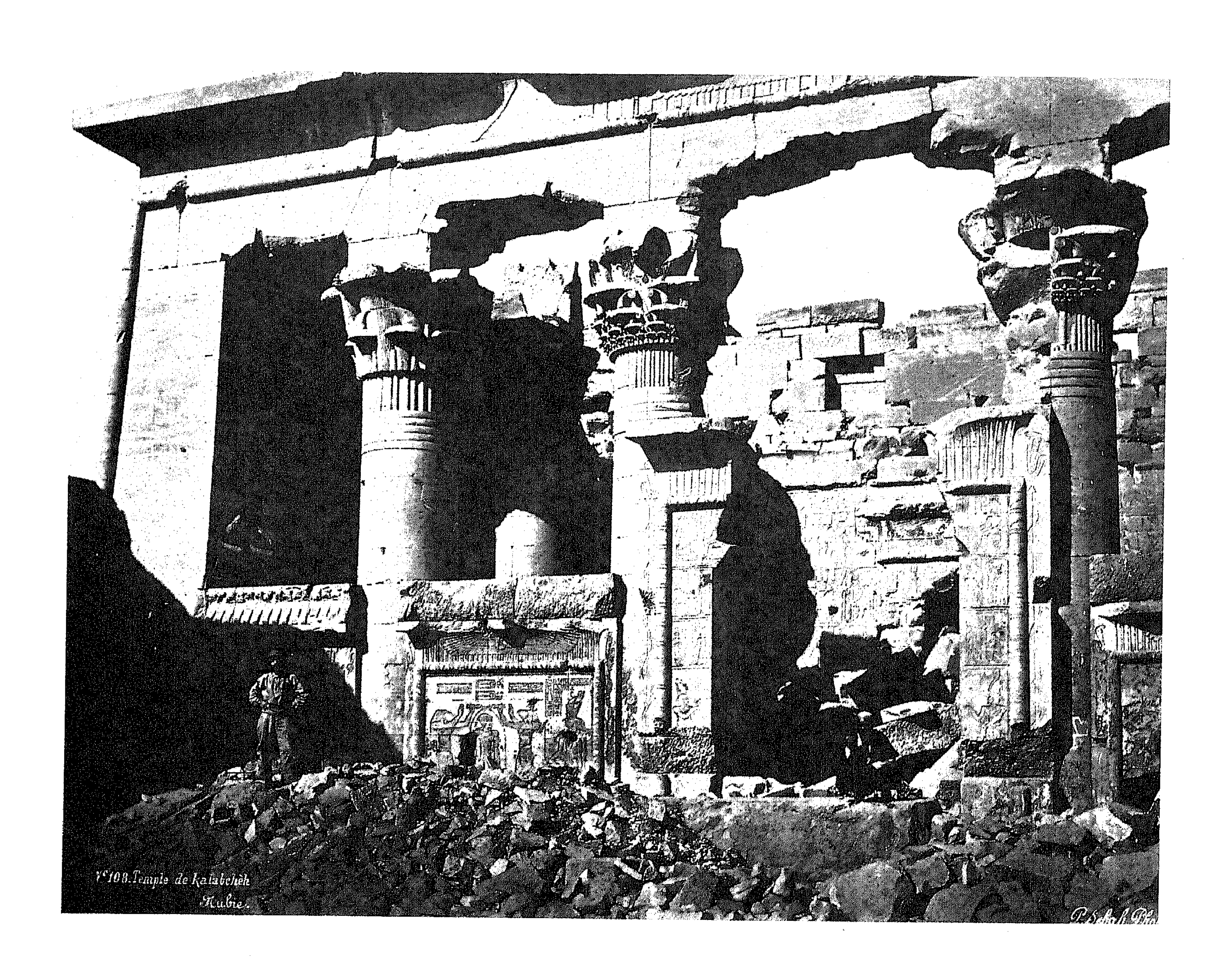
معبد فيلة .



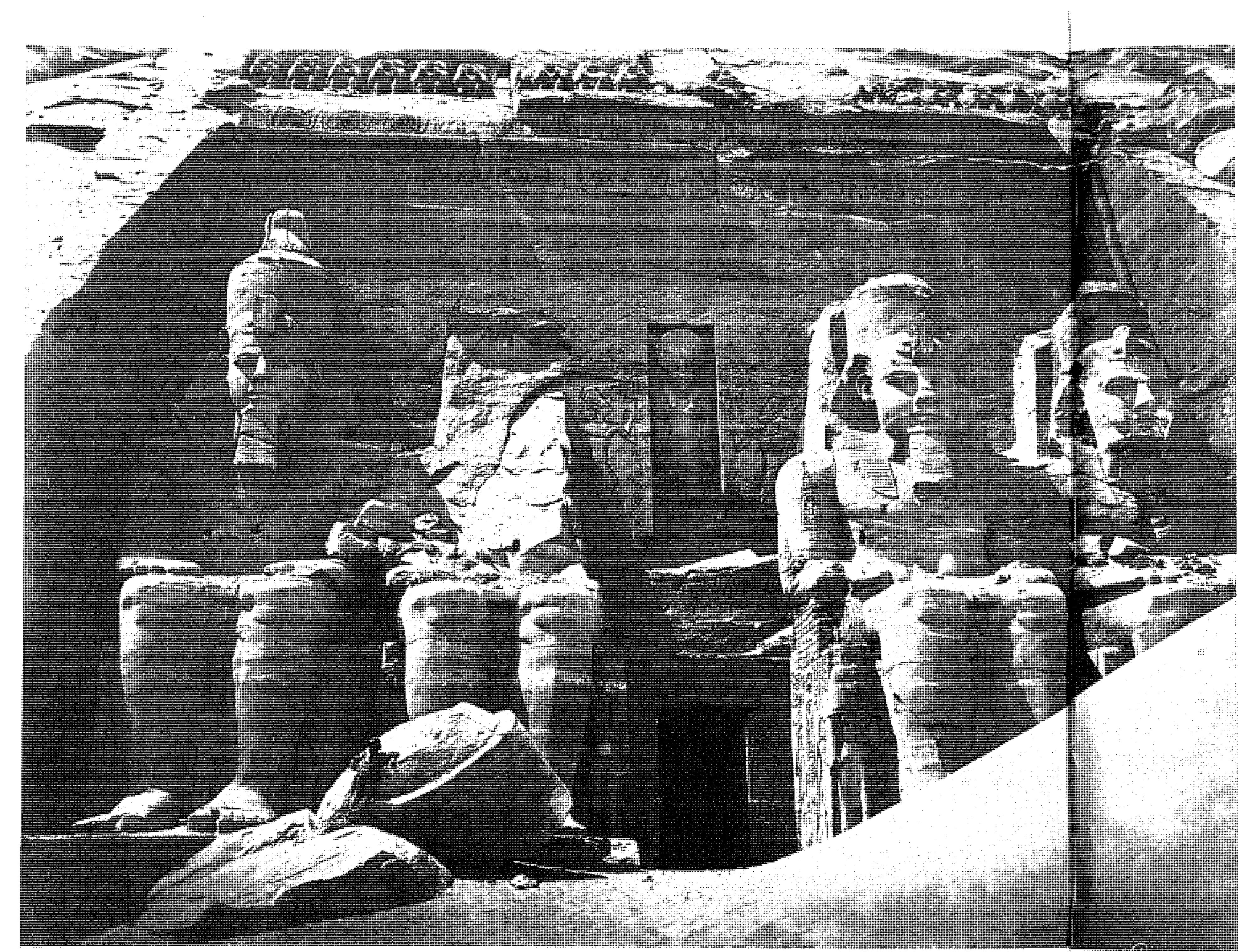
جزيرة فيلة .



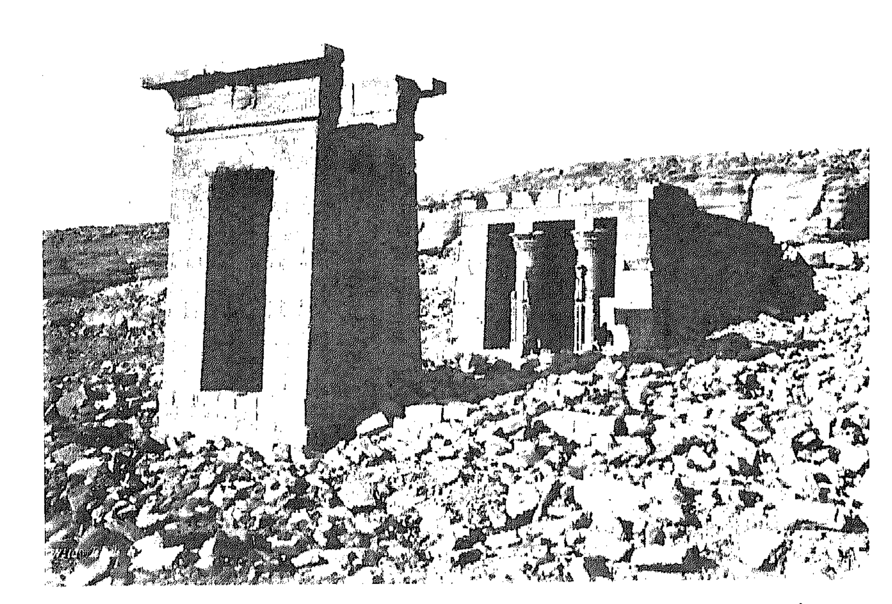
معبد فيلة.



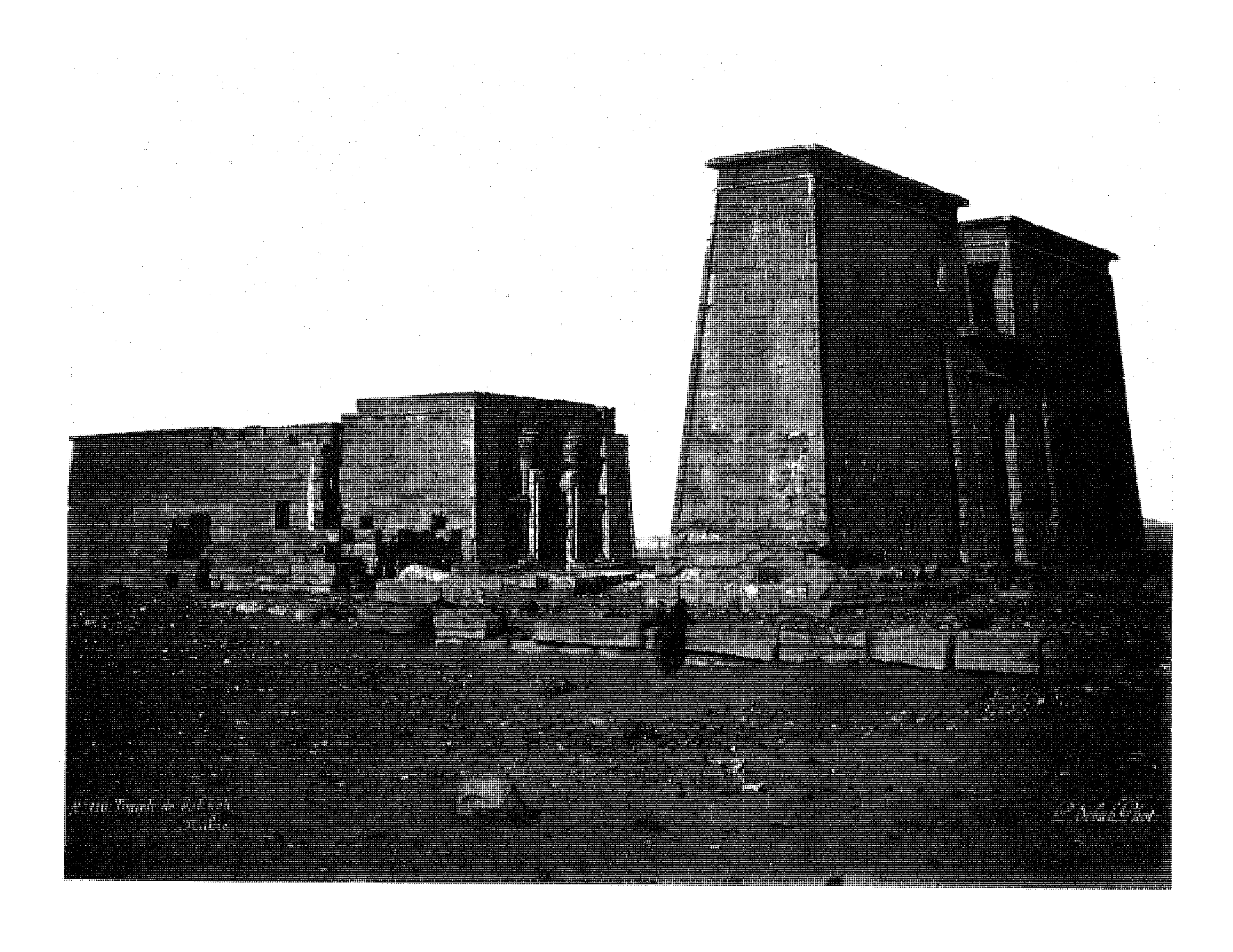

معبد كلابشة ـ النوبة .



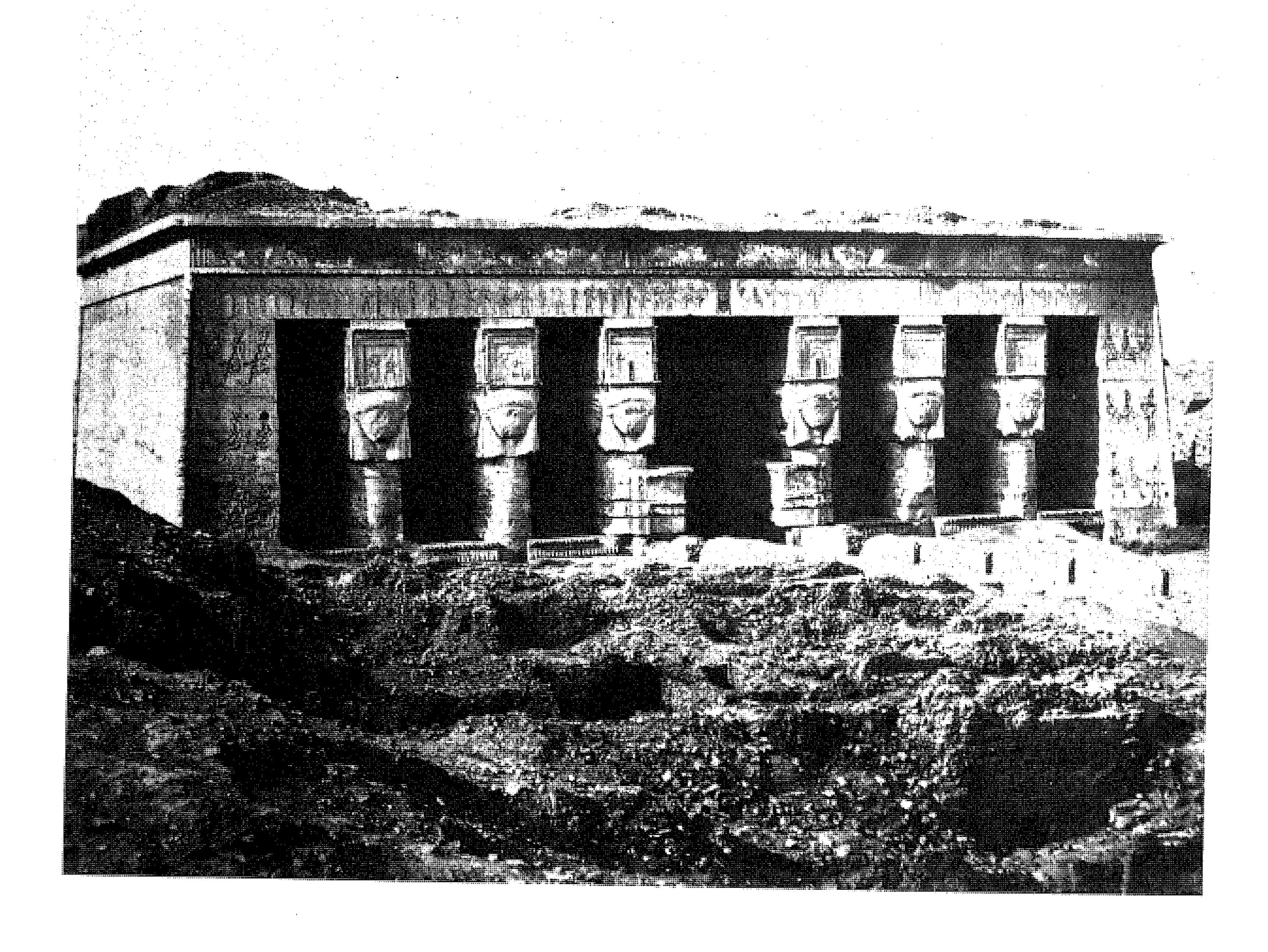
معبد أبو سمبل.



معبد دندور.



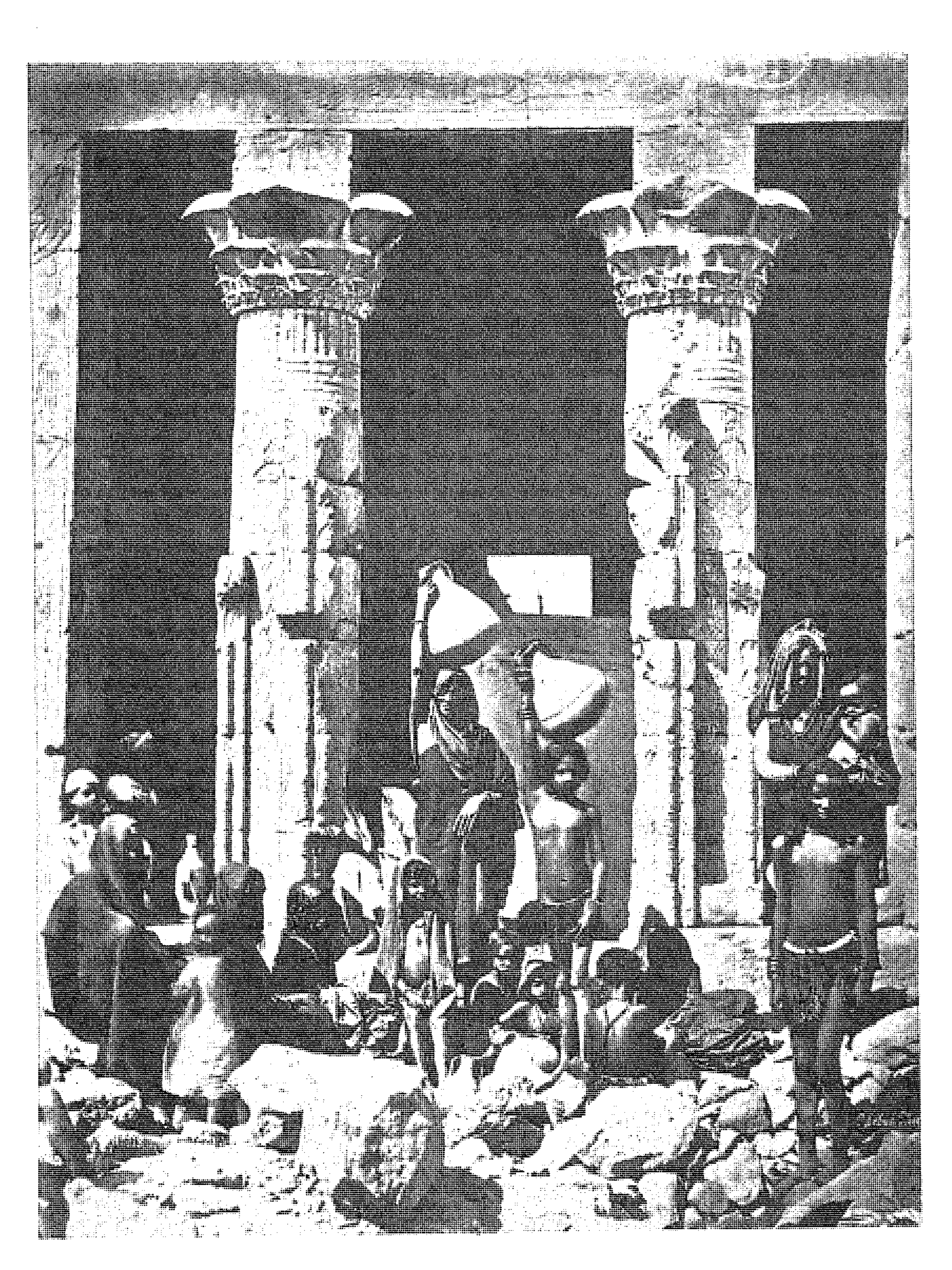
معبد دكا.



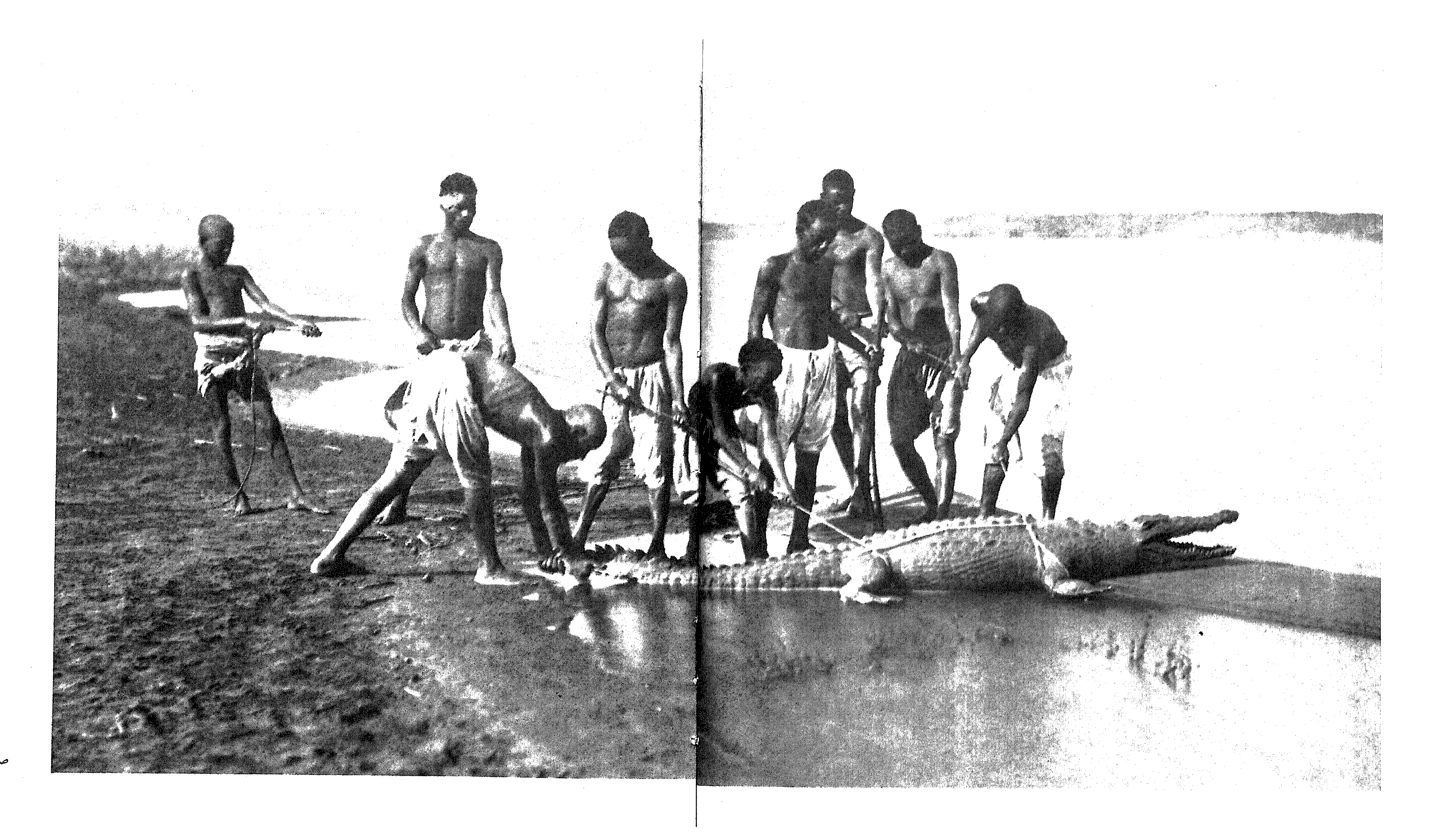
معبد دندرة




معبد كركادش .

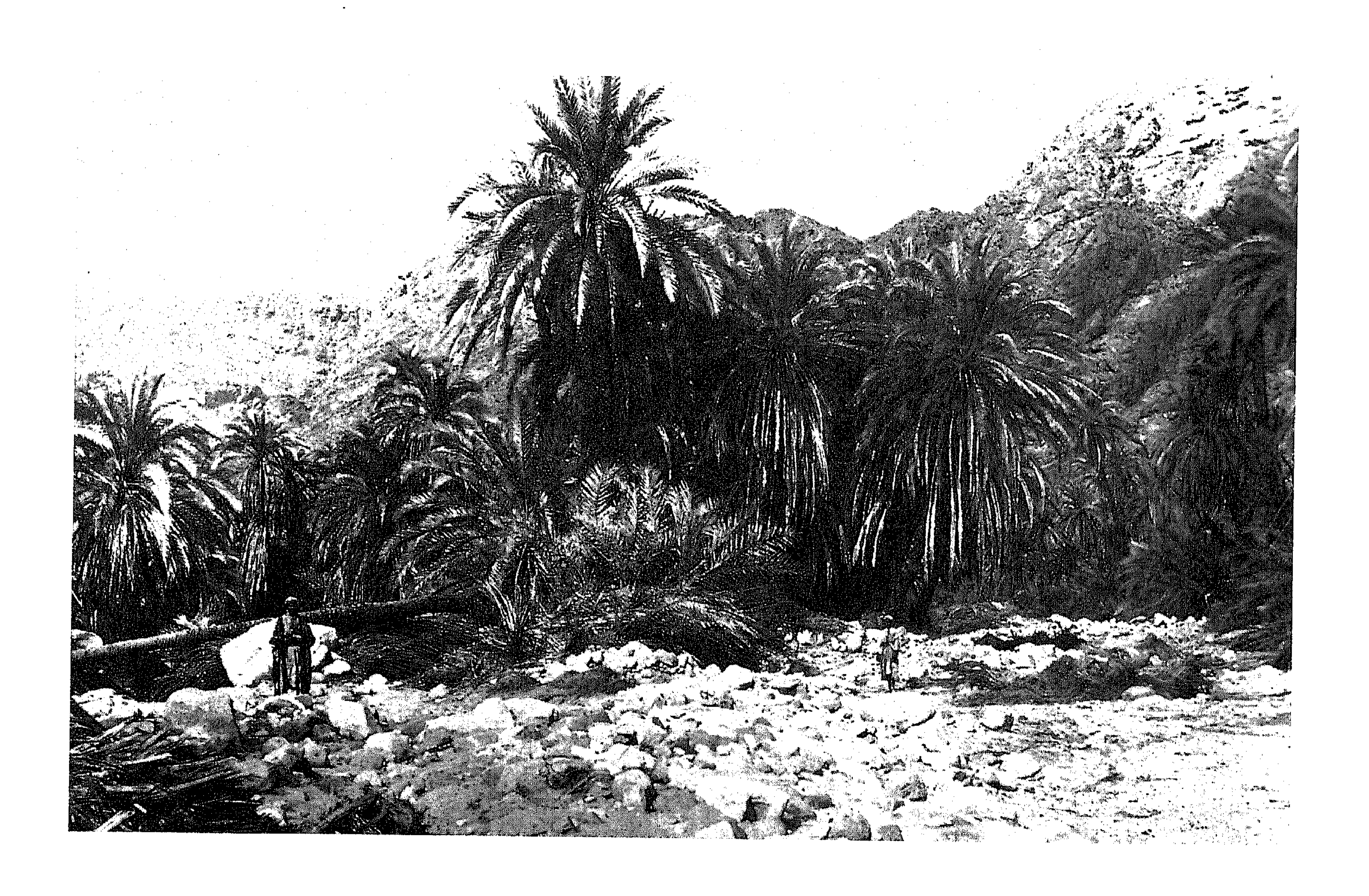


مشهد لنساء البشارى وأطفالهم
أمام معبد دندور الصغير.

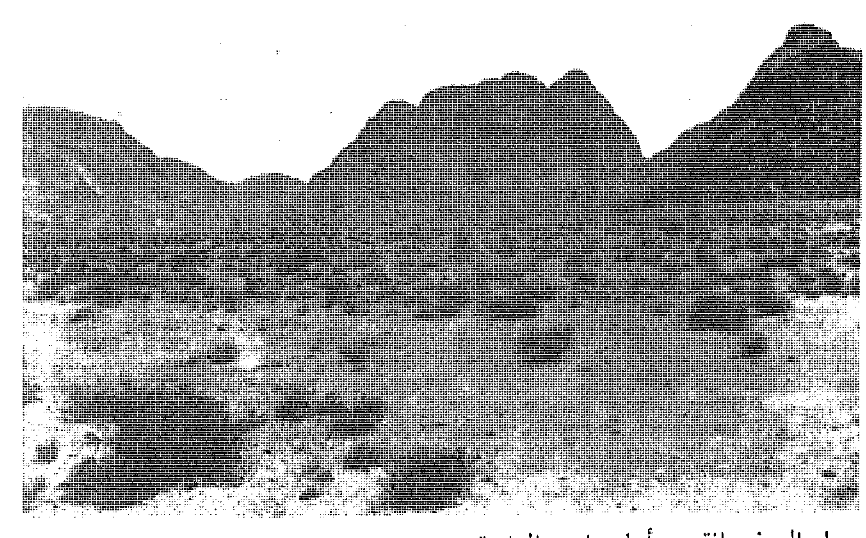


صيد التماسيح من نيل النوبة.

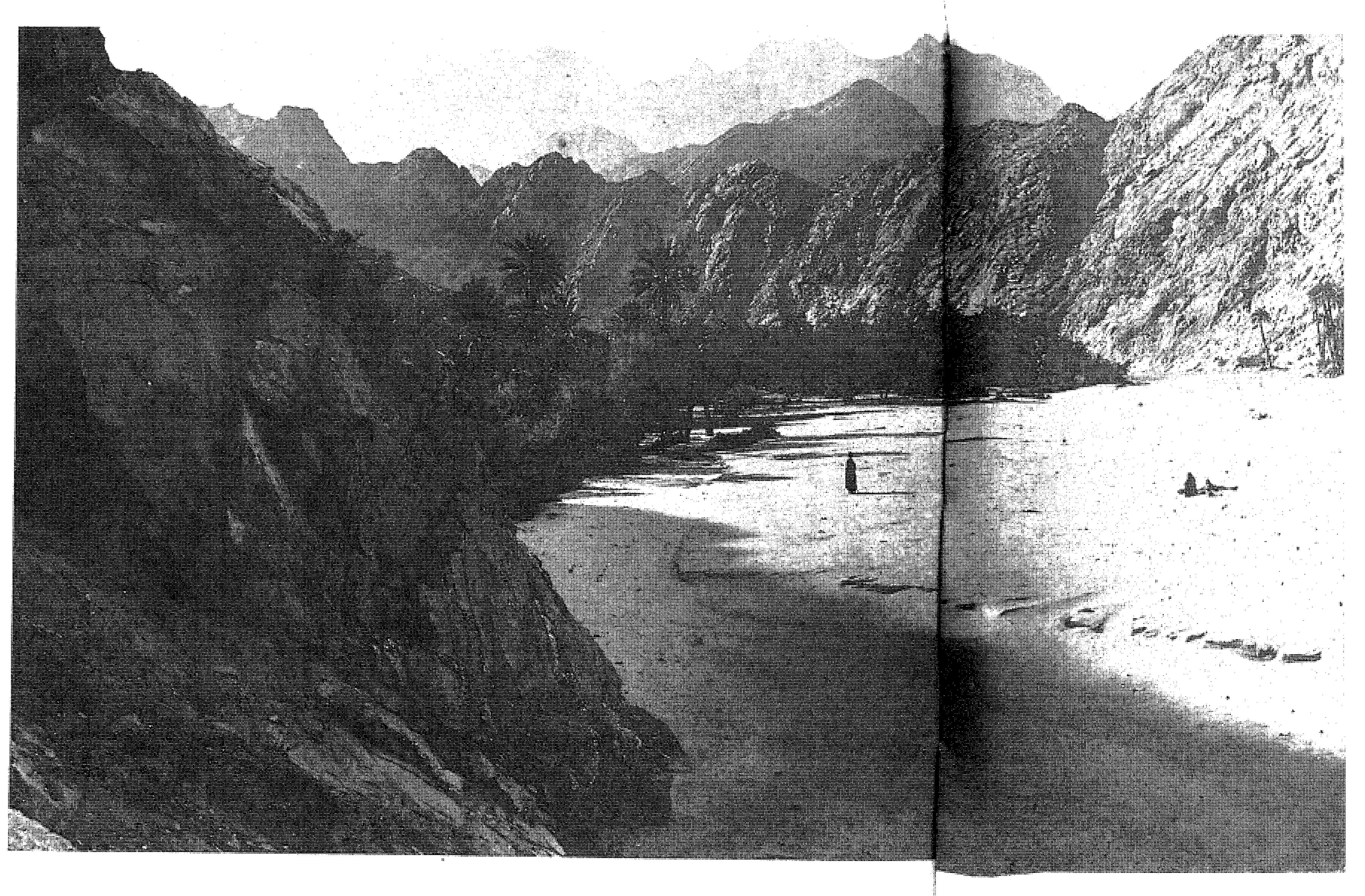
# سيناء



غابة النخل بوادي فيران.

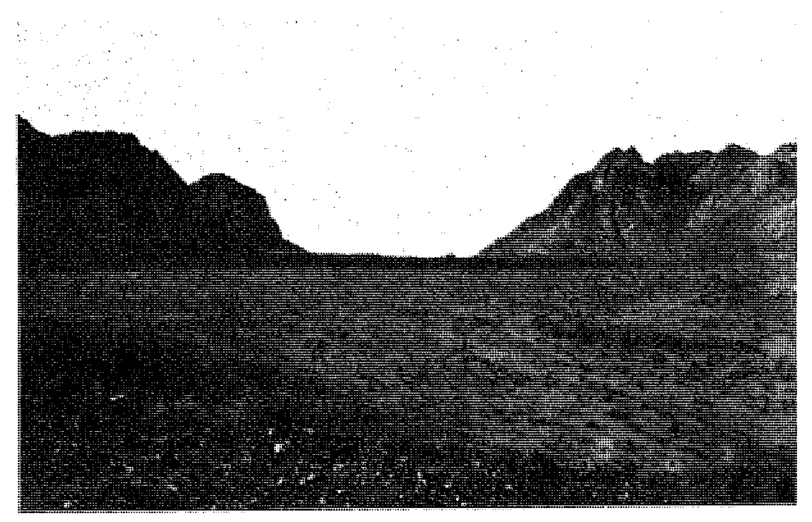


جبل الصفصافة من أعلى وادي الراحة .



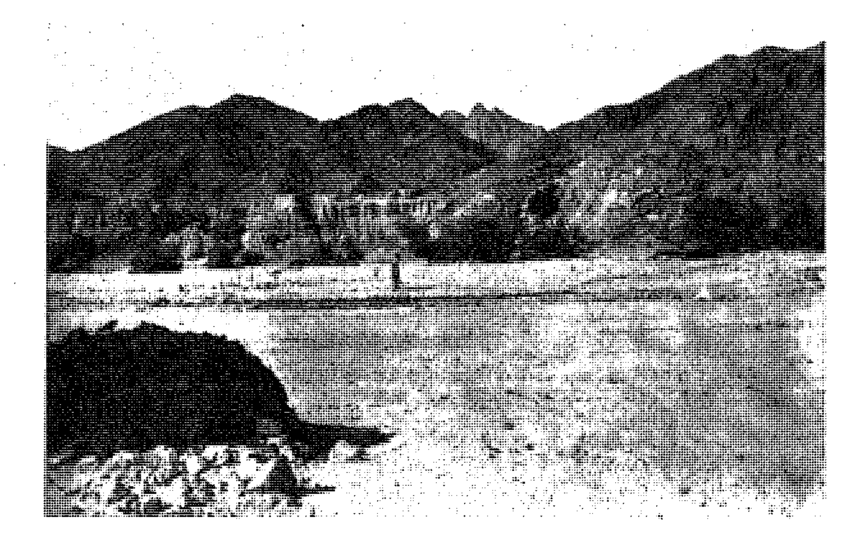
منظر عام لجبل سربال وغابة النخيل بوادي فيران .

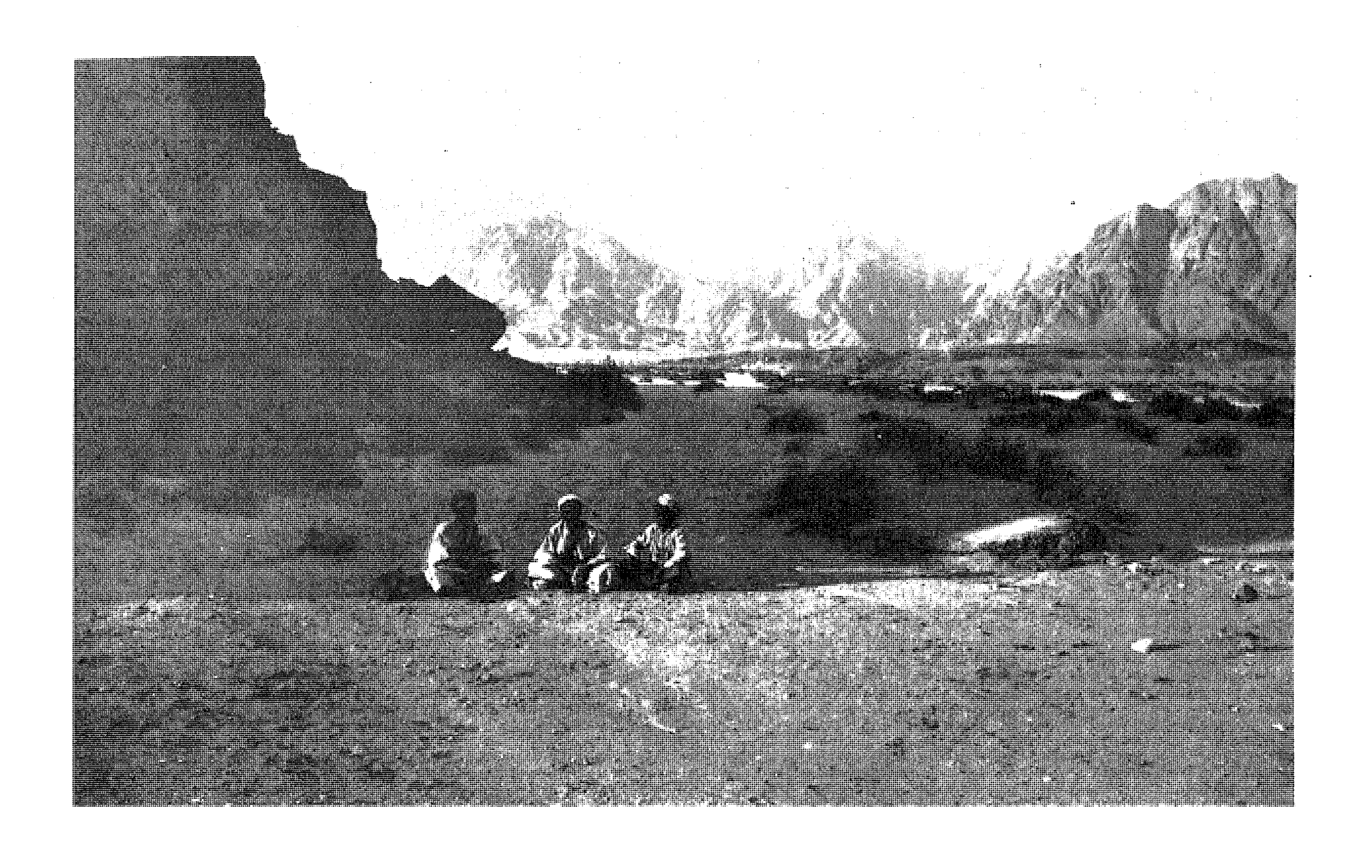



منظر عام لوادي الراحة من أسفل رأس الصفصافة.

جبل وادي عليات.

مدخل وادي خبر.



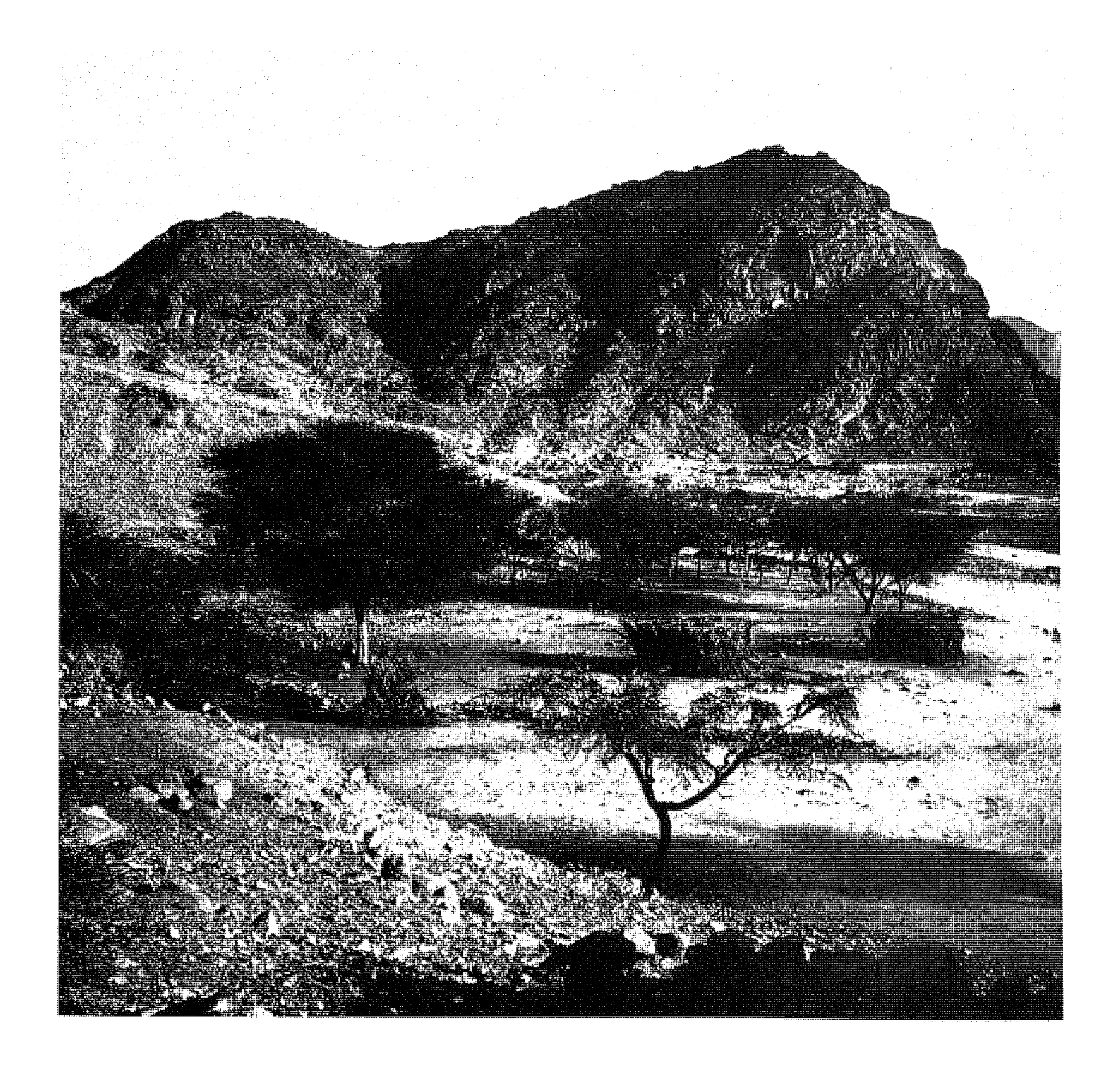


وادي مقطب.

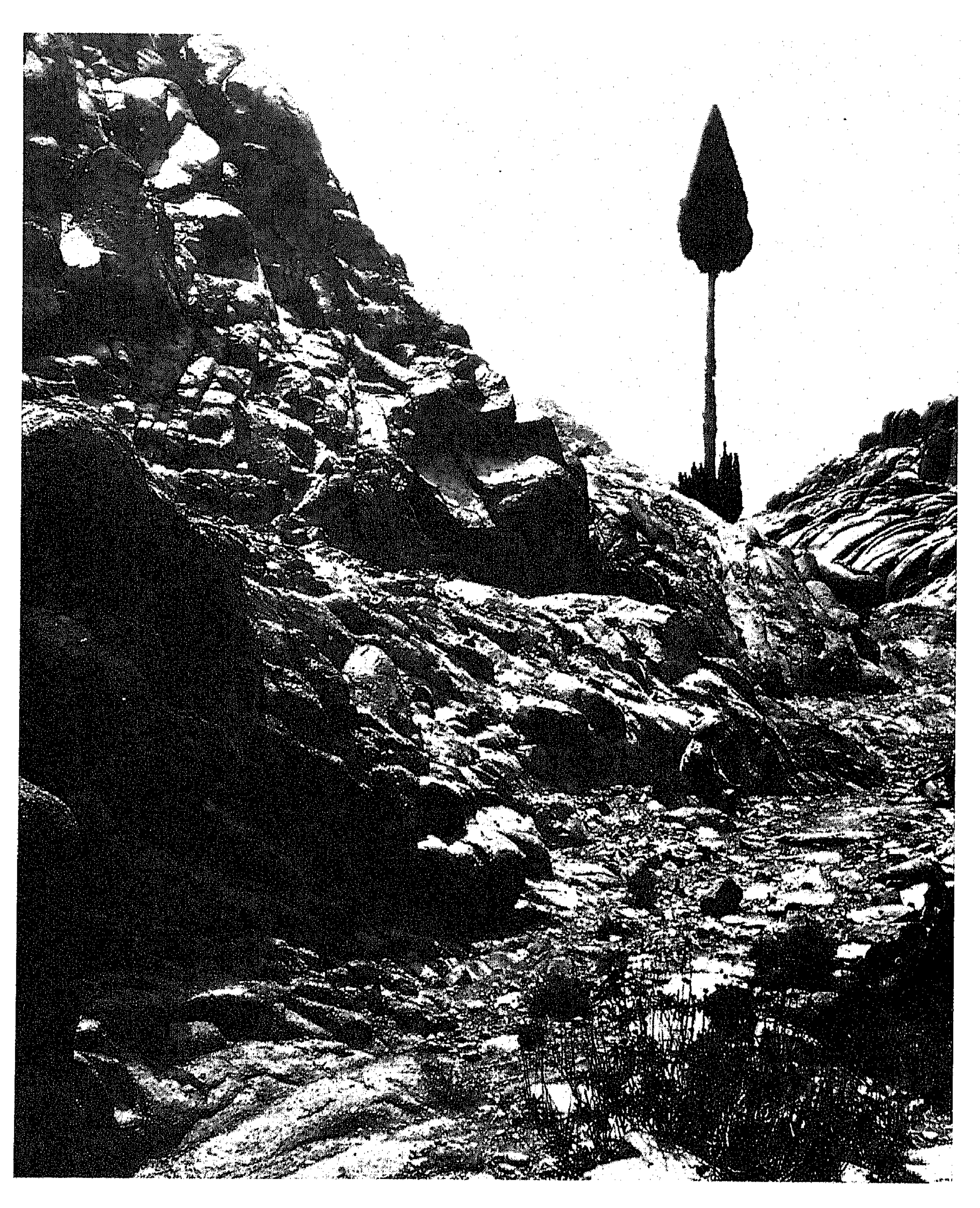


١

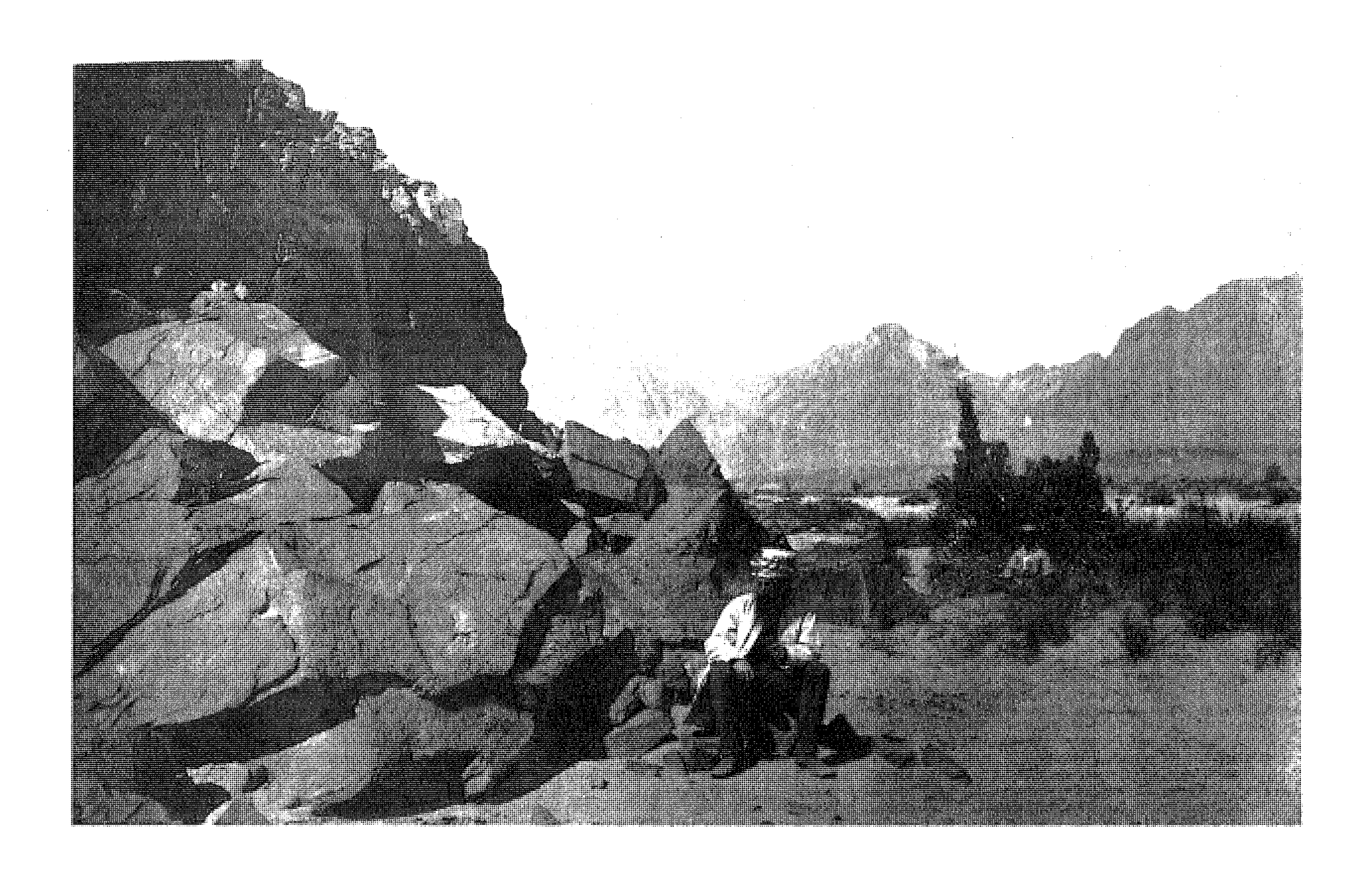
وادي فيران ودير جبل الطاحونة.



وادي فيران ومدخل وادي عليات.



شجرة الحياة وجبل موسى.



صخرة الألواح بوادي مقطب.

شجرة الحياة ومعبد ايليا وقمة جبل موسى.



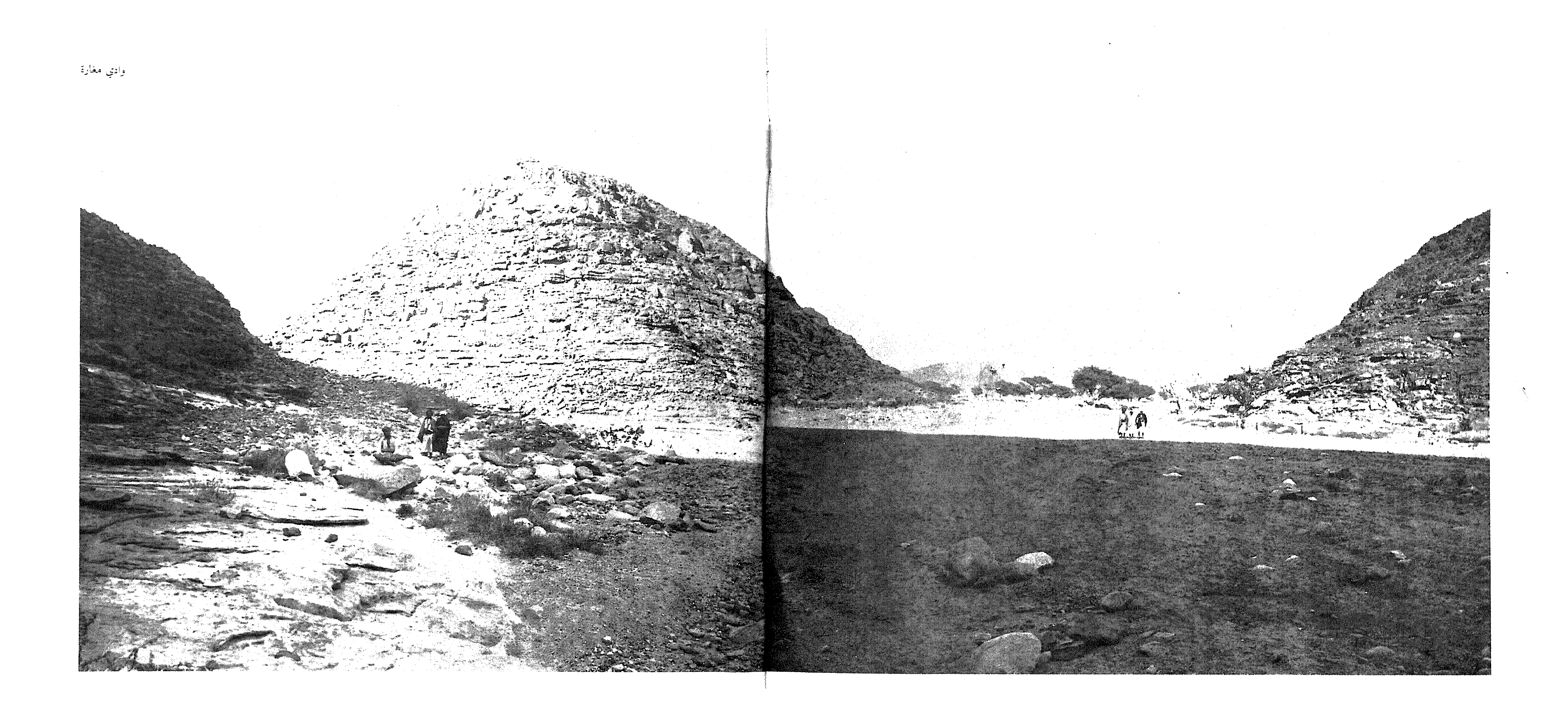




وادي الراحة وجانب من رأس الصفصافة.

على قمة جبل موسى.

وادي مغارة



صحراء عيون موسى



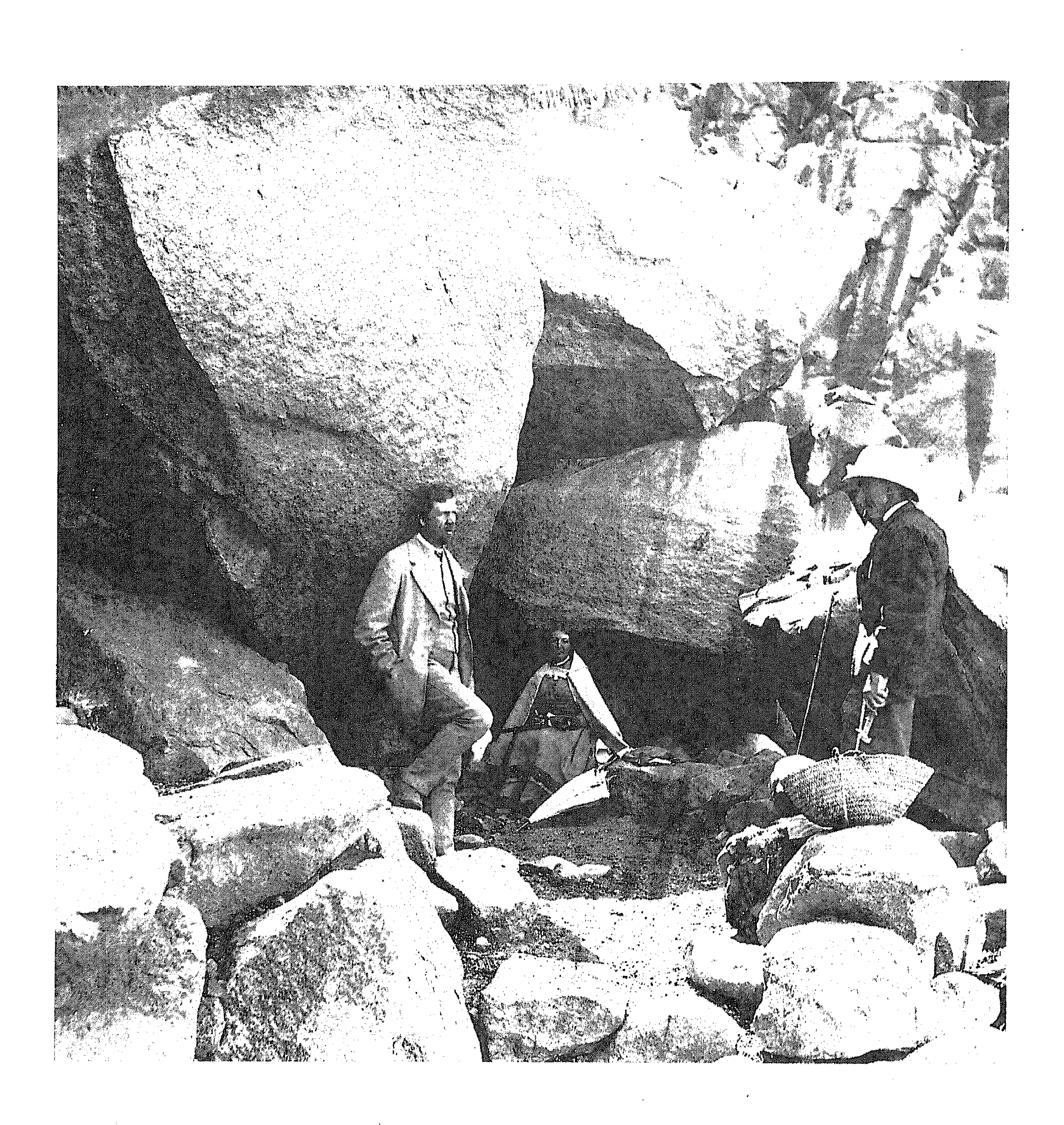


صحراء عيون موسى

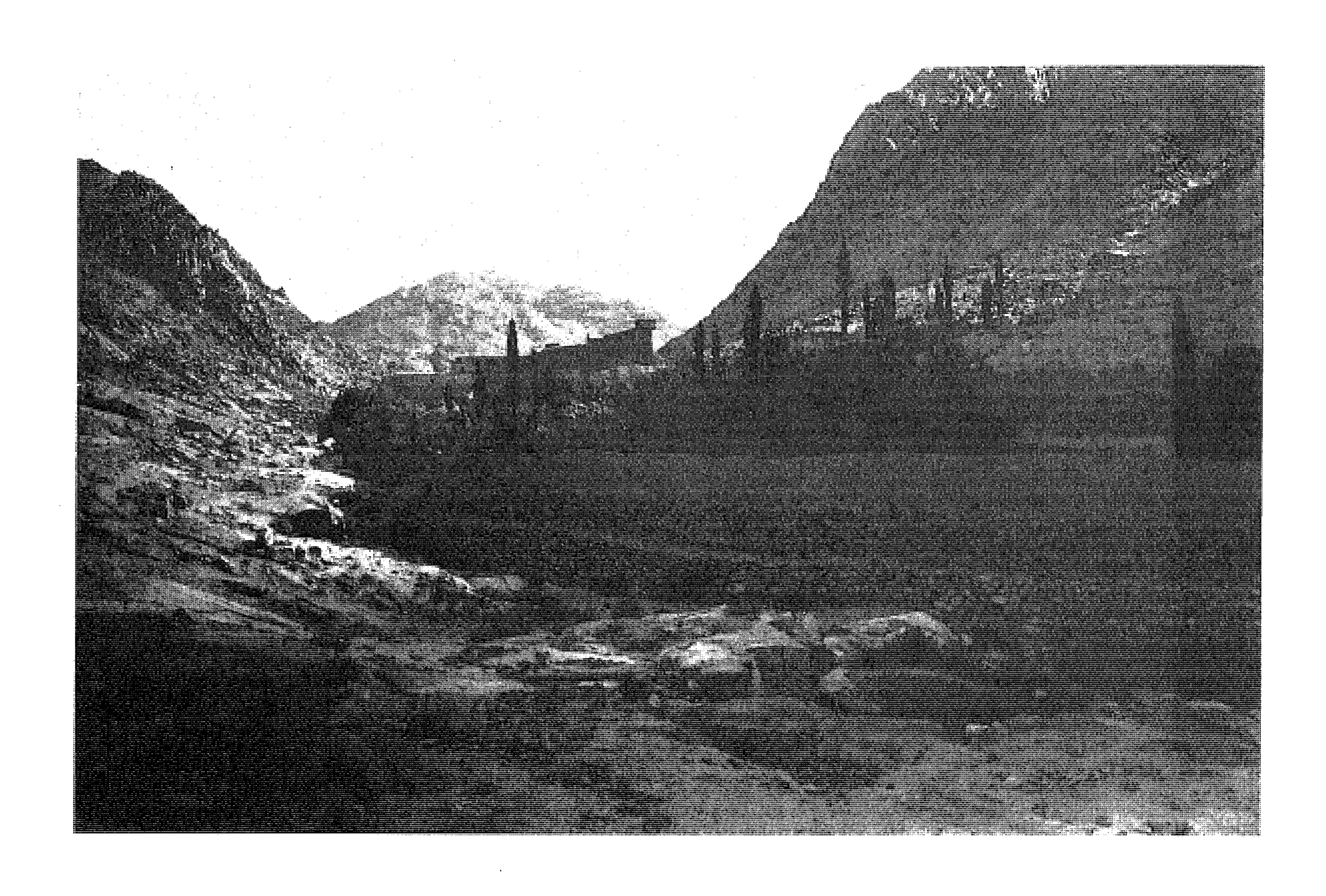


معبد الصفصاف الذي منح اسمه إلى رأس الصفصافة.

بالقرب من قمة جبل موسى.

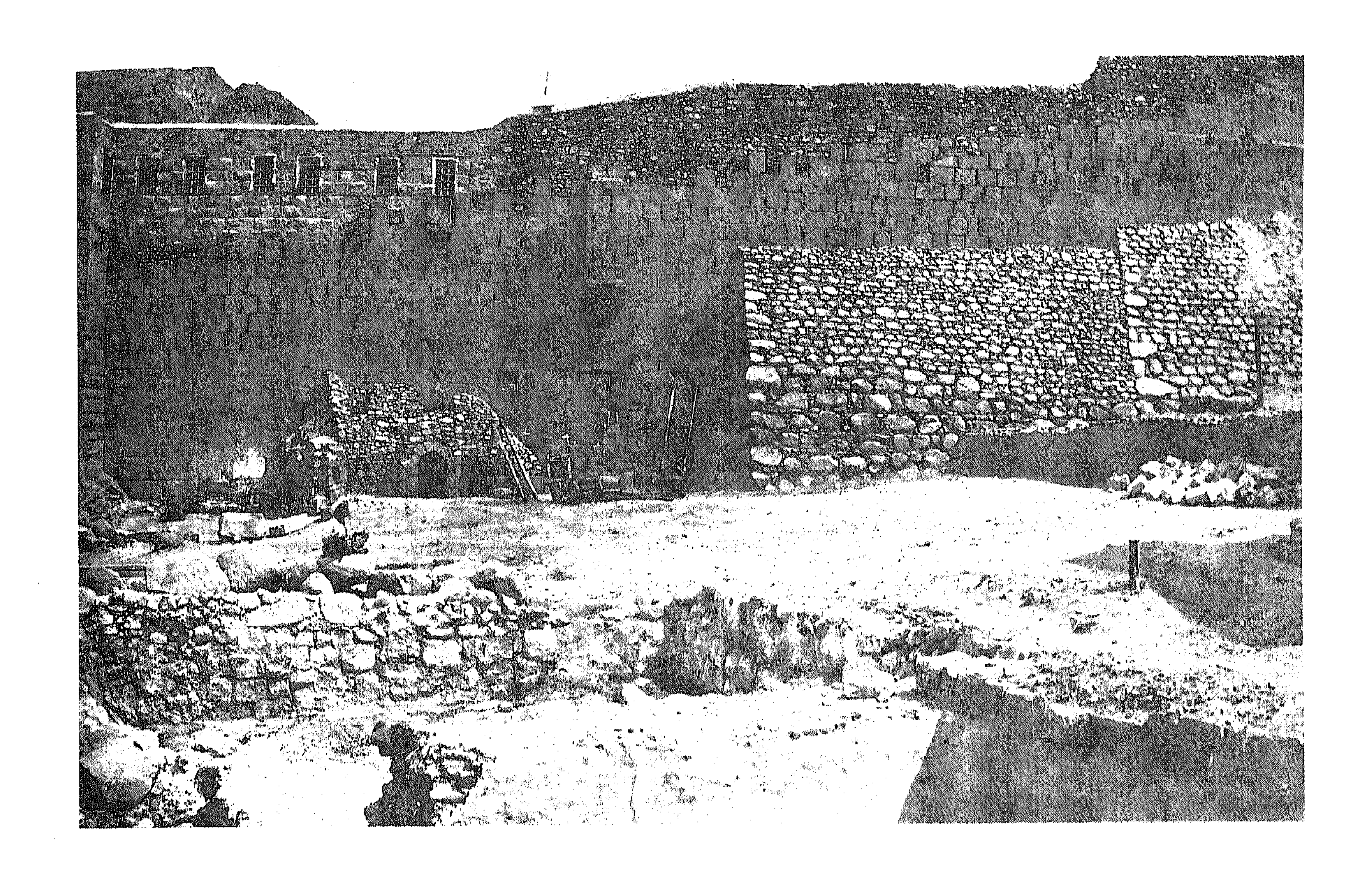






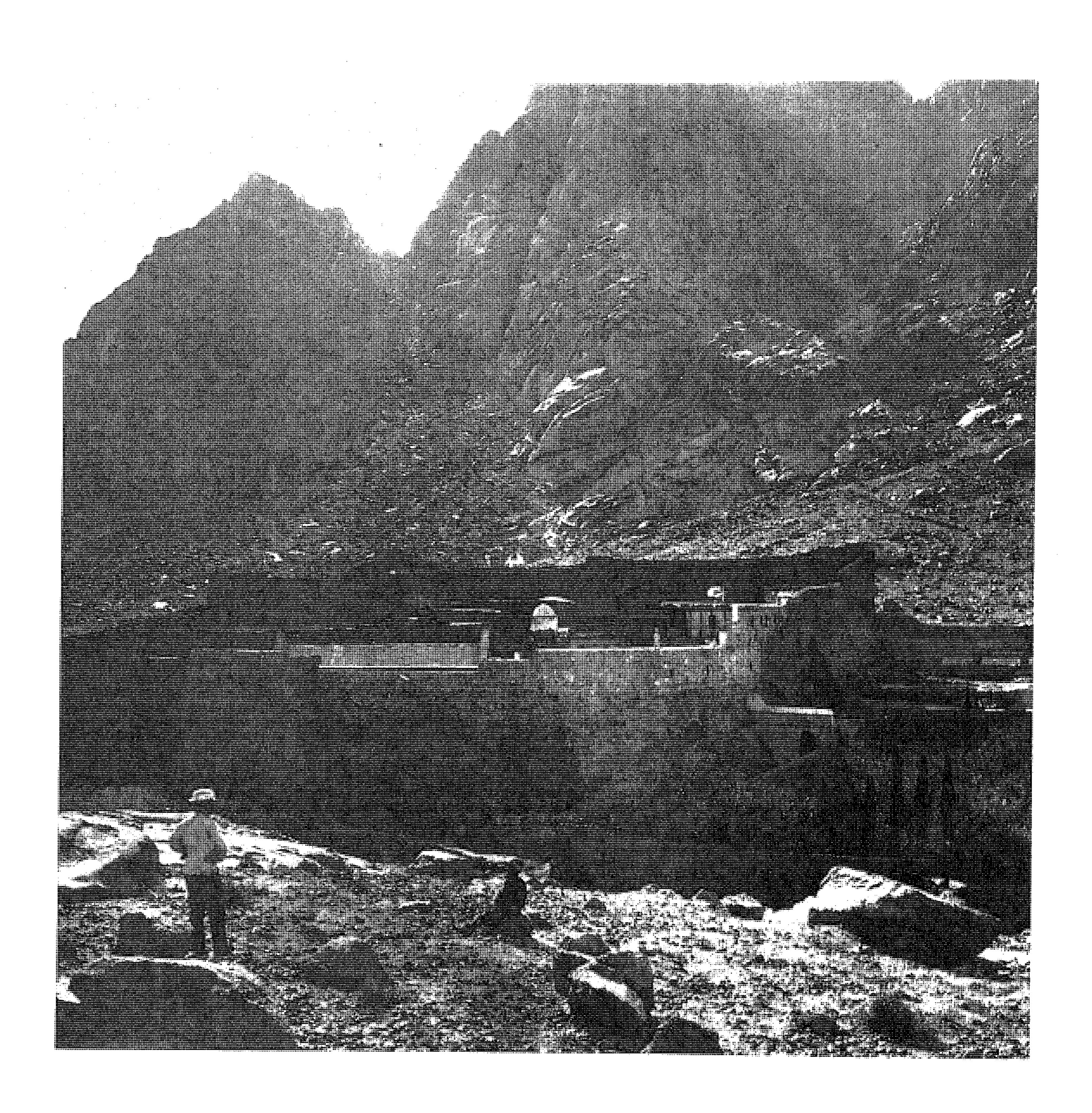
جبل كاترينا وقمة جبل موسى.

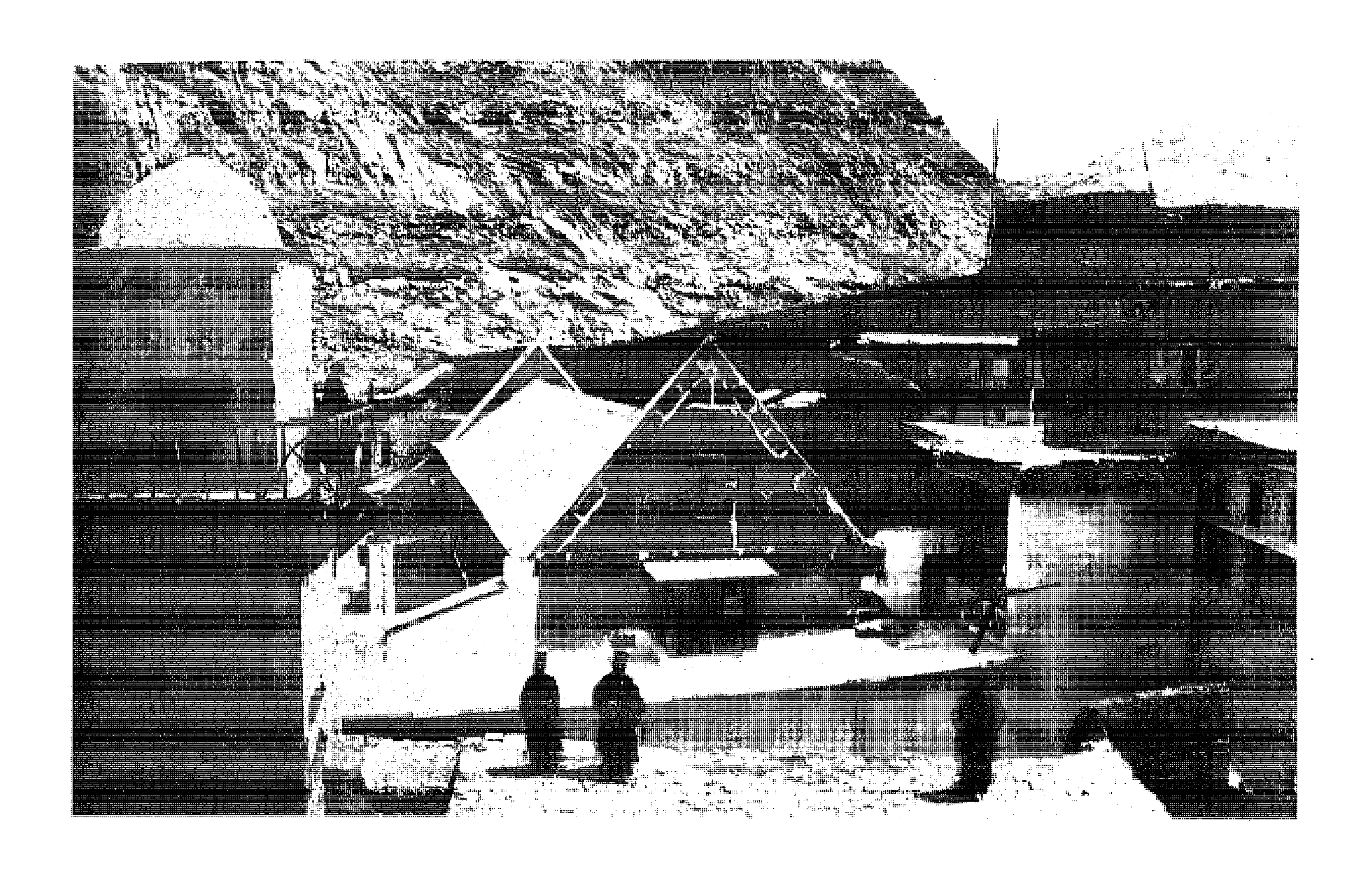
منظر عام لوادي الدير وسانت كاترين.



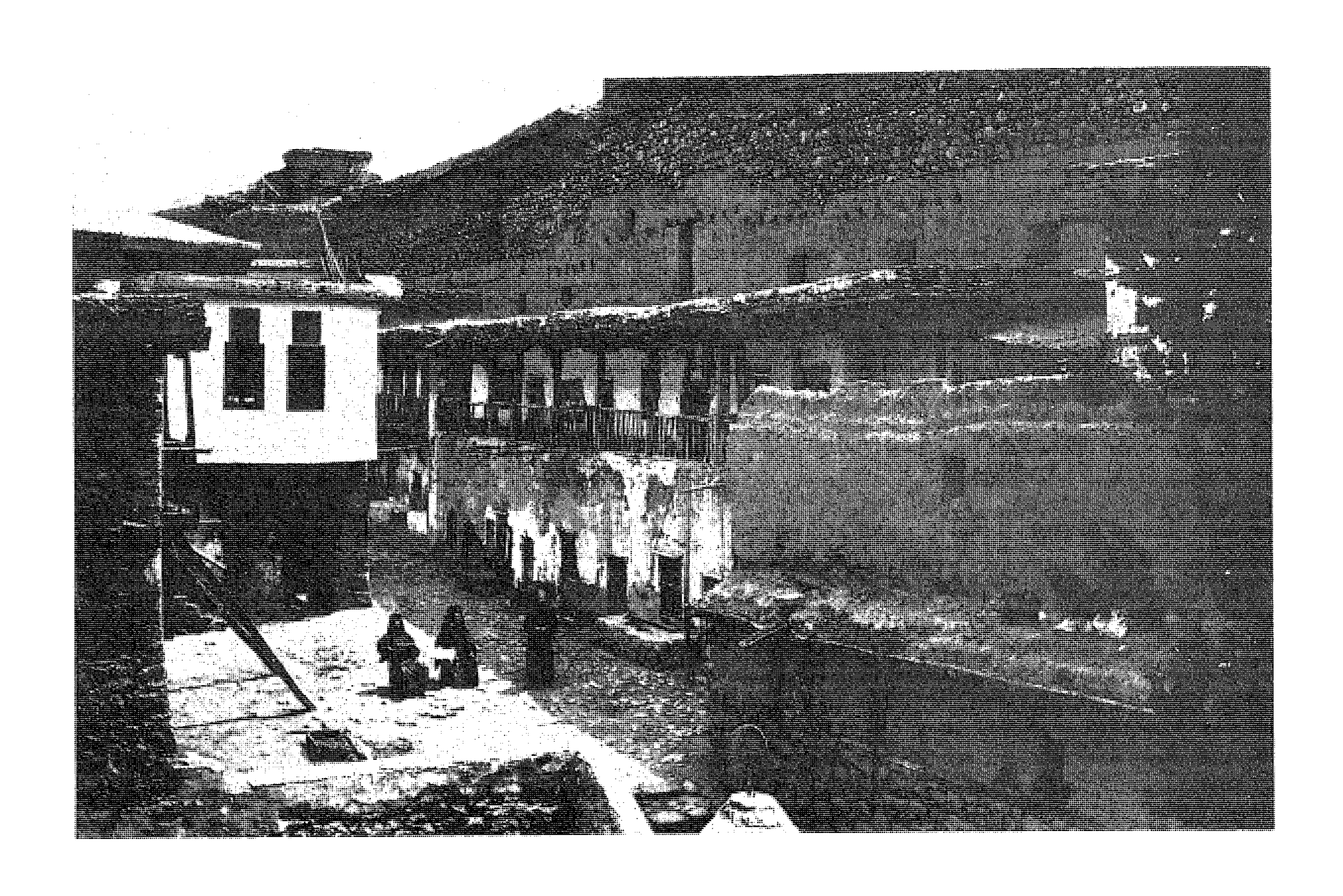
الجدار الشمالي لدير سانت كاترين ومدخله.

مشهد آخر لدير سانت كاترين.





داخل دير سانت كاترين والمصلى .

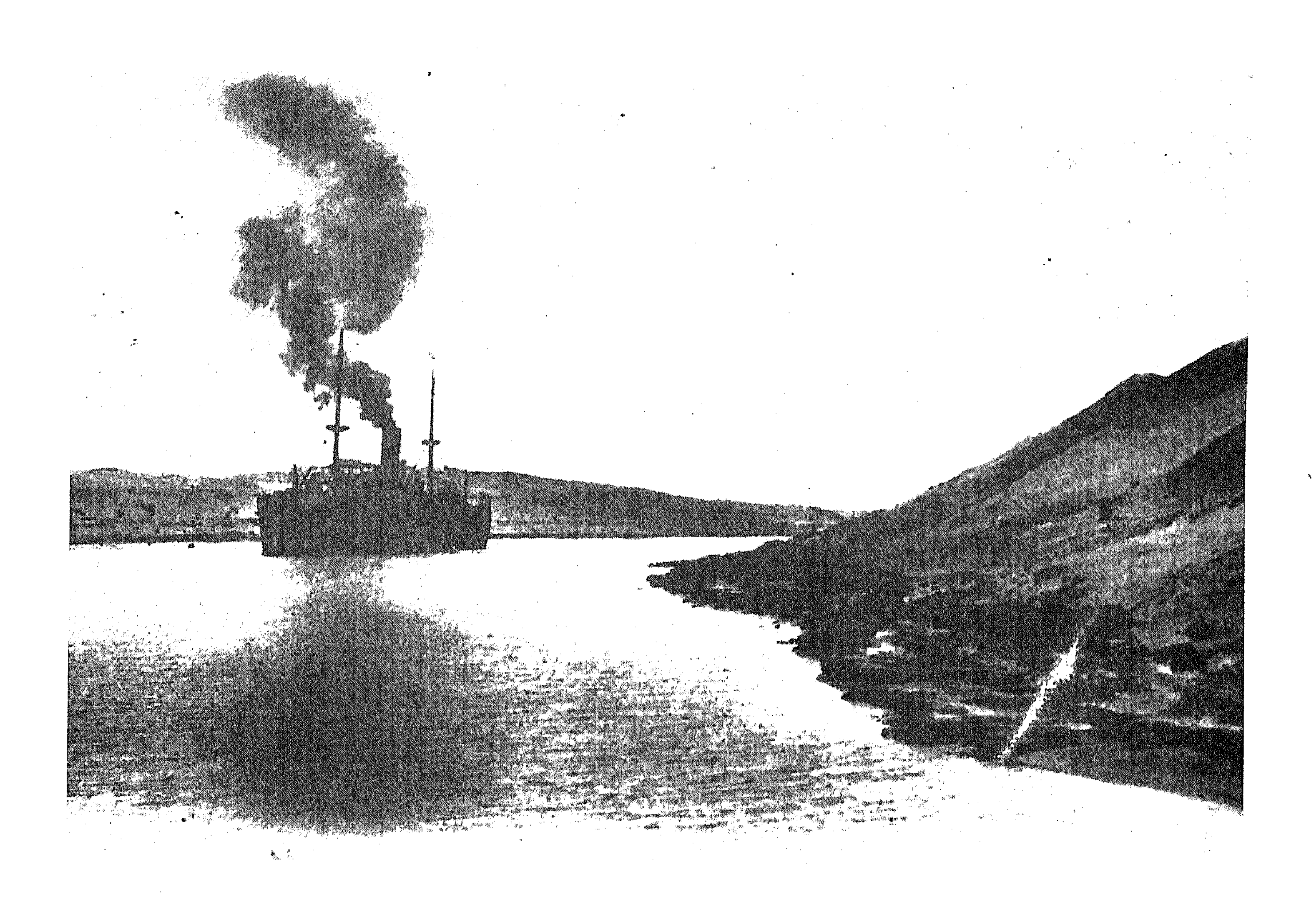


مدخل دير سانت كاترين من السور الغربي.

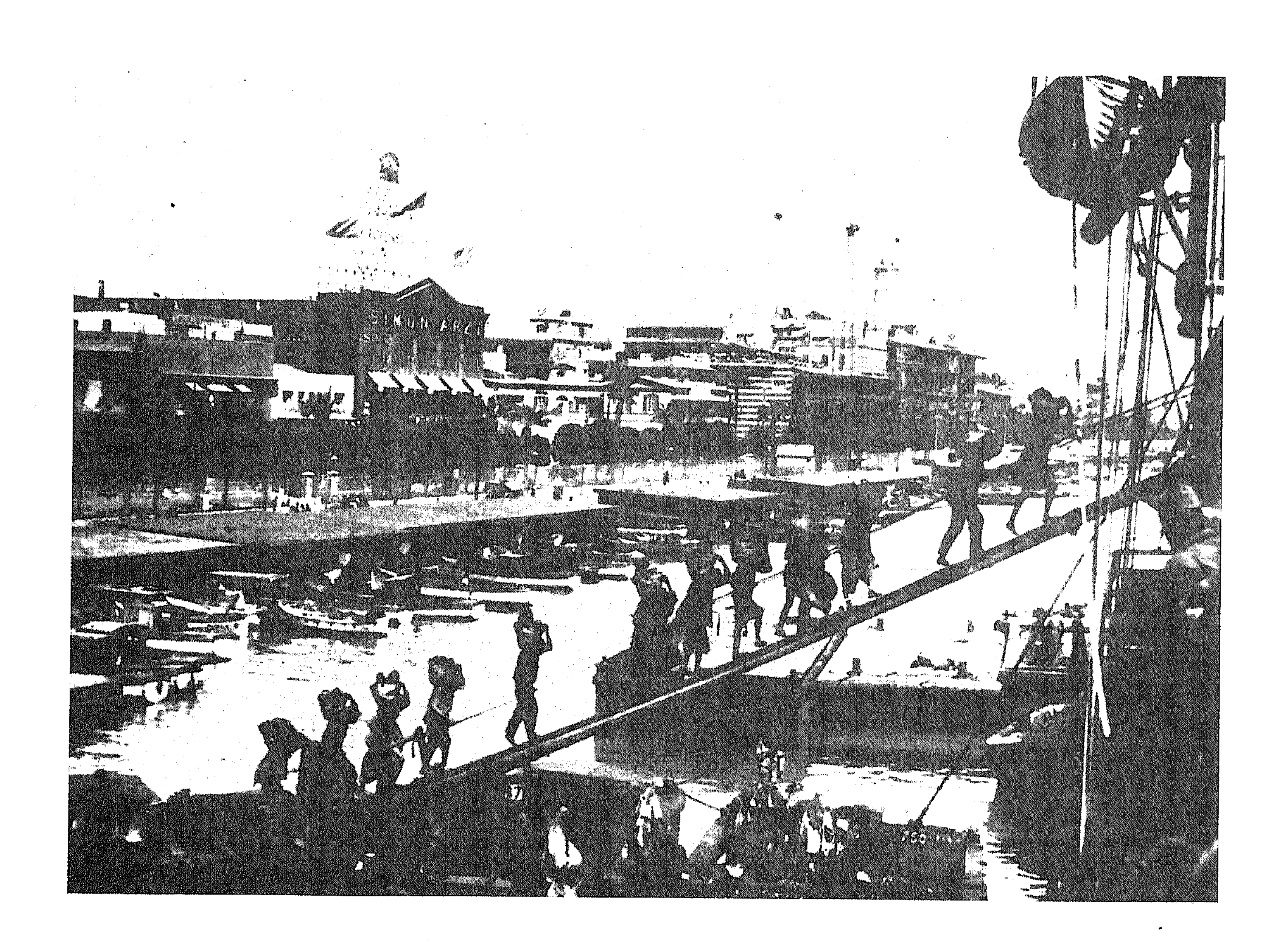
بُورسَعيد ، الاسمَاعيليّة ، السّوَيس



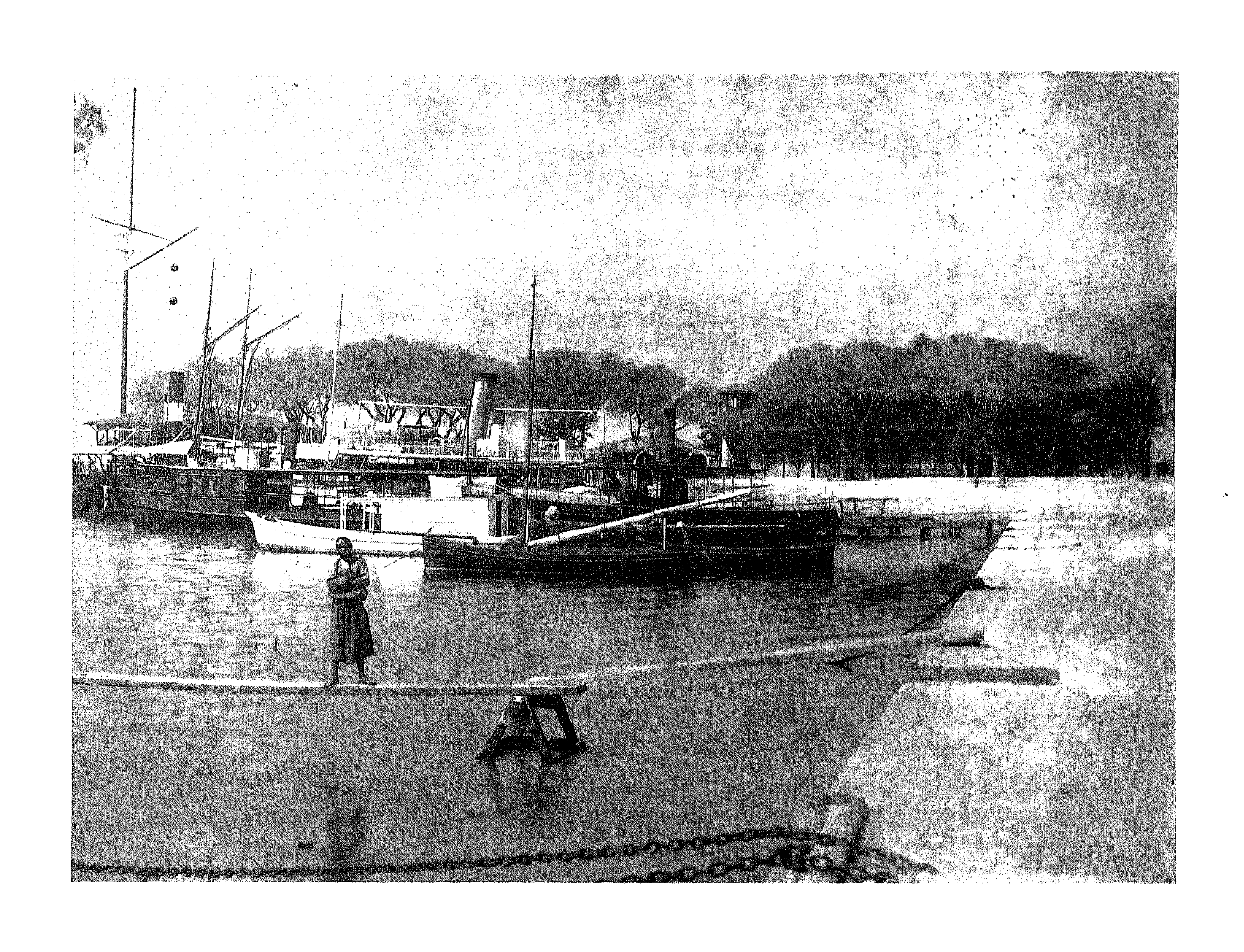
بور سعيد مدخل الميناء.



فناة السويس.



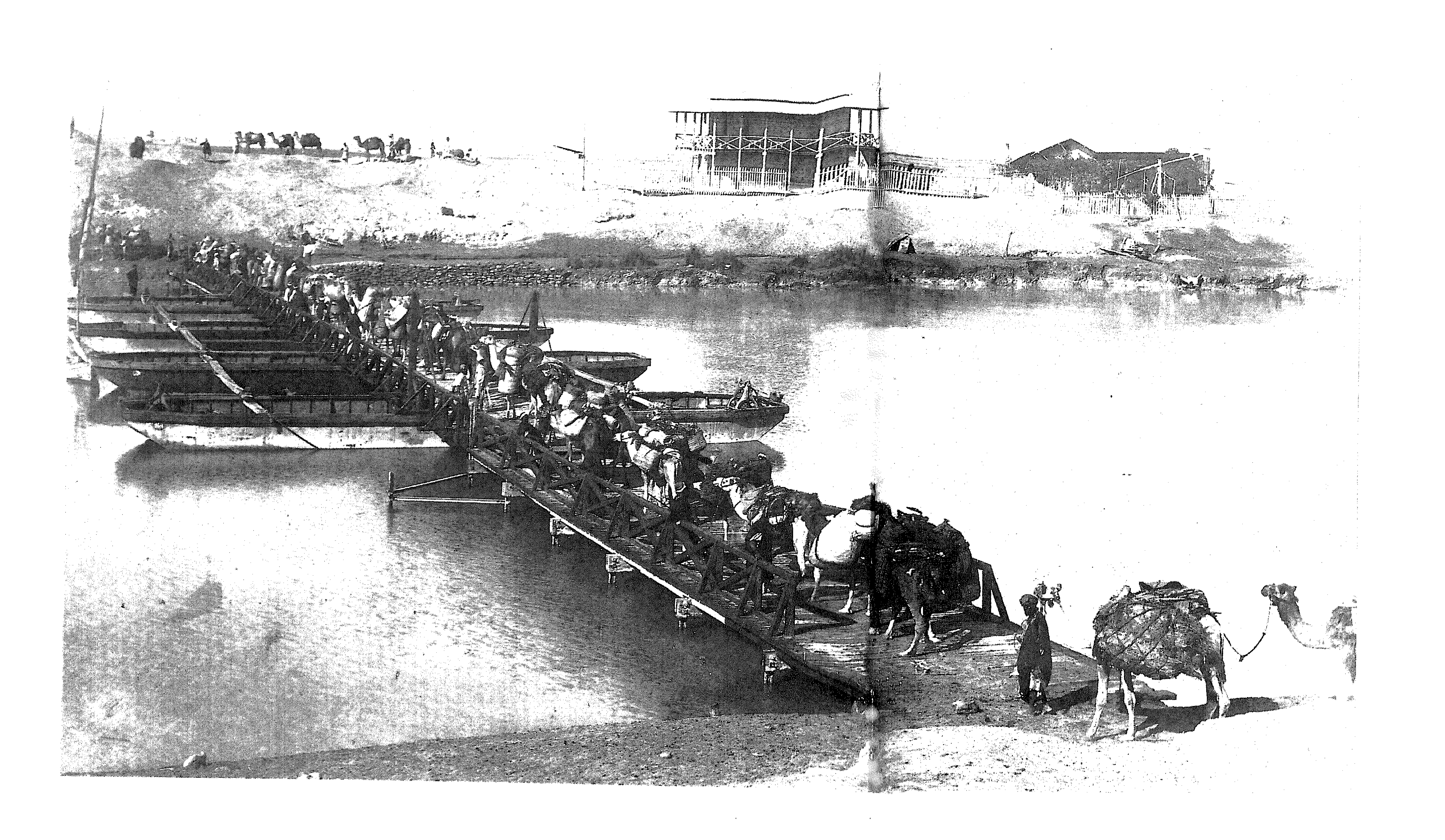
ميناء بور سعيد.



الاسماعيلية من فندق فيكتوريا.



قصر دلسبس ببور سعيد.



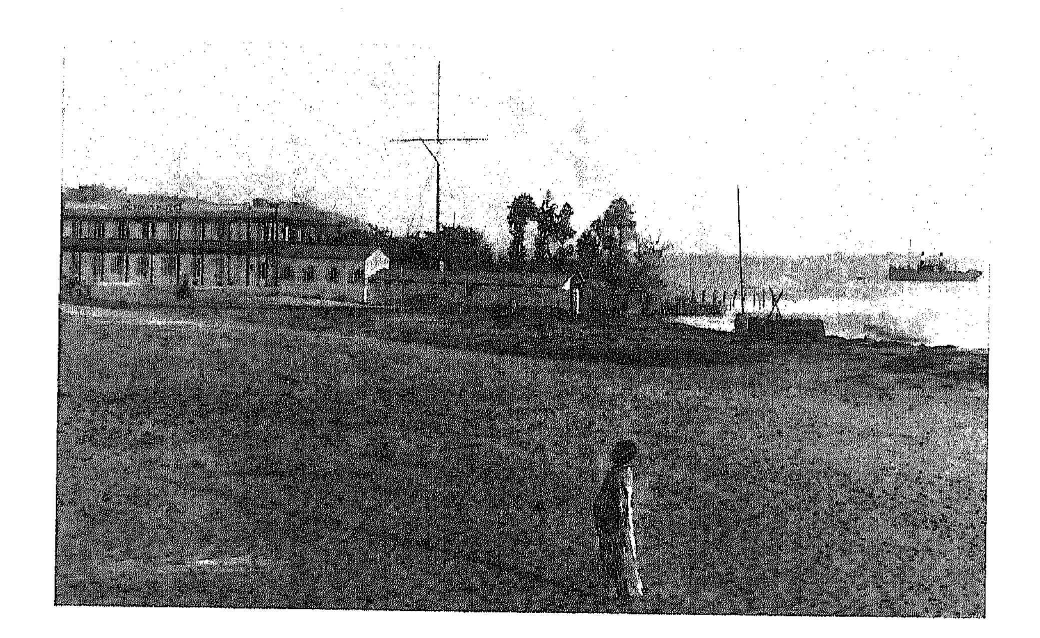
بور سعيد ـ قافلة جمال تعبر إلى الضفة الشرقية للقناة .



السويس: القرية العربية وجبال عتاقة..



منظر عام لمدينة السويس.



الاسماعيلية.. فندق فيكتوريا وبحيرة التمساح



# الإسكندرية



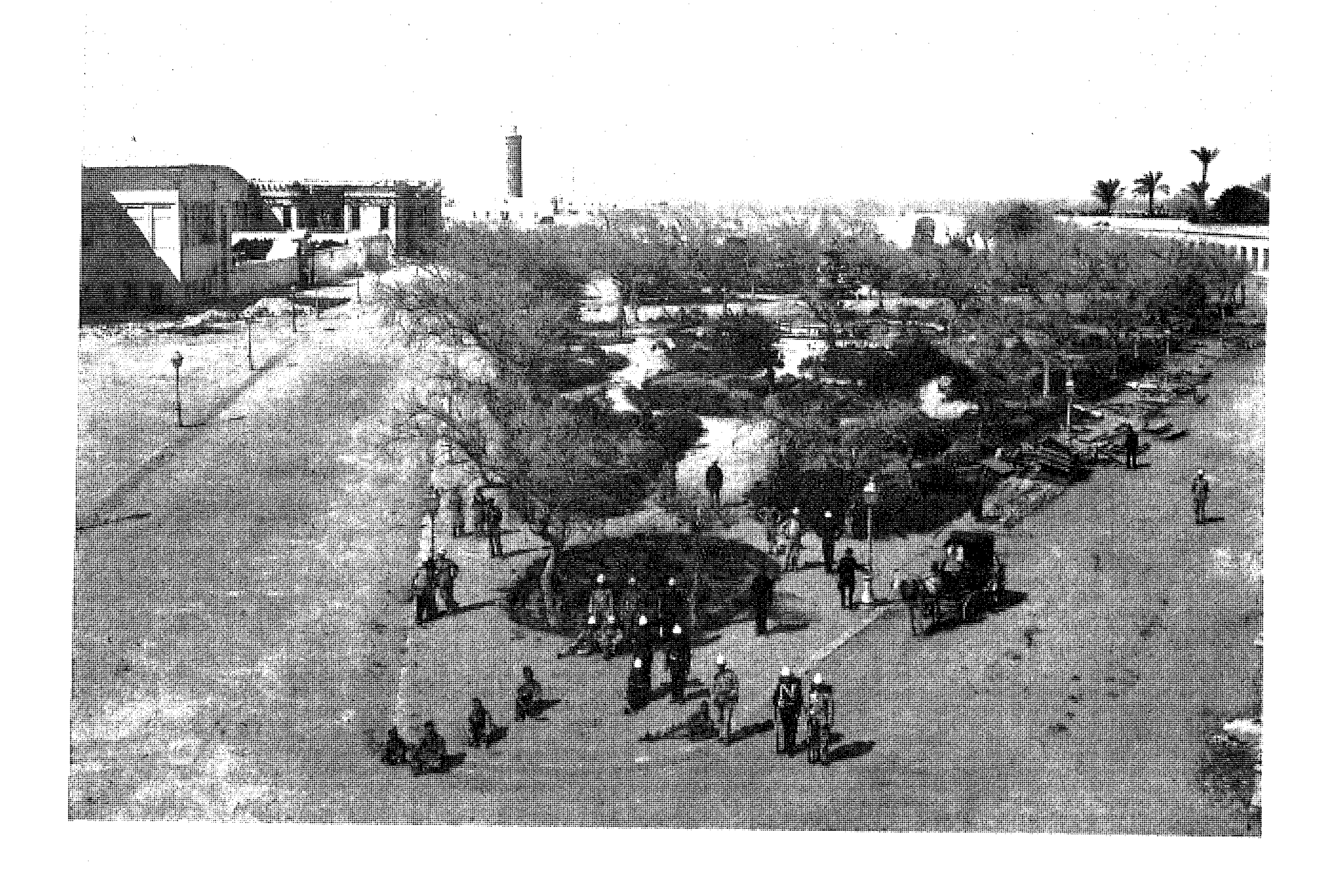

تمثال محمد علي بالاسكندرية.



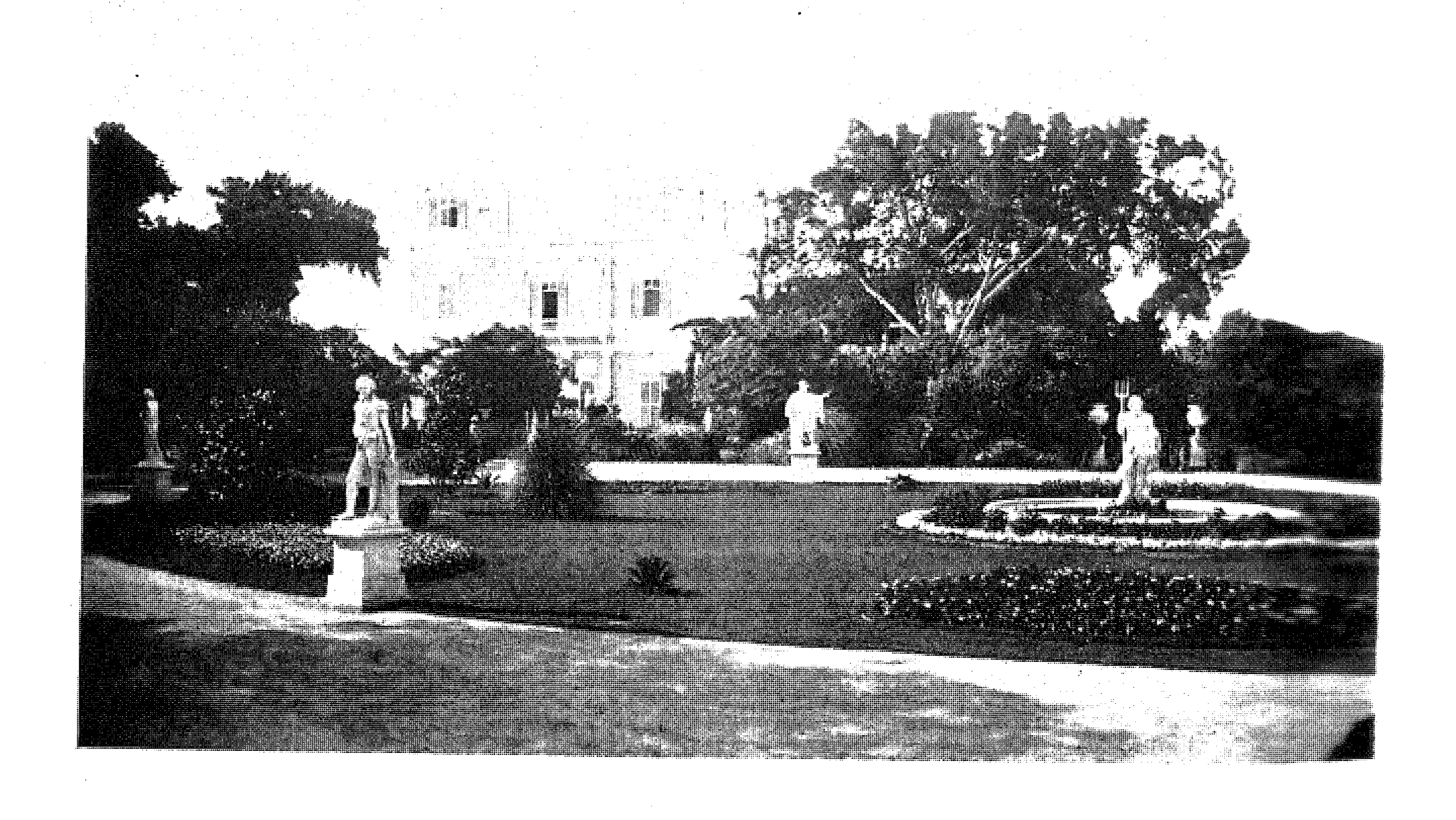
قصر رأس التين من البحر.



مدخل قصر رأس التين بالاسكندرية.



فناء قصر رأس التين.



حدائق انطونيادس بالاسكندرية.



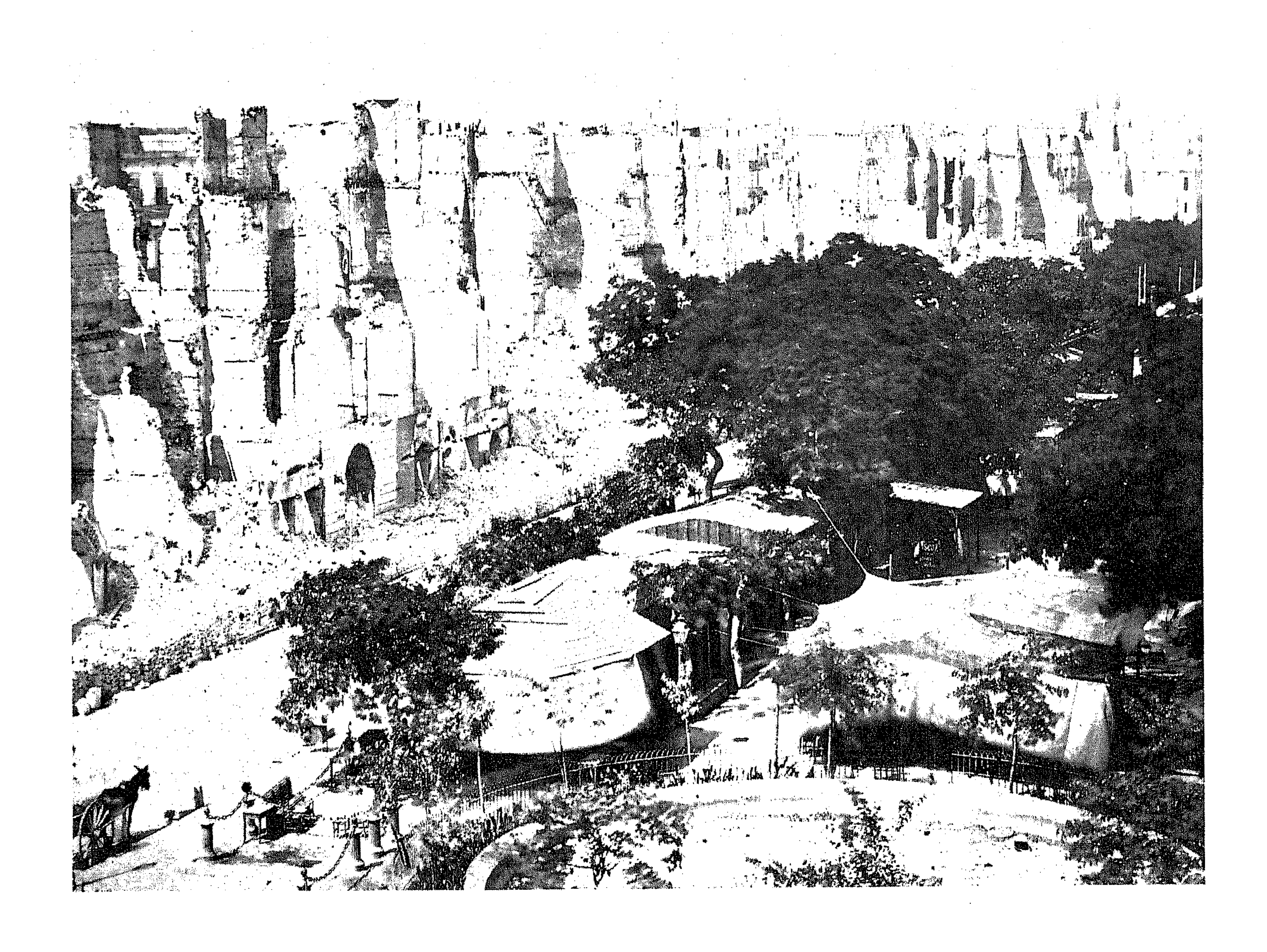
طريق القباري.

مسلة كليوباترا.





ميدان القناصل (محمد علي - المنشية).



ميدان القناصل (محمد علي ـ المنشية) بعد أن دمرة الاسطول البريطاني.



قناة المحمودية ـ الاسكندرية.

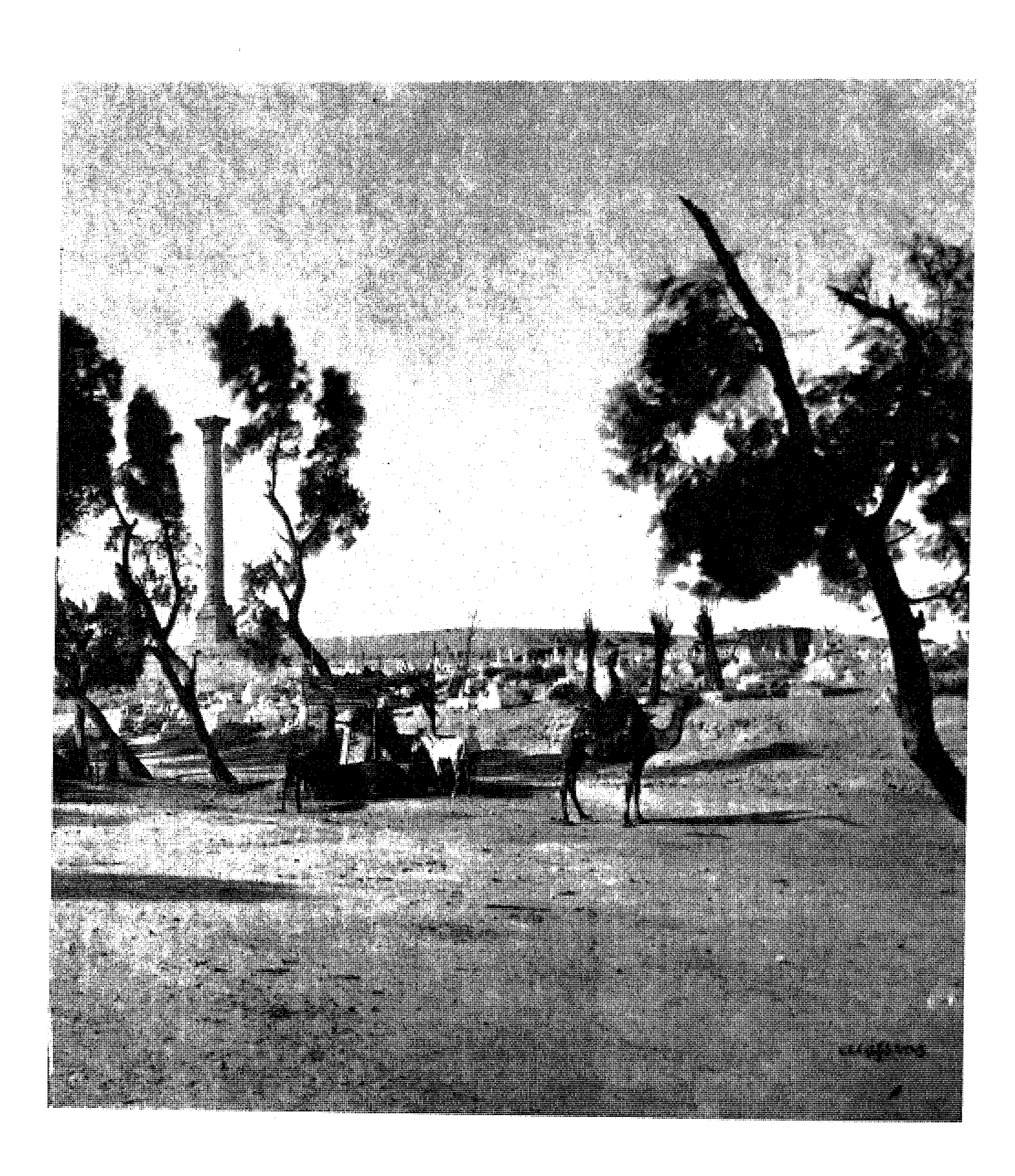


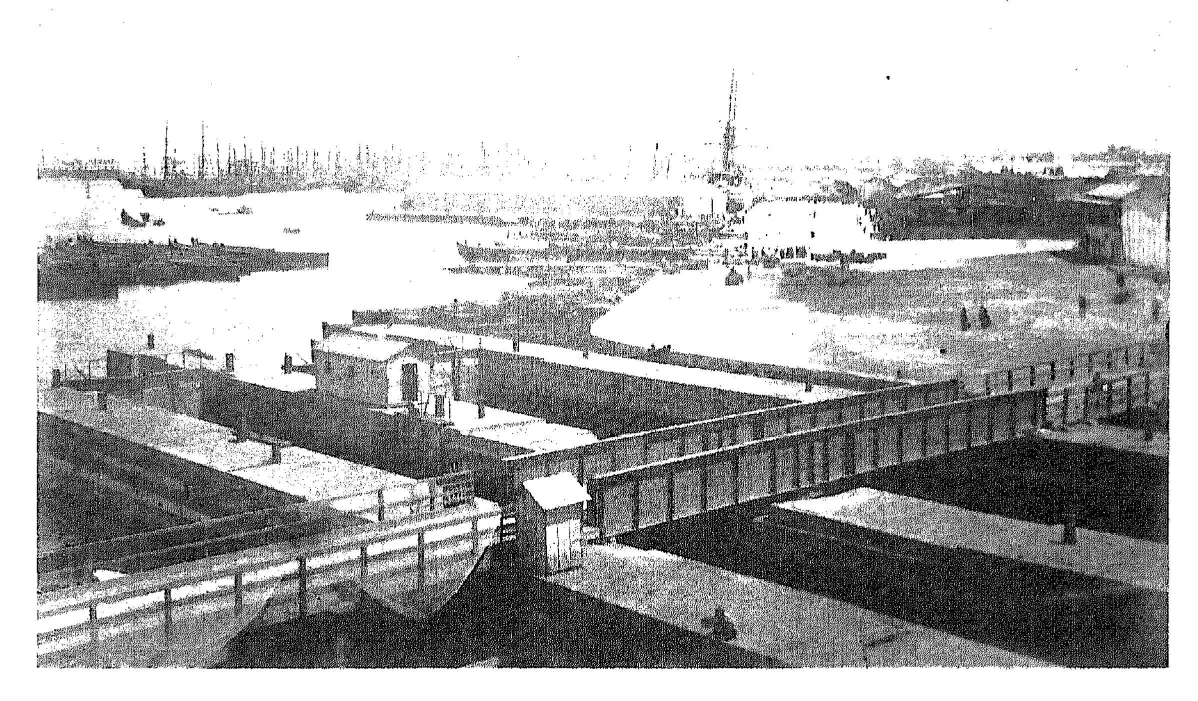
الشادوف وترعة المحمودية.



طريق ميناء رشيد.

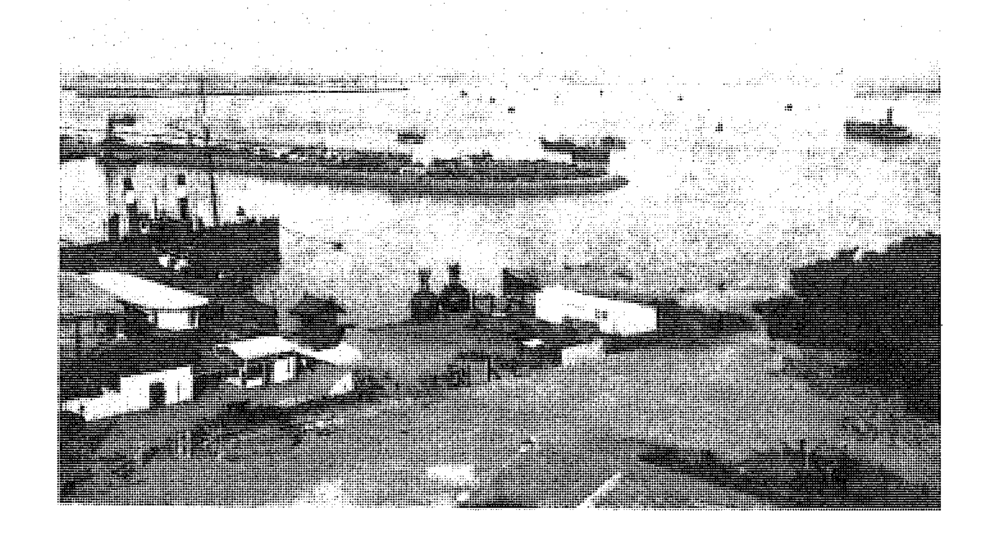
عمود بومبي ومنطقة المقابر.





ميناء الاسكندرية.

ميناء الاسكندرية.

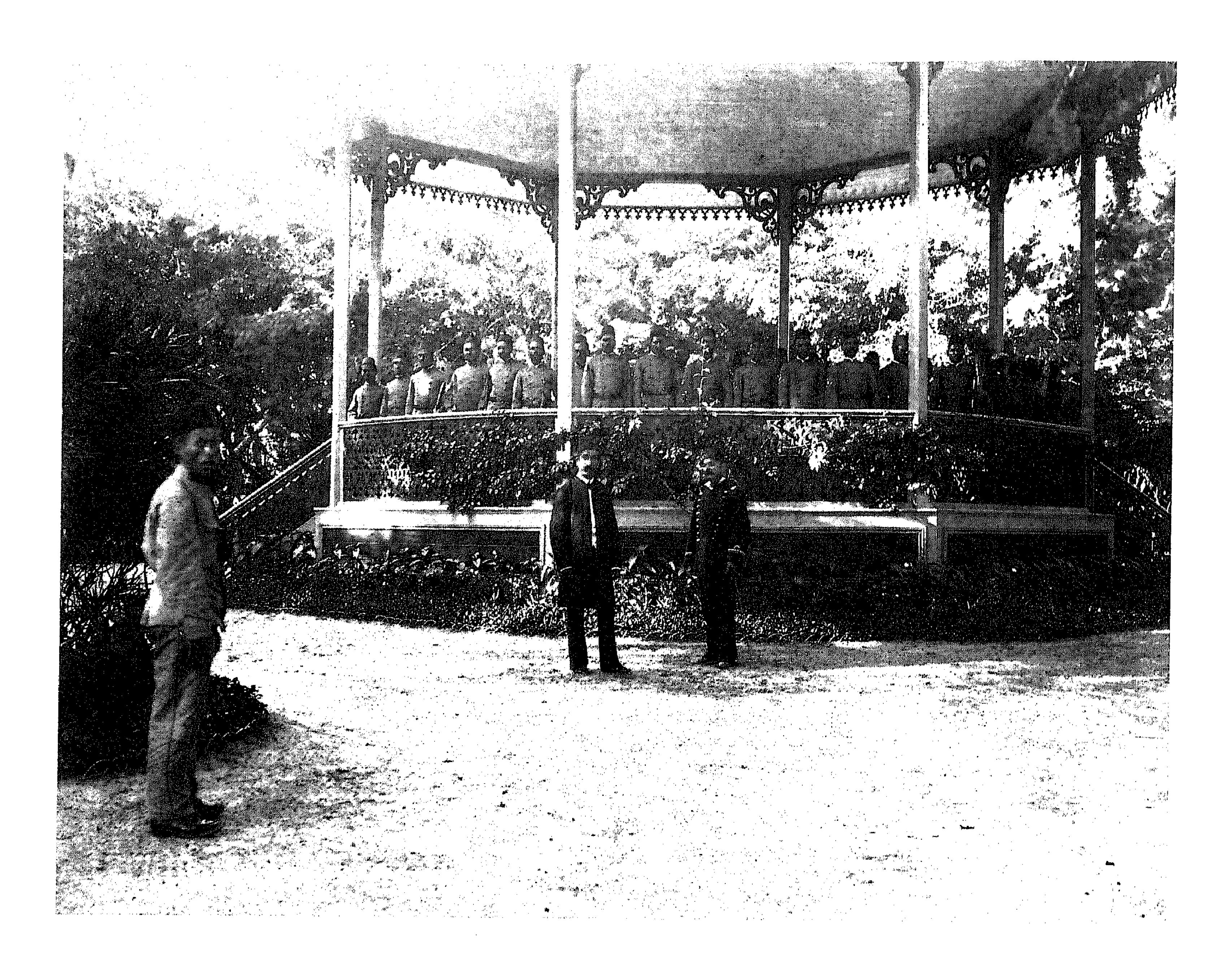




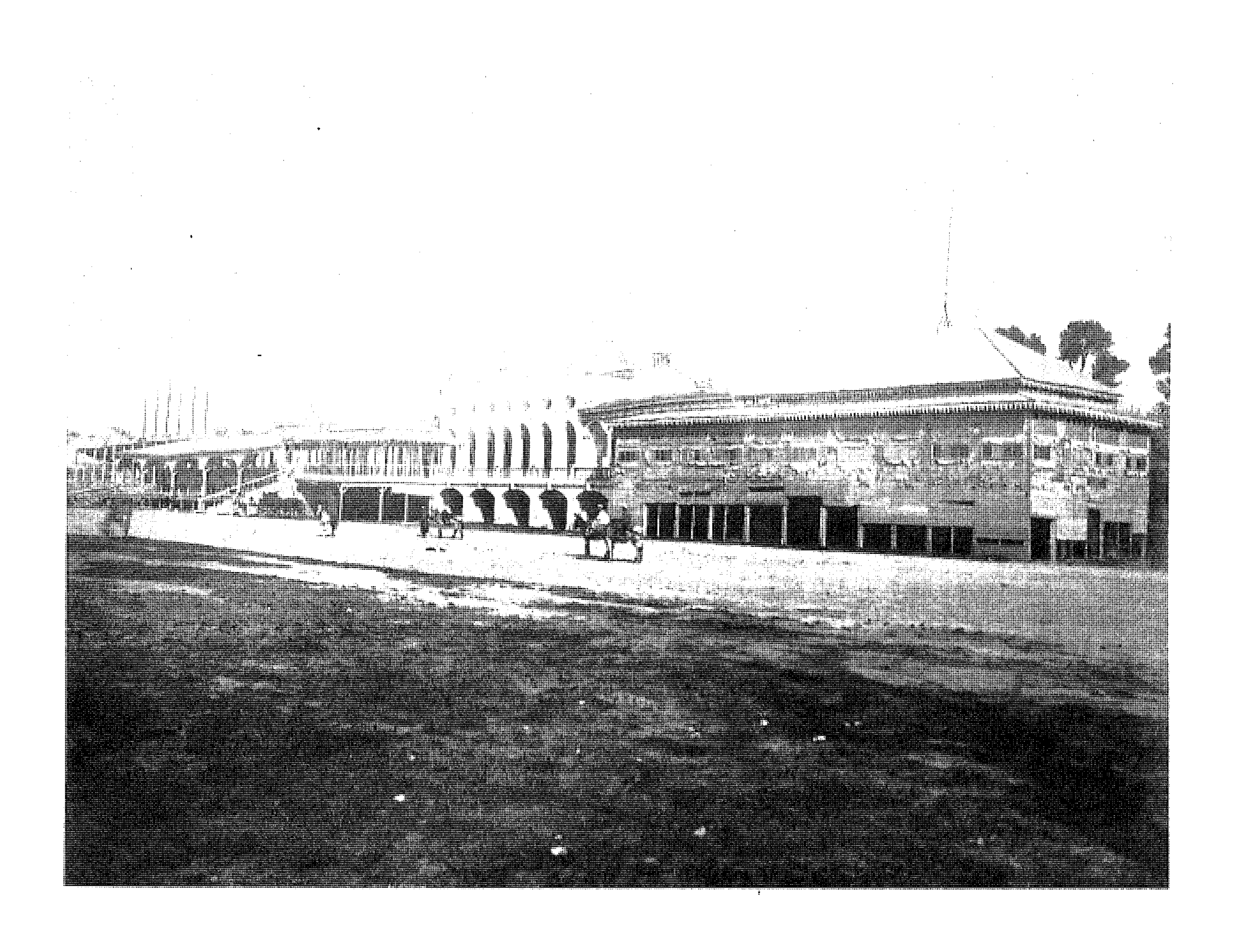
ميناء الاسكندرية من الخارج.



حصن كوم الدكة.



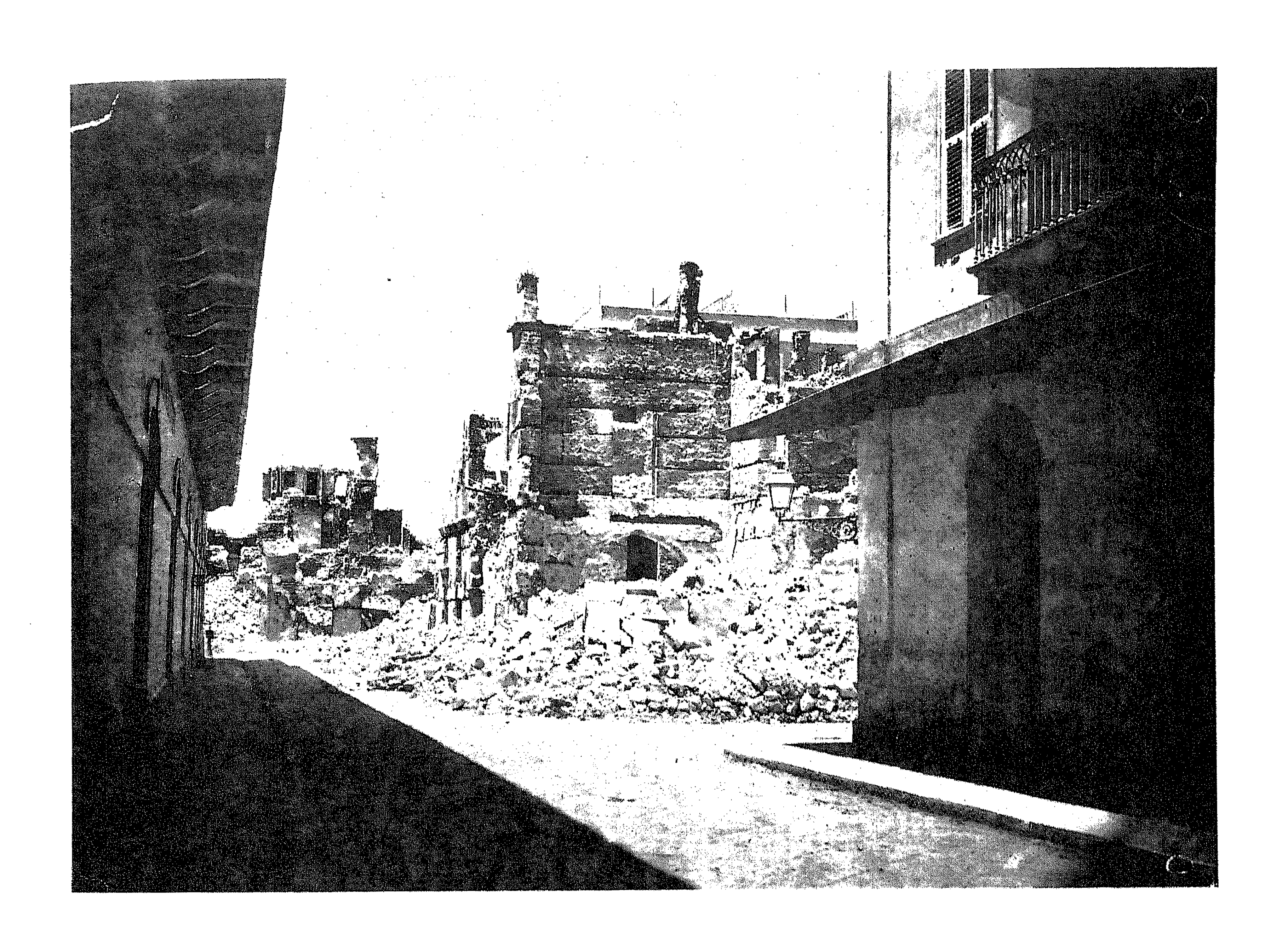
حديقة النزهة.



ميدان سباق الخيل.



معبد روماني قديم بين مقابر المصريين.



وكالة جبل سيناء مدمرة بمدافع الأسطول البريطاني عام ١٨٨٢.



شارع البورصة بالاسكندرية.